الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ – شرق قديم

مكانة الماء في الديانة الرافدية القديمة

(2900 -539 ق.م)

رسالــة علميـــة أعدت لنيـل درجــة الماجســتير فـــي التاريـــخ القديـــم

إعـــداد الطالـــب:

زيـــاد عبد الله الحسناوي

إشـــراف أ.د:

حســـان عبد الحق

1443هـ/2022م

بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنبياء 30

شكر وتقدير

الحمد لله في الأولى والآخرة وله الشكر سبحانه على نعمائه المتكاثرة، وآلائه المتوافرة، وإن من تمام شكر الله تعالى على العبد أن يشكر من أسدى إليه معروفاً، وكان له علي فضلا ونورا.

يطيب لي أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان لأستاذي المشرف على هذا العمل الأستاذ الدكتور **حسان عبد الحق** الذي كان له الفضل على البحث والباحث مذ كان الموضوع عنواناً وفكرة، إلى أن أصبح رسالةً وبحثاً، والذي ما بخل بتقديم النصح والتوجيه، وله الشكر على ما بذل من وقت في سبيل إخراج هذه الرسالة بهذه الصورة، فله مني جزيل الشكر والتقدير.

والشكر الموصول للأخ والصديق الدكتور **ماهر محمود العبدالظاهر** الذي قدم كل المساعدة في سبيل إنجاز هذا البحث وتقديم النصيحة والتوجيه والمساعدة، فله مني كل الشكر والتقدير.

وأتوجه بجزيل الشكر **للدكتور محمد الصويلح** لتفضله بقبول تدقيق هذه الرسالة، وتكلّفه عناء قراءتها.

كما أتوجه بالشكر والتقدير لقسم التاريخ في جامعة دمشق وإلى أساتذتي في قسم التاريخ اختصاص الشرق القديم جميعًا.

كما أشكر جميع الأخوة والأصدقاء الذين ساعدوني وأعانوني على إنجاز هذه الرسالة، فلهم في النفس منزلة وإن لم يسعف المقام لذكرهم، فهم أهل للفضل والخير والشكر.

فهرس المحتويات

العنـــــــوان	رقم الصفحة
شكر وتقدير	أ
فهرس المحتويات	ب
مستخلص الرسالة باللغة العربية	1
المقدمة	3
الفصل الأول التمهيد الجغرافي والتاريخي	
أولاً: التمهيد الجغرافي	13
1. أصل التسمية	13
2. الموقع	14
3. التضاريس	15
أ. إقليم المنطقة الجبلية وشبه الجبلية	15
ب. إقليم السهل الرسوبي	16
ج. إقليم الهضبة الصحراوية	17
د. إقليم الجزيرة	18
4. المناخ	18
5. الأنهار	18
ثانياً: التمهيد التاريخي	19

1. السومريون	19
2. الأكاديون	22
3. العصر الغوتي	23
4. عصر الإحياء السومري	24
5. البابليون	24
6. مملكة ماري	25
7. الأشوريون	26
8. الكلدانيون	28
الفصل الثاني **أسباب تقديس الماء وتجسيد قدسيته في الديانة الرافدية القديمة** **من خلال تصورات الآلهة – الفن – العالم السفلي**	
أولاً: أسباب تقديس الماء	32
1. أهميته في حياة الناس	32
2. أهميته في عملية الخلق	41
أ. فكرة التكوين	41
ب. خلق الإنسان	46
ثانياً: قدسية الماء من خلال تصورات الآلهة	50
1. النظام الديني وعلاقته بالماء – الثالوث المقدس	50
2. إله الماء – أنكي/ أيا	54

3. أسطورة أنكي وتنظيم الكون	58
4. أرض دلمون – أسطورة أنكي وننخورساك	59
ثالثاً: انعكاس قدسية المياه على الفن ورموزه في بلاد الرافدين	63
1. أبرز رموز الآلهة وعلاقتها بالمياه	63
2. المياه المقدسة في الفن الرافدي	64
رابعاً: العالم السفلي – أسطورة عشتار وعلاقتها بالماء المقدس	74
الفصل الثالث طقوس سكب الماء في الحياة الدينية في بلاد الرافدين	
أولاً: مراتب الكهنة ومصدر المياه المقدسة	81
ثانياً: طقوس سكب الماء في الأعياد	82
ثالثاً: طقوس غسل الموتى وسكب الماء على القبور	83
1. طقوس غسل الموتى وتطهيرهم قبل الدفن	83
2. طقوس سكب الماء على القبور	85
رابعاً: استخدامات الماء الدينية في نشاطات الحياة المختلفة	91
1. سكب الماء على شرف الآلهة	91
2. سكب الماء مكان البناء قبل الشروع به	91
3. استخدامات الماء الدينية لدى الجيش	92
4. القسم بالماء	94
5. مناجاة الآلهة للاستسقاء	95

6. الفؤول وسكب الماء ورؤيته بالمنام	95
7. تقديم الماء البارد للآلهة	98
خامساً: المياه للطهارة	99
سادساً: حوض الماء المقدس	102
سابعاً: الطقوس الخاصة بصناعة الدف المقدس للمعبد	104
ثامناً: أواني المياه المُستخدمة في الطقوس الدينية	105
1.وعاء أغابو	105
2.وعاء الهبات	105
3.إناء ماقو	106
4.إناء موكالاتو "قدح التكهن"	106
5.الدلو والمرشة	106
6.إناء شوخراتو	106
الفصل الرابع الماء نعمة ونقمة حسب المعتقدات الدينية	
أولاً: الماء يشفي من الأمراض	110
ثانياً: الماء عقوبة إلهية	119
1. الطوفان الرافدي	119
2. ملحمة جلجامش ورجل الطوفان	124
3. ماء الموت	124

ثالثاً: دور الماء في إدانة المتهم أو إثبات براءته	125
1. الامتحان النهري المقدس "المحنة"	125
2. عقوبة القذف أو الرمي بالماء	130
3. أشكال أخرى من العقاب بناء على استخدام الماء المقدس	131
4. العقاب من أجل الماء	131
الخاتمة	134
نتائج البحث	136
الملاحق	140
الشكل رقم (1) تجويف وسط تمثال ربة الينبوع لإيصال ماء متدفق حي إلى إناء تمسكه	141
الشكل رقم (2) الإناء الفوار رمز الإله أنكي	142
الشكل رقم (3) مشهد سكب الماء من قبل أحد الكهنة العراة	143
الشكل رقم (4) أحد الأختام يصور الملك وهو يقوم بسكب الماء المقدس	144
الشكل رقم (5) ابنة الملك الأكادي شروكين انخيدوانا باعتبارها كاهنة عليا	145
الشكل رقم (6) نموذج أثري لامرأة واقفة وعلى رأسها تاج الألوهية المقرّن	146
الشكل رقم (7) مسلة أورنامو	147
الشكل رقم (8) ملك يسكب الماء من كأس بيده اليسرى على وعائين وضعا أمامه	148
الشكل رقم (9) نحت بارز يعبر عن تدفق المياه	149
الشكل رقم (10) ختم يصور القرص المجنح الآشوري	150
الشكل رقم (11) لوحة التنصيب آلهتان تقفان على الجانبين بتقابل	151

الشكل رقم (12) مشهد طقسي، يصور الإله آشور كالجبل	152
الشكل رقم (13) قطع عاجية تشكل مشهداً فيه أربع زهريات تتدفق منها المياه	153
الشكل رقم (14) حوض تعبدي مستطيل الشك	154
الشكل رقم (15) ختم يظهر فيه صورة رمزية لمياه الأمطار	155
الشكل رقم (16) ختم يظهر فيه صورة رمزية لمياه الأمطار منبعثة من جناحي قرص	156
الشكل رقم (17) ختم يمثل ثلاث نسوة يحملن قرابين لإحدى الآلهات	157
الشكل رقم (18) مشهد "طقس تطهيري" يقوم به كاهنان عاريان	158
الشكل رقم (19) تمثال للملك كوديا يمسك بيديه إناء يتدفق منه الماء بصورة رمزية	159
الشكل رقم (20) مسلة العقبان	160
الشكل رقم (21) إناء طقسي فيه زرع	161
الشكل رقم (22) نموذج من حوض الماء المقدّس	162
الشكل رقم (23) نموذج آخر من حوض الماء المقدّس	163
قائمة المصادر والمراجع	164
ملخص الرسالة باللغة الإنكليزية	

مستخلص البحث

شكل ماء نهري دجلة والفرات في بلاد الرافدين إحدى الركائز الأساسية لقيام الدول وازدهارها، وكان عامل قوّة للقوى السياسية والاقتصادية الناشئة، كما شكّل للسكان عنصر وفرة وعطاء حيناً، وعنصر ضعف وهلاك حيناً آخر، فقد أدت الفيضانات حيناً وشح المياه حيناً آخر دوراً بارزاً في التأثير في نشاطات السكان الزراعية، في بلد كل عماده الماء والطمي والخصب الناتج عنه، وهنا جاء دور الفكر الرافدي الديني الذي جعل من المياه شيئاً أساسياً في العقائد الدينية للسكان؛ لأنَّ الإنسان كان يحتاج إلى الدين لتفسير الأشياء الأكثر أهمية في حياته، ومنها مسألة الماء، وقد وظف فكره الديني لمعالجة هذه القضية، فقام هذا الفكر بتخصيص آلهة للماء كانت مسؤولة عنه مستخدمة إياه بطريقي الخير والشر، ومن مظاهر قداسة الماء استخدامه في معظم الطقوس الدينية، ومنها تتويج الملك والاغتسال بالماء للكهنة "الماء المقدّس"، ووصل إلى درجة عالية من الأهمية في الفكر الرافدي كونه علة الخلق الأولى، فمن الماء خُلق الكون وخُلق الإنسان، وبالماء يَشفى الإنسان من مرضهِ بعد أن يرش من ماء المعبد أو يغتسل به أو يسبح في ماء النهر المُقدّس، وبسبب الماء ينال ثواباً أو عقاباً عبر الامتحان النهري المُقدّس الذي كان يُفرض على المتهمين دون إيجاد وسيلة لتثبيت التهمة أو إلغائها، فهو يُدين أو يُبرِّئ الشخص المُتهم، كذلك ينعم الإنسان بالماء بعد الممات، وبعد أن ينزل إلى العالم السفلي وفق معتقدات السكان الدينية، كما صورتها الأساطير الرافدية، فالماء حسب المعتقدات الدينية الرافدية ماء موت وماء حياة.

الكلمات المفتاحية: الماء– الدين– أنكي– طقوس الماء

- **التعريفات والمصطلحات المعتمدة:**

- **الإله أنكي:** أهم إله في ثقافة سكان بلاد الرافدين، فهو إله الماء، ومصدر الحياة والازدهار، وتأتي مرتبة أنكي بعد إنليل، وسبب تسميته بالأكادية بـ "**أيا**" يعود ربما إلى أقوام الجزيرة العربية الذين قدسوا الأرض كإله قبل مجيئهم إلى بلاد الرافدين، إن اسم أنكي حرفياً يعني سيد الأرض؛ لأن الأرض لا تحيا دون ماء، فقد أصبح إله المياه العذبة، أما اسم أيا فيشير إلى بيت أو معبد المياه، وسيد الماء العذب بالأكادية، وله كل خصائص المياه، فهو واهب الحياة، ومطهر، ودائم الوجود والصفاء، وذو سحر، ومتقلب، ومخادع.
- **الديانة الرافدية:** هي المعتقدات والممارسات والشعائر الدينية التي كان يؤمن بها سكان شعوب بلاد الرافدين، وكانت تقوم على تعدد الالهة، وعددها كبير، ولكل مدينة إله يحميها.
- **الماء المقدس:** هو الماء المبارك الذي دخل للمعبد، فأصبح أكثر قدسية ومباركة، وخصص للآلهة والملك ورجال المعبد والفئة الحاكمة فقط، وفيه أقيمت الطقوس المختلفة التي تبادل من خلالها المعبد والملك إشارات السيطرة والحكم على البلاد.
- **حوض الماء المقدس:** هو مكان الاستحمام الذي يملأ بالماء، ونال شهرته في النصوص المسمارية من خلال ارتباط استخدامه في طقس الملك البديل، وهو أحد الطقوس التي يحاول الملك فيها حماية نفسه من الأخطار المتوقعة، فعندما يحدث الخسوف أو الكسوف، أو خلال المعارك الكبرى، شاع هذا الطقس في العصر الآشوري الحديث خلال فترة الحكم لدى السلالة السرجونية.
- **الطوفان الرافدي:** قصة من القصص الدينية المتناقلة بين الشعوب، وتعبر عن الغضب الإلهي على البشر، وهي إحدى وسائل العقاب الجماعي من قبل الآلهة، وقد كان الطوفان في بلاد الرافدين ذا أهمية بالغة في الثقافة الرافدية القديمة؛ إذ ورد ذكر قصة الطوفان في المصادر السومرية والأكادية والبابلية.
- **الامتحان النهري المقدس:** إنه يشكل حالة انهيار معنوي للمتهم، فضلاً عن أنه يقوم برمي نفسه بالنهر، سواء كان يعلم السباحة أم لا، وغالباً ما كان المذنب يعترف قبل أن يرمي نفسه، وفي هذا الاختبار يطلب الكاهن، المسؤول عنه، عبر تعويذة خاصة من الآلهة إثبات براءته أو إدانته، إذ ارتبط مفهوم الاختبار النهري بشكل مباشر بالإله أنكي، فهو ملك الأقدار؛ لذلك فمصير من يرمى بالماء يحدده أنكي.

- المقدّمة:

يتفق معظم الباحثين على أن حضارة بلاد الرافدين واحدة من أعرق الحضارات وأقدمها في العالم استناداً إلى النصوص المسمارية والأدلة الأثرية المكتشفة التي أكدت قدمها وعراقتها، وأن هذه الحضارة ما كانت لتصل إلى ما كانت عليه من الأهمية والمكانة الراقية بين حضارات العالم القديم لولا وجود مقومات أساسية مادية وبشرية أسهمت في بنائها وتطورها، ويأتي في مقدمة تلك المقومات المادية الثروة المائية، ممثلةً بمياه النهرين العظيمين دجلة والفرات وروافدهما، وقد اكتسب العراق أهم تسمياته من خلال النهرين العظيمين دجلة والفرات وعرف بـ (بلاد الرافدين) أو (بلاد ما بين النهرين).

والماء أساس الحياة، فلولاه ما استطاعت الكائنات الحية العيش على ظهر اليابسة، ونظراً لأهميته ودوره في حياة الإنسان، استوطن هذا الأخير على مقربة من الأنهار، وأنشأ مستوطناته الأولى، ومدنه المتطورة إلى جوارها، فقد ساعده الماء على إطفاء ظمئِهِ وإشباع حاجاته الطبيعية لاستمرار حياته، وينطبق هذا التقليد على حضارة بلاد الرافدين التي قامت على ضفاف نهري دجلة والفرات، النهرين الكبيرين اللذين يخترقان أرض العراق من الشمال الى الجنوب، حيث أنشأت على ضفافهما أكبر المدن والقرى.

وكان الماء ممثلاً بنهري دجلة والفرات أحد العوامل التي أوصلت حضارة بلاد الرافدين إلى درجة عالية من الرقي والتقدم، فنظر الرافديون إليه نظرة مقدسة، ومما يؤكد ذلك النصوص، التي وصفته بأنه مني الآلهة. ويعد الماء المادة الأولى للخلق والعنصر الأساسي للحياة واستمرارها، وقد ألمحت الكثير من الأساطير أنه سر الحياة وسر التكوين وبداية الخليقة وأساس الوجود ومنه انبثق كل شيء. وانعكست أهمية الماء على أهمية إلهه إنكي، فقد كان واحداً من الثالوث المقدس (آن – إنليل – إنكي)، وظهر بمظهر العطوف على البشر، والحامي لهم.

ومن مظاهر تقديس الماء تقديس الرافديين لنهر دجلة والفرات، ومن أوجه استخداماته المقدسة دخوله في الكثير من الطقوس الدينية كطقوس التطهير، والسكب، وتلك التي تتعلق بالاستشفاء من المرض، غير أنه لم يظهر دائماً على هذا الوجه، فقد كان له وجه شرير، ومن مظاهر هذا الوجه الطوفان، الذي كان يصيب الناس بأضرار كبيرة عندما يحدث، وكان الرافديون يعتبرونه عقوبة إلهية، بسبب الآثام التي كانوا يرتكبونها.

وأصبحت قداسة الماء جزءاً من المعتقدات الرافدية الدينية القديمة، واحتوت هذه المعتقدات على إشارات تشير إلى أن الماء رمزٌ للخصب والشفاء من الامراض والنقاوة والتطهير، ولم يكن أنكي إله الماء الوحيد، بل كان يوجد عدد من الآلهة الأخرى للماء، الذي كان أساس الحياة ومنبع الخير والبركة وجالب الخصوبة، وكل هذه الصفات ما هي إلّا انعكاس لفوائد الماء اتجاه الأرض والإنسان.

ولا بد من الإشارة إلى أنَّ هذا البحث لم يتبنَ التطور الزمني للحضارات التي قامت في بلاد الرافدين كل حضارة على حده، بل اتبع التطور الحضاري لهذه الحضارات، وشملت كل الحضارات الرافدية من بداية الألف الثالث حتى سقوط بابل بيد الفرس في عام 539 قبل الميلاد، إذ إن التطوّر الحضاري لا يظهر متكاملاً إلّا بعد سنوات طويلة من تراكم المعرفة والخبرات الإنسانية في مجالات مُتعددة، وخلال الفترة الزمنية الطويلة لتشكّل المفاهيم، فإن دولاً تفنى ودولاً تُؤسس.

- إشكالية البحث وتساؤلاتها:

إنّ قلة الأبحاث المقدمة في دراسة مكانة الماء من الناحية الدينية، وعدم التعمق في الدراسات التي تناولت أسباب تقديس الماء في حضارة بلاد الرافدين، وعدم تركيزها على طقوس سكب الماء المقدس وأدواته، والحاجة إلى تبيان استخدام المياه كنعمة أو نقمة، وشغلها دور القاضي في الحكم، كل ذلك أدى إلى تراكم الكثير من التساؤلات التي تحتاج إلى إجابات، ومن هذا المنطلق يدرس هذا البحث قدر المستطاع الإجابة عن عدة تساؤلات أبرزها:

1. ما السبب الذي دفع الرافديين إلى تقديس الماء وتخصيص آلهة تتحكم به، ولماذا كان أساس الوجود والخلق؟
2. ما هي أوجه تقديس المياه في بلاد الرافدين، وهل فعلاً اعتمد فقط على مياه نهري دجلة والفرات كمصدر للماء المقدس؟
3. وما دور المعبد وتماثيل الآلهة والكهنة في تقديس المياه، وهل استمدت سلطتهم من قداسة الماء أو العكس؟
4. ما هو أثر الأسطورة في تأكيد قدسية الماء، وهل استطاع الكهنة إثبات قدسية الماء؟
5. ما هي الأسباب التي حولته من نعمة إلى نقمة في بعض الأحيان؟

وهذا كله يدفع إلى تساؤل آخر: هل كان له قوة خارقة خاصة جعلته مؤثراً في كل شيء؟ وإذا كان ذلك صحيحاً نتساءل: من أين استمد هذه القوة؟

- **هدف البحث:**

يهدف البحث إلى إبراز دور المياه المقدّس في حياة سكان بلاد الرافدين، وسيحاول الكشف أيضاً عن تأثيراته في حياة الناس من خلال استخداماتهم اليومية له، التي كانت تنبع من عقيدتهم الدينية، فالتطهير مثلاً هو تقليد رافدي يُطهر الجسد مما علق به من أوساخ، إلا أنه في الوقت نفسه يخضع لمعتقدات دينية، فالجسد عندما يُغسل بالماء يَطهر من النجاسات التي تحملها الأرواح الشريرة إليه، ويمكن القول هنا إنّ التقليد اليومي اختلط بالعبادة والمعتقدات. وللبحث هدف آخر، له أهمية كبرى، يتجلى بتحديد مكانة الآلهة التي كانت تتحكم بالماء، ومعرفة موقعها بين الآلهة الأخرى، رغم التداخلات في وظائف الآلهة التي نتجت عن سلالة الآلهة، فإله الماء هو الذي يُكلف آلهة الخصب والنبات والزراعة بمهامها، وهذا انعكاس واضح لأهمية المياه في منظومة الآلهة، ويساعدنا ذلك في معرفة الأهمية التي أُعطيت للماء مقارنة بمناحي الحياة الأخرى التي خُصصت لها آلهة أخرى. وسيسعى البحث إلى معرفة أسباب تحول الماء من نعمة إلى نقمة من خلال الطوفان والكوارث الطبيعية التي شغلت حيزاً كبيراً في المعتقدات الرافدية، فقد كان الأساس الديني للفيضانات أنه غضبٌ من الآلهة، التي أصبحت تستخدم المياه سلاحاً قاتلاً للناس، عقوبة لهم على إنكارهم الآلهة، كما يهدف البحث إلى إظهار العلاقة بين الماء كأساس للحياة والمعتقدات الدينية التي كان يؤمن بها سكان بلاد الرافدين، وهنا نجد تداخلاً كبيراً بين الحاجة اليومية للماء سواء للشرب أو الاغتسال أو الطهي أو تركيب الادوية وما شابه، وبين قدسيتهُ الدينية التي تقتصر على النهر والبئر المُحددين بدقة، رغم أن مصدر الماء واحد للجانبين.

- **أهمّيّة البحث ومبرراته:**

مع أهمية الموضوعات والدراسات التي أُنجزها الباحثون في تاريخ بلاد الرافدين وحضارتها، إلاّ أنه لم تُنجز دراسة أكاديمية خاصة عن الماء من الناحية الدينية، فمعظم ما أشير إليه في تلك الدراسات عن الماء وطقوسها في بلاد الرافدين لا يتعدى كونه فصلاً في دراسة عامة عن الماء، أو بحثاً صغيراً، أو مقدمة أو تمهيداً

للموضوعات الحضارية ذات العلاقة بالأرض والمناخ والمياه بصورة عامة، ولكي ندرك مكانة الماء في الديانة الرافدية يجب دراسته بطريقة معمقة استناداً إلى ما يتوفر لدينا من نصوص مسمارية، ومشاهد فنية، ودراسات سابقة.

كان للاكتشافات الأثريّة بها دورٌ أساسيٌّ في استنباط الحقائق ومعالجة البيانات، فمن خلال هذه الطريقة، يمكن تقديم دراسة متكاملة وواضحة إلى حد ما تجمع بين الاستخدامات اليومية للماء وبين الجانب الديني والفكري الذي أثر بهذه الاستخدامات، وجعلها تنحو منحاً معيناً يتناسب مع الأفكار التي أنتجها وروّج لها الفكر الديني بين الناس، وتحولت إلى معتقدات يؤمن بها الرافديون. وتنبع أهمية هذا البحث من أنّه يقدم دراسة أكاديمية متكاملة حول دور المياه المقدس في جميع أوجه الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية لسكان بلاد الرافدين.

ومن أهم مبررات البحث:

1. دراسة مكانة الماء في حضارة بلاد الرافدين دراسة علمية معمقة.
2. توضيح أسباب تقديس الماء في الديانة الرافدية القديمة.
3. تبيان طقوس سكب الماء المقدس في حضارة بلاد الرافدين.
4. توضيح دور الماء المقدس كونه نعمة أو نقمة على سكان بلاد الرافدين حسب المعتقدات الدينية.

- **منهج البحث وأدواته:**

المنهج المتبع في هذه الدراسة بداية هو المنهج الاستقرائي الذي سيتم من خلاله تحديد بعض الخطوط العريضة لموضوع الدراسة بالاعتماد على المراجع والنقوش وما كتب عن هذا الموضوع، ومن ثم استخدام المنهج الوصفي التحليلي الذي يحاول الاعتماد على نماذج من النقوش والمصادر الكتابية و المعتمد في جمع المواد الإخبارية من مختلف المصادر والمراجع التاريخية وذلك باتباع التحليل العلمي للأفكار و المواضيع وتبيان الآراء التي تناولت الماء في بلاد الرافدين بشكل كامل وخصوصاً ما يتعلق بالمعتقدات الدينية، بقدر ما تسمح به المعطيات الأثرية والتاريخية يليه استخدام المنهج الاستنتاجي الذي من خلاله سيتم التوصل إلى النتائج المرجوة منه سعياً وراء تحقيق هدف البحث.

أمّا أدوات الدراسة فهي النصوص المسمارية في بلاد الرافدين، والأساطير التي تناولت قداسة الماء في حضارة بلاد الرافدين، إضافة إلى الأدوات البحثية ومنها:

1. أسامة يحيى: الالهة في رؤية الإنسان العراقي القديم – دراسة في الأساطير.
2. انطوان مورتكات: الفن في العراق القديم، ترجمة وتعليق: عيسى سلمان وسليم التكريتي.
3. حكمت الأسود: القوى الروحية الكامنة في الماء والخبز والخمر ودورها في عملية التمدن الإنساني والتطور الحضاري في بلاد الرافدين.
4. مجلة سومر وهي من أهم المجلات وقد تم الاستعانة بها من خلال العديد من الابحاث فيها.

- **حدود الدراسة:**

1. **الحدود الزمنية:** من عام 2900 ق.م إلى 539 ق.م
2. **الحدود الجغرافية:** حدود العراق الجغرافية التي تصل إلى أعالي نهر دجلة في الشمال، وإلى الشرق حتى الأراضي الإيرانية لتندمج غرباً ببادية الشام ونهايات شبه الجزيرة العربية في الجنوب الغربي لتنتهي في أقصى الجنوب بالخليج العربي.
3. **الحدود الموضوعية:** يتناول البحث موضوع مكانة الماء المقدس في بلاد الرافدين التي تطرقت إلى أسباب تقديس الماء في حضارة بلاد الرافدين، وطقوس سكب الماء في الحياة الدينية، وتوضيح أهمية الماء كنعمة أو نقمة حسب معتقدات بلاد الرافدين الدينية.

- **الدراسات السابقة:**

هنالك بعض الدراسات التي ناقشت استخدامات المياه الدينية في بلاد الرافدين، إلا أنهُ لا توجد أي دراسة متكاملة لدور الماء الديني في حياة السكان، ومن الدراسات السابقة:

1- الأسود، حكمت بشير، (2017): قداسة الماء ورموزه في حضارة بلاد الرافدين، وهو بحث من 27 صفحة، منشور في موقع "بهنام أبو الصوف الإلكتروني"، وهو موقع علمي معتمد خاص بالدراسات الأثرية في الحضارة الرافدية، تحدث فيه الباحث عن أبرز رموز الماء في حضارة بلاد الرافدين، وعُدَّ الباحث في دراسته أن الماء رمز الحياة والبقاء المخلد، وعامل جوهري لإعادة الحياة وتجديدها وبعثها كل سنة، وجاء على ذكر أساطير حضارة بلاد الرافدين السومرية والرافدية التي تتعلق بقداسة الماء وكيفية نشوء هذه القادسة من خلال الإله أنكي، ثم ذكر آلهات الماء المقدس، وبيّن نظرة العراقيين القدماء إلى الأنهار على أنها مقدسة، ووصلت إلى حد عبادة الأنهار كنهري دجلة والفرات، كما وضع الرافديون الرموز المقدسة للماء على أنه الشافي والمطهر والباعث للخلود، كم أشار بعض الإشارات إلى طقوس الاستخدام للماء المقدس منها غسل الفم، والتطهير بالماء، وغسل الميت، وخُتم البحث في استخدام الماء في تركيب الأدوية.

2- عبد الحق، حسان، (2018م): الماء في الفكر الرافدي القديم، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 34، العدد4، عالج فيه الماء كعنصر الخلق وأساس الوجود حسب أساطير الخلق الرافدية السومرية والبابلية، وتطرق إلى الماء المقدس وكيفية تحكّم الآلهة به في الديانة الرافدية، كما تناول الباحث الماء كأساس الحياة ومصدرها، وجالب الخصوبة للتربة الزراعية وبعث الحياة فيها لإنتاج الغلال التي تؤمن أقوات الشعوب الرافدية، وأهميتهُ للكائنات الحية، وتطرق إلى كون الماء باعثاً للحياة في الآلهة الميتة، ويروي ظمأ الموتى من البشر، ودوره في التَّطهير والعقاب، والشفاء من الأمراض حسب المعتقدات الدينية الرافدية، ليس فقط في تطهير الأشخاص بل في تطهير الأرض المخصصة لبناء المعابد، ومن ناحية أخرى درس الباحث أهمية الماء في حياة البشر والحيوان كمدمر للبيوت والمعابد ومخرباً للأراضي الزراعية من خلال الفيضانات التي عزاها الرافديون إلى أسباب دينية، وتناول الماء أيضاً كقاتل ومهلك للبشر الذين ارتكبوا الكثير من الخطايا، يمكن القول إن البحث يمثل دراسة في أهمية الماء بشكل عام سواء أكان دينيّاً أم اجتماعيّاً.

وعلى هذا فإن الدراسات السابقة المشار إليها قد تطرقت إلى موضوع الدراسة تطرقاً سطحياً يخلو من التعمق في جزئيات العنوان، ولا سيما فيما يخص أسباب تقديس الماء وقدسيته من خلال تصورات آلهة بلاد الرافدين، وطقوس سكب الماء المقدس من خلال النصوص الرافدية المسمارية، وعدم توضيح القسم بالماء، وكيف كان الماء نعمة ونقمة على سكان بلاد الرافدين، فقد حاولت الدراسة توضيحها بشكل معمق ومفصل.

- **صعوبات البحث:**

كانت المصادر والمراجع المتخصصة بموضوع البحث قليلة، إضافة إلى أن أغلب الدراسات التي لها صلة بالموضوع دراسات أجنبية، مما شكل صعوبة بالترجمة إلى اللغة العربية، ولا سيما ما يخص مفردات تاريخ بلاد الرافدين الدينية، كما أن الدراسات العربية لم تكن وافية، مما شكل عبئاً كبيراً في الدراسة، وانطلاقاً من هاتين النقطتين كان من الصعب إيجاد بعض الإجابات الدقيقة في بعض نقاط البحث، وإطلاق أحكام نهائية في بعض أفكار البحث.

- **محتويات البحث:**

قُسم البحث لأربعة فصول؛ إذ خُصص الفصل الأول **كتمهيد تاريخي وسياسي** للفترة المدروسة، وفيها قراءة سريعة للحكم السياسي في البلاد، وكذلك جغرافيتها، والأنهار الرئيسة وروافدهم، فقد تعاقبت الحضارات على هذه البلاد مما أدى إلى ترسيخ الدين أكثر، ومعه المعتقدات والطقوس الخاصة به، أما الفصل الثاني المعنون بـ **(أسباب تقديس الماء وتجسيد قدسية الماء في الديانة الرافدية القديمة من خلال تصورات: الآلهة – الفن – العالم السفلي)** فقد سلط فيه الضوء على أسباب تقديس الماء وإله الماء والآلهة المرتبطة به، وكذلك ناقش اللوحات الفنية الأبرز التي جسدت قدسية المياه، وأخيراً عرّج على قدسية الماء والحاجة إليه في العالم السفلي كباعث للحياة، إذ شكل هذا الفصل شرحاً وافياً لأبرز التصورات الرافدية القديمة لعلاقة المياه بالدين، أما الفصل الثالث المعنون بـ **(طقوس سكب الماء في الحياة الدينية في بلاد الرافدين)** فقد كان له أهمية بالغة في تفسير قدسية المياه في الحياة اليومية لسكان بلاد الرافدين، فلم يكن الماء وسيلة عيش وزراعة فحسب، بل كانت له مكانة بارزة في حياة السكان وفقاً لصفتهِ المُقدسة لديهم، فيما كان الفصل الرابع المعنون بـ **(الماء نعمة ونقمة حسب المعتقدات الدينية لسكان بلاد الرافدين)** منطوياً على كثير من الحقائق حول النظرة الدينية للمياه في العلاج من السحر، وفي العقاب الناتج عن غضب الآلهة، ولعل هذا الفصل يحوي تناقضاً مهماً في علاج الفكر الرافدي للخير والشر الناتج عن المياه بشكل عام.

الفصل الأول

التمهيد الجغرافي والتاريخي

أولاً: التمهيد الجغرافي:

1. **أصل التسمية**
2. **الموقع**
3. **التضاريس**

هـ. إقليم المنطقة الجبلية وشبه الجبلية

و. إقليم السهل الرسوبي

ز. إقليم الهضبة الصحراوية

- ✓ هضبة الجزيرة
- ✓ هضبة البادية الغربية (بادية السماوة)

ح. إقليم الجزيرة

4. **المناخ**
5. **الأنهار:**

أ- نهر دجلة

ب- نهر الفرات

ثانياً: التمهيد التاريخي:

1. **السومريون**
2. **الأكاديون**
3. **العصر الغوتي**
4. **عصر الإحياء السومري:**

أ- سلالة لاجاش الثانية

ب- عصر سلالة أور الثالثة

5. **البابليون**

6. مملكة ماري

7. الأشوريون

أ- العهد الآشوري القديم

ب- العهد الآشوري الوسيط

ت- العهد الآشوري الحديث

8. الكلدانيون

أولاً: التمهيد الجغرافي:

1. أصل التسمية:

اختلف الباحثون في أصل كلمة عراق، حيث تباينت الآراء حول أصل التسمية فهناك فريق يرى أن كلمة عراق عربية الأصل، ومعناها الشاطئ، فالبلاد القريبة من البحر تسمّى عراق، ولكون المنطقة الجنوبية تشكّل شاطئا لنهري دجلة والفرات فقد أطلق عليها هذا الاسم، وأيضاً؛ لكلمة عراق معنى آخر وهو الجبل أو سفح الجبل، على حين يرى بعض المؤرخين أن كلمة عراق ترجع في أصلها إلى لغة قديمة، تكون سومرية أو لقوم من غير الساميين الذين استوطنوا المنطقة في عصور ما قبل التاريخ وهي مشتقة من كلمة أوروك أو أنوك التي تعني المستوطن، وهذه الكلمة سميت بها المدينة السومرية الوركاء، كما أن الكلمة نفسها تدخل في تركيب أسماء عِدة مدن أخرى قديمة مثل أور وهناك من يرى أن أصل الكلمة أجنبي وتعني إيراء أي الساحل وقد عُربت إلى إيراق ثم عراق[1].

ويُرجح طه باقر أنها كلمة فارسية تعني السهل أو السواد أو البلاد السفلى وهي كلمة معربة عن كلمة ايراك[2]، والعراقيون القدماء لم يطلقوا مصطلح أورك أو عراق على القطر أو على جزء منه، بل كان ملوكهم في عصر فجر السلالات يلقب كل منهم نفسه بلقب حاكم المدينة التي يحكمها، بينما أطلقوا على بلادهم عدة تسميات حسب الفترات التاريخية، فسموا جنوب العراق في فجر تاريخه "مات شومري" التي تعني سومر بالأكادية، أمّا في اللغة السومرية فكانت ((ki–en–gi (r) التي تعني أرضاً زراعية أو بلاد القصب، ومنذ أواسط الألف الثالث ق.م عندما تأسست أكد عاصمة الدولة الأكادية أطلق على القسم الأوسط من العراق بدءاً من شمال بغداد قليلا إلى الجنوب مدينة بابل (بلاد أكد)، ومنذ الألف الثاني ق.م استخدم مصطلح بابل نسبة إلى مدينة بابل للدلالة على بلاد سومر وأكد، بينما سُمي الجزء الشمالي ببلاد أشور نسبة إلى عاصمتها أو إلهها أشور[3].

---

[1] مجموعة مؤلفين، حضارة العراق، دار الحرية، بغداد، 1985م، ج 1، ص13–14.

[2] باقر؛ طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق، ط2 ، بغداد، 2009م، ص20 .

[3] المرجع نفسه، ص 22.

لقد استعمل هيرودوت مصطلح بلاد بابل وأشور للدلالة على بلاد الرافدين (العراق) ككل، كما استعمل مصطلح كالدية نسبة إلى الكلدانيين الآراميين الذين أسسوا الدولة الكلدانية بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد[1].

وفي الفترة ما بين القرن الرابع والثاني قبل الميلاد ظهر استعمال واسع لمصطلح (Mésopotamia) ميزوبوتاميا، وهي تسمية إغريقية الأصل وردت في البدء عند بوليبوس في القرن الثاني قبل الميلاد وسترابون في القرن الأول قبل الميلاد لإطلاقه على الجزء المحصور بين دجلة والفرات من الشمال إلى حدود بغداد تقريبا إلا أن هذه التسمية أخذت معنى أوسع من تلك التي قصدها الإغريق حيث امتدت إلى المناطق الحضارية حول النهرين أيضاً، وقد أدرك الإغريق ذلك فأضاف بعضهم إليه لفظ بارابوتاميا (Parapotamia) أي ما وراء النهرين أو ما حولهما[2].

وكان العرب يطلقون على القسم الجنوبي من بلاد الرافدين (العراق) اسم أرض السواد أو العراق والقسم الشمالي الجزيرة، وهو ما يطابق هذه التسمية[3]، ترجع تسمية البلاد باسم السواد إلى كثرة المزروعات والأراضي السوداء المستغلة في الزراعة[4].

2. الموقع:

كان لموقع بلاد الرافدين الجغرافي أثر مهم في سير تاريخه سواء كان ذلك من ناحية الطقس والمناخ أو الاقتصاد بوجه عام من ناحية، وتركيبته السكانية التاريخية، واتصاله بأقطار أخرى والاقوام المجاورة من ناحية أخرى[5]، وكان لهذه العوامل تأثير عميق على الإنسان حيث أسهمت في تشكيل صفاته الجسمية والخلقية وتحديد أفكاره ومعتقداته الدينية، وبذلك فتاريخ أي بلد من بلدان الشرق الأدنى يجب أن يبدأ بدراسة الطبيعية الجغرافية

---

(1) Hérodote, Histoires, Livre I, traduit par, Legrand, Les belles lettres, Paris, 1936, p 177

(2) سليم؛ أحمد أمين، العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة، الجامعية، القاهرة، 2000 م، ص93.

(3) مجموعة مؤلفين، حضارة العراق، ص 15.

(4) سليم، العصور الحجرية، ص 94.

(5) باقر، المقدمة، ص 33.

وأرض الرافدين لا تخرج عن هذه القاعدة[1]. وتشغل أرض العراق مساحة جغرافية واسعة تمتد من رأس الخليج العربي جنوباً حتى منطقة الجبال شمالاً وتدور على محور طولي يبلغ نحو 1200 كم[2].

أما حدود بلاد الرافدين الجغرافية فتصل إلى أعالي نهر دجلة في الشمال، حيث تقف جبال زاغروس حاجزاً بينها وبين الأناضول، وأما في الشرق فتفصلها الجبال عن الأراضي الإيرانية لتندمج غرباً ببادية الشام ونهايات شبه الجزيرة العربية في الجنوب الغربي، لتنتهي في أقصى الجنوب بالخليج العربي الذي يشكل حدوداً بحرية تمتد لأكثر من60 كم تقريباً[3]، وتبلغ مساحة العراق 446.713 كم^2[4].

تقع بلاد الرافدين بين درجتي عرض (29,20–37,50) درجة شمالاً وبين خطي طول(38,50– 48,50) شرق غرينتش، تشغل الجمهورية العراقية حاليا المساحة الأكبر منها، وتنال الجمهوريَّة السّوريَّة العربيَّة جزءاً صغيرا منه في شمالها الشرقي[5] .

3. التضاريس:

أ. إقليم المنطقة الجبلية وشبه الجبلية:

تقع في الجزء الشمالي والشمالي الشرقي من بلاد الرافدين وتشكل حاجزاً طبيعياً من سلاسل جبلية تفصل الأراضي الرافدية عن الإيرانية في الشمال، أما سفوحها الداخلية فتنحدر نحو السهل الرسوبي في وسط العراق وتحاذي الأراضي السورية عبر الامتدادات الغربية لها وتمتد هذه الجبال من الشمال الغربي إلى الشرق فالجنوب الشرقي على مساحة تقارب 90 كم^2 تقريباً، أما أقصى ارتفاع لها فهو 800 م[6].

تنبع أهمية الجغرافية لهذا الإقليم من أن كافة روافد نهر دجلة تنبع من سلاسلها الجبلية وثم مجراها في ممرات ضيقة داخل الانكسارات الجبلية المنحدرة بشدة نحو الداخل، أما أهميتها التاريخية والحضارية؛ فهي أهم شريان

---

(1) رو؛ جورج، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1986، ص19–20.

(2) ظاهر؛ حمود حسن، التجارة في العصر البابلي القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، 1985 م، ص4–5.

(3) Bertman, Stephen, Handbook to life ancient Mesopotamia, library Of Congress, New York, 2003, p 2.

(4) الحسني؛ عبد الرزاق، العراق قديما وحديثا، مطبعة العرفان، صيدا، بيروت، 1958 م، ص7.

(5) الخلف؛ جاسم محمد، محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، معهد الدراسات العربية العالمية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1961، ص7.

(6) الخطيب؛ فردوس، النبات في بلاد الرافدين في العصور القديمة (3000 ق.م – 539 ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، دمشق، 2015 م، ص 8–9.

اقتصادي حيوي تم من خلاله تبادل المواد التجارية كالمعادن والأحجار الكريمة والعطور والأخشاب والذهب من وإلى بلاد الرافدين[1].

أما تضاريسها؛ تلي منطقة السلاسل العالية والجبال الشاهقة منطقة شبة جبلية تبدأ في الشمال الغربي حيث ترتفع سلال سنجار وتلعفر والعطشان ومكحول وصولاً إلى حمرين في أقصى الجنوب الشرقي وهي سلاسل قليلة الارتفاع وهضاب واطئة تتابع الأنهار القادمة من أعالي الجبال جريانها خلاله فتحفر فيها الأودية على طول مساحات الجريان[2].

ب. إقليم السهل الرسوبي:

يعد السهل الرسوبي من أهم الأقاليم إذ إنه شهد قيام أقدم الحضارات الإنسانية العريقة فيه حتى الآن، يشمل السهل الرسوبي المنطقة المحيطة بضفاف نهري دجلة والفرات والممتد بين مدينة سامراء على نهر دجلة ومدينة الرمادي هيت على نهر الفرات شمالاً وإلى الخليج العربي جنوباً، وتقدر مساحته بخمس مساحة العراق اليوم أو ما يساوي (93) ألف كيلو مترا طولا و(250) كليو مترا عرضا باتجاه شمالي غربي جنوبي شرقي ويحد هذا السهل إيران من جهة الشرق والهضبة الصحراوية من جهة الغرب[3].

ويمتاز إقليم السهل الرسوبي بانبساطه وانخفاضه، وينحدر بشكل تدريجي نحو الجنوب الشرقي[4]، ومما زاد من أهميته أنه مجرى للنهرين العظيمين دجلة والفرات واللذين شيّد على ضفافهما معظم المدن السومرية القديمة، فقد قام هذان النهران بدور كبير في عملية النقل من الشمال وإلى الجنوب وبالعكس لاسيما أنَّه كان لهذا السهل مكانة تجارية متزايدة في العصور جميعها وأتاح انبساط الأرض فيه سهولة حركة التجارة عبر طرق المواصلات

---

[1] أوبنهايم؛ ليو، بلاد ما بين النهرين، تر: سعدي فيضي عبد الرزاق، منشورات دار الرشيد، بغداد، 1981، ص48.

[2] الخلف، جغرافية العراق الطبيعية والبشرية والاقتصادية، ص59– 62.

[3] المرجع نفسه، ص 38–41.

[4] شريف؛ إبراهيم، الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي، بغداد، د.ت، ج1، ص15.

النهرية والقنوات المتفرعة منها[1]، وتنتشر في القسم الجنوبي من هذا السهل الأهوار والمستنقعات وتتركز حول مدن العمارة والناصرية والبصرة[2].

ج. إقليم الهضبة الصحراوية:

من أوسع الأقاليم الطبيعية في العراق إذ تقدر مساحته بأكثر من نصف مساحة العراق، ويقع الإقليم في الجهة الجنوبية الغربية من المنطقة شبه الجبلية وإلى الجهة الغربية الشمالية من السهل الرسوبي، ويُعد امتداداً طبيعياً لبادية الجزيرة العربية التي تمتد إلى داخل ارض العراق وسوريا[3]. ويمكن تقسيم إقليم الهضبة الصحراوية في بلاد الرافدين إلى قسمين هما:

- ✓ **هضبة الجزيرة:**

يمكن تتبع امتداد هذه الهضبة غرب جبال حمرين وامتدادها ما بين جبال مكحول – سنجار شمالا وحتى وادي الفرات غرباً، أما من الجهة الجنوبية فيحدها السهل الرسوبي[4]، فتنحدر أراضي هذه الهضبة بشكل عام نحو الجنوب، وقد شقت مياه السهول الجارية من الشمال اتجاهات الاودية فيها نحو نهري دجلة والفرات، وكان لهذه الوديان مع العيون والآبار المنتشرة في المنطقة أهمية كبيرة لنشاط طرق التجارة إذ كانت تمر منها طرق ومسالك لسير القوافل التجارية القديمة[5]. ويتمتع هذا الإقليم في بعض السنوات بتوافر ظروف مناخية ملائمة ولاسيما عند سقوط الامطار الكافية في موسمي الشتاء والربيع لنمو المحاصيل الزراعية، ويوفر أيضا ظروفاً جيدة صالحة للرعي[6].

- ✓ **هضبة البادية الغربية (بادية السماوة):**

تمتد على طول ضفاف نهر الفرات نحو الغرب باتجاه سوريا وبادية الجزيرة العربية في الجنوب، وتتوافر في نطاق هذه الهضبة عدة أودية تمتلئ بالمياه من جراء السيول المتّجهة من الشمال عقب موسم سقوط الأمطار

---

(1) الهاشمي؛ رضا جواد، دور نهر الفرات في الامتدادات الحضارية لبلاد وادي الرافدين، مجلة بين النهرين، ع44، 1983م، ص293.

(2) هستد؛ كوردن، الأسس الطبيعية لجغرافية العراق، تر: جاسم محمد الخلف، بغداد، 1948، ص 52.

(3) الانصاري؛ يوسف، جغرافية البيئات الطبيعية، القاهرة، 1973، ص 107.

(4) الخلف، محاضرات في جغرافية العراق، ص 53–56.

(5) شريف؛ إبراهيم، الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي، مطبعة شفيق، بغداد، د.ت، ج1، ص 124– 127 .

(6) حمود، التجارة في العصر البابلي القديم، ص9.

عليها وبشكل عام، فإن معدل كمية الأمطار الساقطة ويُقدَّر بـ 50 –101 ملم سنوياً[1]، لا تكفي إلا لنمو بعض النباتات الصحراوية[2]. تنتشر في هذه المنطقة بعض العيون والآبار، فقد شكلت خطوطاً محددة لمسارات تنقل القوافل التجارية القديمة والحملات العسكرية فيها[3].

د. إقليم الجزيرة:

حيث تكثر الكثبان الرملية في الأراضي الواقعة شمال غربي بلاد الرافدين (العراق) إضافة إلى أراضي شمالي وشمال شرقي سورية وتساهم حركة الرياح الشديدة في تحريكها، كما تؤثّر زوابعها الرملية في تغيير مجاري الأنهار القريبة منها، وردمت أودية كثيرة فيها مما يغير صفات المنطقة تغييراً مستمراً[4].

4. المناخ:

أما مناخه فقاري قارس البرودة في الشتاء، ولا سيما في الشمال، ولافح الحرارة في الصيف ولاسيما في الجنوب[5]، وعلى العموم فقد كانت تطرأ عليه تغيرات فجائية، وفي فصل الشتاء فإن هبوب الرياح يأتي من الشمال الشرقي مجتازاً بذلك المرتفعات الثلجية في أرمينيا، فتتسبب في انخفاض كبير في درجة الحرارة مشكلة غطاء جليدياً ابتداء من شهر تشرين الثاني[6] .

5. الأنهار:

أ- نهر دجلة:

ينبع من جبال أرمينيا جنوب غرب بحيرة وان في آسيا الصغرى، ويبلغ طوله حتى مصبه في الخليج العربي 1850كم، وترفده أنهر رئيسية وفرعية أهمها الزاب الأعلى والأسفل وديالي من منبعه حتى الجزء الشمالي من أواسط العراق، وهنا يصبح مجراه عميقا وضيقا ومياه فيضاناته محصورة داخل هذا المجرى، لذلك يعرف بسرعة الانحدار والاندفاع، وتستغرق فيضاناته ثلاثة أشهر خلال فصل الربيع من كل عام.

---

[1] الطائي؛ محمد حامد، تحديد أقسام سطح العراق، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، ع5، 1969م، ص26.

[2] حمود، التجارة في العصر البابلي القديم، ص9.

[3] حمود، المرجع نفسه، ص10.

[4] فردوس، النبات في بلاد الرافدين في العصور القديمة، ص12.

[5] الحسني، العراق قديماً وحديثاً، ص7.

[6] سليم؛ احمد، دراسات في تاريخ وحضارات الشرق الدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م، ج 5، ص97– 100.

ب- نهر الفرات:

يبلغ طول نهر الفرات حوالي 2600 كم من منابعه المتعددة في جبال الأناضول حتى مصبه في الخليج، ويتميّز بنحدار انسيابه داخل الأراضي العراقية لعدم وجود مناطق ذات انحدارات كبيرة، لذلك تتدفق مياهه خارج مجراه وعلى نطاق واسع لتغمر مساحات شاسعة من الأراضي حوله في موسم الفيضان الذي يستغرق ضعفي زمن فيضانات نهر دجلة حيث تبدأ في أول الربيع ولا تنتهي إلّا في شهر سبتمبر من كل عام[1]، أمّا سبب فيضانه فيعود إلى ذوبان الثلوج المتراكمة في جبال كردستان وأرمينيا في فصل الربيع[2].

ولا بد من الإشارة إلى أن نهري دجلة والفرات كانا يصبان بشكل منفصل في الخليج، ولا يعرف على وجه التحديد الزمن الذي تلاقى فيه هذان النهران ليكونا اليوم ما يُعرف بشط العرب، ويمتد طول شط العرب حوالي 204 كم ويصب فيه نهر السويب والكارون النى يصب فيه عند مدينة المحمرة ويراوِح عرض شط العرب بين 400 م عند العشار إلى نحو 1500م عند مصبه في رأس الخليج[3]. ولعب هذان النهران دوراً هاماً في نشأة حضارة بلاد الرافدين، لأن معظم الحضارات القديمة قامت حول مصادر المياه كالحضارة الفرعونية، فالمياه ضرورية لكل الحياة الإنسانية كما جاء في القرآن الكريم ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[4].

ثانياً: التمهيد التاريخي:

1. السومريون:

يعد السومريون من أوائل الشعوب التي سكنت جنوب بلاد الرافدين، واستطاعت وضع أسس الحضارة الأولى في تلك المنطقة، ويرجع ظهورهم إلى حوالي 4000 ق.م، وقد أطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى المنطقة الجنوبية

---

[1] سلمان؛ توفيق، دراسات في حضارات غرب أسيا القديمة من أقدم العصور إلى عام 1190 ق.م الشرق القديم بلاد ما بين النهرين – بلاد الشام، دار دمشق، دمشق، 1985م، ص97.

[2] دلو؛ برهان الدين، حضارة مصر والعراق، دار الفارابي، بيروت، 1989م، ص196.

[3] باقر، المقدمة، ص65-66.

[4] القرآن الكريم. سورة الأنبياء، الآية رقم 30.

من وادي الرافدين التي كانت تعرف باسم سومر، وهي تشمل الأراضي الفاصلة بين نهري دجلة والفرات، وتمتد لمسافة 350 كم ما بين موقع مدينة بغداد وموقع مدينتي أور وأريدو بالقرب من شط العرب[1].

وقد اختلف الباحثون حول الموطن الأصلي للسومريين، أو الطريق الذي سلكوه إذ لا توجد دلائل ثابتة حتى الآن، فمنهم من يرى أن السومريين جاؤوا من المناطق الجبلية الواقعة إلى شرق العراق أو شماله الشرقي، وذلك في منتصف الألف الرابع منذ النصف الثاني من عصر الوركاء[2]، ومنهم من يقول إنهم وفدوا من موطنهم الأصلي في جنوب الهند، ويتجه أصحاب هذا الرأي إلى الربط بين السومريين والعيلاميين[3] الذين استقروا في شرقي الحوض الأدنى لنهر دجلة، لأن الأواني الفخارية التي عثر عليها من مخلفات الشعبين كانت متشابهة إلى حد كبير كما تقاربت الكتابة عندهما[4].

ويرى فريق آخر أن السومريين هاجروا من منطقة تقع بين شمال الهند وبين أفغانستان وبلوخستان إلى بلاد الرافدين عن طريق الخليج العربي[5]، مستندين في ذلك إلى التشابه الحضاري بين الحضارتين[6]، بينما يذهب جمهور آخر من الباحثين إلى اعتبار السومريين من الأقوام التي سكنت وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ وأن حضارتهم أصيلة في العراق، بل ويمكن تسمية شعب حضارة العبيد[7] بالسومريين[8].

---

[1] إسماعيل؛ حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته – بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1997م، ص23.

[2] حماد؛ حسين فهد، موسوعة الآثار التاريخية – حضارات، شعوب، مدن، عصور، حرف، لغات، دار أسامة، عمان، 2003م، ص357.

[3] العيلاميون: شعب كان يعيش في مدن إقطاعية مشكلة مدن الدولة، وأهم مدينة أسسوها مدينة سوس التي أصبحت عاصمة للدولة وجمعت بعد ذلك مدنهم في دولة واحدة، وقد كانوا في حالة نزاع مع دول ما بين النهرين، ويعود أول نزاع بينهم إلى عهد مدينة أريدو، كما تشير إلى ذلك ملحمة جلجامش، استمر الصراع إلى غاية الدولة الأكادية فهزمهم شاروكين الأكادي، ولكنهم سرعان ما استفادوا من ضعف أكاد في عهد الملوك اللاحقين وسيطروا عليها بصفة نهائية واضعين حداً لوجودها. حماد، موسوعة الآثار التاريخية، ص434.

[4] إسماعيل، الشرق العربي القديم وحضارته، ص10. أمهز؛ محمود، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت، 1972م، ص49 –51.

[5] مهران؛ محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم – تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1990م، ص91.

[6] الأحمد؛ سامي سعيد، السومريون وتراثهم الحضاري، مطبعة الجامعة، بغداد 1975م، ص42.

[7] العبيد: أو دور العبيد وسميت بهذا الاسم نسبة إلى موقع العبيد الذي جرت فيه الحفريات، ويقع على بعد ستة كيلومترات غرب أور (لواء الناصرية) ، وقد اكتشف خرائب العبيد عام 1919م العالم الأثري البريطاني المستر هول Hall، وامتازت هذه الحضارة باستخدام الأدوات الحجرية بصورة رئيسية، واستمرت هذه الحضارة أربعة قرون ويعتبر العبيديون الأسلاف المباشرين لأوائل السومريين. دلو، حضارة مصر والعراق، ص205.

[8] سعد الله؛ محمد علي، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم – العراق، سورية، آسيا الصغرى – دراسة تاريخية وحضارية، دار المعرفة الجامعية، 2003، ص69.

ويؤيد هذه الفرضية الدكتور طه باقر الذي يرى بأن السومريين هم إحدى الجماعات المنحدرة من بعض الأقوام المحلية التي قطنت منطقة وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ، وهي العصور التي سبقت عصر فجر السلالات، وأنهم عُرفوا باسم المركز الذي تمركزوا فيه وهو القسم الجنوبي الذي يُسمى باسم سومر(شومر)[1]، ويرى بعض العلماء أن السومريين ليسوا من الجنس السامي الذي سكن في وادي الرافدين، وذلك بعد أن درس عدد من علماء الأجناس بعض الهياكل العظمية من قبور السومريين ووجدوا فروقاً واضحة، فالصفات الخلقية للسومريين مختلفة عن الساميين من سكان بلاد الرافدين وسائر بلاد العرب في القامة والسحنة[2]. مهما يكن من أصل السومريين وطريق مجيئهم إلى جنوب وادي الرافدين فمما لا ريب فيه أنهم أسهموا مساهمة فعالة في خلق وازدهار حضارة وادي الرافدين في الألف الثالث قبل الميلاد[3].

استطاع السومريون بسط نفوذهم منذ عصر السلالات الباكرة الأولى أي بعد نهاية حضارة جمدة نصر[4] في حدود 2900 ق.م، واستمر هذا النفوذ حتى قيام الإمبراطورية الأكادية 2350 ق.م، كما أُطلق على هذا العصر عصر دول المدن، حيث كانت كل مدينة مع ضواحيها ومجموعة قنوات الري التابعة لها تشكل دولة مستقلة ترتبط بعلاقات مختلفة مع باقي المدن المحيطة بها.

إذ تؤكّد الدراسات التاريخية بأن عدد دويلات المدن التي وجدت في بلاد سومر لم تكن لتزيد على ثلاثَ عشرةَ مدينةً وهي: سبار(تل أبو حبة)- كيش (تل الأحيمر)- أكشاك- لاراك- نيبور(نفر)- آداب(بسمايا) - أوما (جوخا) - لجش(تللو) - أرك (الوركاء) - لارسا (سنكره) -أور (تل المقير) بادتبيرا، أريدو(أبو شهرين)[5]، تمتد

---

[1] سعد الله، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص89.

[2] فرزات؛ محمد حرب – مرعي؛ عيد، دول وحضارات الشرق العربي القديم، ط2، دار طلاس، دمشق، 1994م، ص53.

[3] الأصيل؛ ناجي، رحلة في مواطن الآثار رحلة إلى جنوب العراق، مجلة سومر، مديرية الآثار القديمة العامة، بغداد 1946م، مج1، ج1، ص89.

[4] جمدة نصر: تمثل المرحلة الحضارية الأخيرة لعصر السلالات، ويقع تل جمدة نصر على بعد 24 كم شمال شرق كيش غير بعيد عن الموقع الذي أُقيمت عليه بابل، ويعود تاريخ هذه المرحلة إلى حوالي 3200 – 2900 ق.م، وتتميز هذه المرحلة بتنظيم الري، وتطوير الإنتاج، وتقدم الصناعة. دلو، حضارة مصر والعراق، ص208.

[5] الذنون؛ عبد الحكيم، الذاكرة الأولى دراسة في التاريخ السياسي والحضاري القديم لبلاد الرافدين، ط2، دار المعرفة، دمشق 1993م، ص52 – 57.

من الشمال إلى الجنوب ولكن الحفريات الأثرية أظهرت أن مدناً مهمة أخرى قد وجدت في مناطق أخرى من البلاد كانت خاضعة لتأثير حضاري سومري مثل: ماري (تل الحريري) ومدينة آشور (قلعة الشرقاط)[1].

واستناداً إلى قائمة الملوك السومرية فقد تعاقب على حكم دول المدن السومرية عدة سلالات أهمها سلالة كيش الأولى التي تعتبر أول السلالات السومرية بعد الطوفان، وقد بلغ عدد ملوك أسرة كيش كما ورد في قائمة الملوك السومرية ثلاثة وعشرين ملكاً، وكان أشهر ملوك هذه السلالة الملك (إيتانا)[2] وسلالة أور الأولى، وقد عثر في خرائب مدينة أور على رقم طينية مُدون فيها أعمال ملوك من هذه السلالة منهم الملك ميس آني بدا مؤسس هذه السلالة[3]، وأهم ما يميز هذه السلالة هي المقبرة الملكية المكتشفة في أور[4].

2. الأكاديون:

هم أول شعب سامي ظهروا منذ الألف الثالث ق.م في بلاد الرافدين حول مدينتي كيش وآشور وامتزجوا بالسومريين وتأثروا بحضارتهم[5]، فقد عاش هؤلاء جنباً إلى جنب مع السومريين، وتفاعلوا معهم قبل أن يتمكنوا من الاستيلاء على السلطة، وظهر هذا التفاعل في عدة مجالات ففي نطاق اللغة استعار الأكاديون كثيراً من المفردات والمصطلحات السومرية كما أنهم مارسوا المعتقدات والطقوس والشعائر الدينية السومرية ذاتها، وقد أدى هذا التفاعل إلى انصهار الأكاديين والسومريين في بوتقة حضارة أصيلة واحدة، حتى إنه أصبح من الصعب التمييز بين ما هو سومري الأصل وما هو أكادي[6].

ويعد الملك شاروكين الأول (2334 – 2279 ق.م)[7] مؤسس الامبراطورية الأكادية أشهر ملوك أكاد فقد تمكن من انتزاع السلطة من الملك لوجال زاجيزي، واستطاع في غضون فترة قصيرة بسط نفوذه على كل بلاد سومر محققاً لأول مرة وحدة بلاد الرافدين، حيث امتد نفوذه حتى جبال طوروس وقد عبر شاروكين الأول عن هذا

---

(1) رشيد؛ عبد الوهاب حميد، حضارة وادي الرافدين– ميزوبوتاميا–، ط 1، دار المدى، دمشق 2004م، ص47.

(2) Kramer, S.N, The Sumerians, London, 1970, p. 43.

(3) باقر، المقدمة، ص105–106.

(4) هبو؛ أحمد ارحيم، تاريخ الشرق القديم بلاد ما بين النهرين، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1996م، ص100.

(5) عبد الله؛ فيصل– مرعي؛ عيد، المدخل إلى تاريخ الحضارة، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2008م، ص78.

(6) علي؛ فاضل عبد الواحد وآخرون، جوانب من حضارة العراق – العراق في التاريخ–، دار الجيل، بغداد، 1988م، ص74–75.

(7) عبد الله؛ فيصل– مرعي؛ عيد، تاريخ الوطن العربي القديم – بلاد الرافدين، جامعة دمشق، 2013–2014، ص205.

الامتداد الواسع لامبراطوريته في أحد نصوصه قائلاً: "**والآن أيَّاً كان الملك الذي يدَّعي أنه نظير لي فليصل إلى حيث وصلتُ أنا**"[1].

اعتلى عرش أكاد بعد وفاة شاروكين الأول ابنه ريموش (2278–2270 ق.م) ومن ثم ابنه الثاني مانيشتوسو(2269–2260 ق.م)، وقد قامت في عهدهما عدة ثورات ضد الحكم المركزي فشُغلا في إخماد تلك الثورات[2]، ثم جاء ابن مانيشتوسو ويدعى نارام سين (محبوب سين) (2260– 2223 ق.م) الذي استمر حكمه حوالي سبع وثلاثين عاماً قضاها في حروب مستمرة فقد قمع تمرد حاكم مدينة كيش[3]، وخلفه ابنه شاركالي شاري الذي ورث أوضاعاً داخلية وخارجية صعبة خلفها له والده، وقد حاول شاركالي شاري (2223–2198 ق.م) ملك الملوك وكان عليه مواجهة خطرين كبيرين هددا الدولة الأكادية وهما: الخطر الأموري من الغرب من منطقة بادية الشام والخطر الغوتي في الشرق وقد صدهما بنجاح، وبعد وفاته عصفت الفوضى والاضطرابات بالإمبراطورية الأكادية وظلت هكذا إلى أن سقطت بيد الغوتيين عام 2159 ق.م[4].

3. العصر الغوتي:

بعد تداعي الدولة الأكاديّة وتفككها غزاها الغوتيين[5]، وسيطروا على أكاد وقاموا بتدميرها عام 2159 ق.م، وخربوا الملاحة في نهر دجلة، ودمروا الزراعة، وعم الفقر والبلاء في البلاد، واستمر حكمهم الذي اتسم بالفوضى والاضطراب حتى عام 2116 ق.م.

---

[1] علي، جوانب من حضارة العراق، ص77.

[2] مرعي؛ عيد، اللسان الأكادي – موجز في تاريخ اللغة الأكادية وقواعدها، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2012، ص18–19.

[3] السعدي؛ حسن محمد محي الدين، في تاريخ الشرق الأدنى القديم– العراق، إيران، أسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1995م، ج2، ص77.

[4] عبد الله ،مرعي؛ تاريخ الوطن العربي القديم، ص210. مرعي، اللسان الأكادي، ص 23.

[5] الغوتيين: قبائل جبليّة، وصفتهم النصوص المسمارية بأنهم برابرة يسرقون الحيوانات، ولهم سمعة سيئة، ولا يقدسون المعابد أو الآلهة، أي أنهم متخلفون حضاريّاً. عبد الله – مرعي؛ تاريخ الوطن العربي القديم، ص221 – 222.

4. عصر الإحياء السومري:

أ- سلالة لاجاش الثانية:

أسسها الأمير أور بابا نحو (2164–2144) ق.م الذي حاول خلفه جوديا النهوض بـ لاجاش من خلال المشاريع العمرانية وتطوير الاقتصاد، وتعاون مع الغوتيين مقابل دفع الضرائب لهم، ولكن ما لبثت هذه السلالة أن ضعفت بعد ظهور وتأسيس سلالة أور الثالثة.

ب- سلالة أور الثالثة:

بدأت في مدينة أور وما لبثت أن أنهت سيطرة الغوتيين عام 2116 ق.م بقيادة حاكمها أوتوخينغال (2116–2110 ق.م) وأسرت ملكهم تيريغان، وما لبث أحد حكامها ويدعى أورنامو (2112–2094 ق.م) أن أعاد الوحدة لبلاد بابل بزعامة مدينة اور، ومن ملوك هذه السلالة شولجي (2093–2046 ق.م) الذي تابع مسيرة سلفه، وأيضاً أمار سين (2045–2037 ق.م)، وخلفه شو سين (2036–2028 ق.م)، أما آخر ملوك السلالة فهو إبّي سين الذي بدأت الدولة تنهار في عصره، وتنفصل المدن من المركز حتى انتهى حكمه بزوال الدولة عام 2004 ق.م[1].

5. البابليون:

سقطت إمبراطورية أور الثالثة نتيجة الغزوات الأجنبية التي تمثلت بالغزو العيلامي من جهة الشرق ودخول الأموريين من جهة الغرب حيث تمكنوا من تدمير مقر الدولة السومرية في أور وأخضعوا أراضيها لحكمهم[2]، وبذلك انتهى الحضور السياسي والمجد السومري وكانت بداية ما يعرف بـ العهد البابلي القديم(2003–1595 ق.م) الذي دام زهاء ثلاثة قرون شمل فيها حكم سلالتي إيسن ولارسا، اللتان بصراعهما أنهك كل منهما الآخر دون أن يتمكنا من تحقيق أطماعهما، أضف إلى ذلك أن لارسا وقعت تحت تأثير جارتها عيلام، التي تربعت على عرش مدينة لارسا وأنهت حكم سلالة إيسن[3]، أما السلالة الثالثة التي ظهرت في ظل الصراع الذي كان

---

[1] عبد الله – مرعي؛ تاريخ الوطن العربي القديم ، ص224 – 243.

[2] برستد؛ جيمس هنري، انتصار الحضارة – تاريخ الشرق القديم–، تر: أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر 1969م، ص168.

[3] فرح؛ نعيم، موجز تاريخ الشرق الأدنى– السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي–، دار الفكر، بيروت، 1972م، ص31.

قائماً بين السلالتين عرفت بـ سلالة بابل الأولى التي أسسها سومو – آبوم (1894–1881 ق.م) واتخذ من مدينة بابل عاصمة لدولته[1].

وقد اعتلى حكم سلالة بابل الأولى أحد عشر ملكاً بلغت فيه حضارة وادي الرافدين أوج ازدهارها ولا سيما فترة حكم الملك حمورابي (1792–1750ق.م)، وحمل لقب سومر وأكاد والذي شكل عهده بداية فترة أخرى من الازدهار العظيم لبابل، ففي الميدان السياسي امتدت سلطة بابل إلى آشور وجزء من سوريا وفي الميدان الاقتصادي نظم حمورابي البلاد من جديد وأصلحها بالتوسع العظيم في الزراعة وشق الكثير من القنوات الجديدة[2]، كما أصدر العديد من التشريعات فتمكن بذلك من أن يحقق لمواطنيه حياة الطمأنينة والعدالة، وقد عبر عن مساعيه هذه في مقدمة قوانينه[3].

وكانت نهاية الدولة البابلية نحو1595 ق.م على يد الحثيين[4] القادمين من آسيا ورغم قصر مدة السيطرة الحثية إلا أنها كانت بداية السيطرة الأجنبية وهي الفترة التي أخذت فيها شعوب الجبال تسيطر على الشرق الأدنى ولم يكد ينسحب الحثيون حتى خضعت بابل لسيطرة أجنبية أخرى وهم الكاشيون[5] القادمين من الشرق[6].

6. مملكة ماري:

تعد ماري من أشهر المدن القديمة في الشرق القديم، وشكّلت جزءاً مهماً من تاريخ بلاد الرافدين، وهي حالياً تل الحريري الواقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات على بعد 11 كم شمال غربي البو كمال في محافظة دير

---

[1] باقر؛ طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة تاريخ العراق القديم، ط2، دار المعلمين العالية، بغداد، 1955م، ص139.

[2] عبدالله – مرعي، تاريخ الوطن العربي القديم، ص 268 –272.

[3] الذنون؛ عبد الحكيم، التشريعات البابلي، دار علاء الدين، دمشق 1992م، ص32–34.

[4] الحثيون: هم قوم ينتمون إلى العنصر الهندو الأوربي، وقد أتوا من أسيا الصغرى، ولم يطلق على تلك القبائل الآرية اسم الحثيين إلا بعد أن استقروا في بلاد الأناضول حول نهر كيزيل أرماك، إذ فرضت سيطرتها على قوم من قدماء الأسيويين يدعون حاتي أو حتي، واغتصبت اسمهم أيضاً، فأصبح اسم الحثيين يطلق على مجموعة من السكان التي نشأت من اختلاط الحثيين وسكان البلاد الأصليين أي القبائل الآرية. فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى، ص3،4.

[5] الكاشيون: مجموعات هندو أوربية ظهرت في بلاد الرافدين قبل سقوط الحثيين بوقت طويل، ويعتقد أنهم هاجروا من الأجزاء الوسطى من جبال زاجروس الفاصلة بين العراق وإيران في المنطقة المعروفة باسم بلاد لورستان في الجهات الجنوبية من إيران (جنوب همذان) ، وقد دام حكمهم أكثر من أربعة قرون (1570 – 1158 ق.م). مرعي؛ عيد، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539 ق.م، ط1، دار الأبجدية، دمشق، 1991م، ص93– الناضوري؛ رشيد سالم، دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق الأدنى القديم – مصر وبلاد الرافدين والإقليم السوري والهضبة الإيرانية–، المكتب المصري الحديث، الاسكندرية 1958م، ص67.

[6] موسكاتي؛ سبتينو، الحضارات السامية القديمة، تر: السيد يعقوب بكر، دار الراقي، بيروت، 1986م، ص69.

الزور بسورية، وتم اكتشاف ماري عام 1933م أعظم ملوك ماري هو زمري ليم (1782–1759 ق.م) بلغت ماري في عهده أوج قوتها وأزدهارها إذ شكلت قوة سياسية واقتصادية كبيرة، وتشهد على ذلك محفوظات الملكية التي تعود معظمها إلى عهده وقد احتل حمورابي مملكة ماري وقضى عليها سنة 1759 ق.م[1].

7. الأشوريون:

تزامن قيام السلالة الكاشية في بابل مع نمو المملكة الآشورية في القسم الشمالي من بلاد الرافدين، وقد استقروا في هذه المنطقة منذ العصور التاريخية القديمة، وكونوا منذ الألف الثاني قبل الميلاد دولة عسكرية أخذت تتدرج في القوة مع حدوث فترات من الضعف إلى أن أصبحت إمبراطورية عظمى فرضت سلطانها على جميع الشرق الأدنى[2].

ويرى عدد من الباحثين بأن الآشوريين في الأصل هم فرع من الأقوام السامية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية الموطن الأصلي لهم، وينسب اسمهم إلى آشور، وهو كبير آلهتهم، وقد أُطلقت الكلمة نفسها على أقدم مدنهم، وهي آشور التي تقوم خرائبها في قلعة الشرقاط كما وردت هذه التسمية بلفظة آتور وأنفور في المصادر الآرامية والعربية[3]، وبما أن هذه الحقبة من تاريخ الآشوريين طويلة كثرت فيها الحوادث فقد رأى علماء الآثار تقسيمها إلى العهود التالية:

أ- العهد الآشوري القديم:

يبدأ من فجر التاريخ الآشوري حتى نهاية حكم سلالة بابل الأولى، ولم يكن للآشوريين كيان سياسي لاسيما خلال الألف الثالث ق.م بل كانوا خاضعين للسومريين، كما دانوا للحكم الأكادي، ثم خضعوا لحكم الجنوب في عهد سلالة أور الثالثة[4]، مما وضع حداً لتطلعاتهم، لكنهم انبعثوا مرة أخرى بعد فترة التدهور والاضطراب السياسي الذي ساد بلاد بابل بعد سقوط سلالة أور الثالثة، فقد انتهز الآشوريون فرصة الفوضى السياسية في الجنوب فكونوا سلالة جديدة في بلاد آشور وذلك في عام 1814 ق.م على يد الملك شمشي أدد

---

(1) عبد الله – مرعي، تاريخ الوطن العربي القديم، ص 288– 305.

(2) باقر، المقدمة، تاريخ العراق القديم، ص163.

(3) رشيد، حضارة واد الرافدين، ص71.

(4) الذنون، الذاكرة الأولى، ص109.

الأول(1815–1782 ق.م)، واستمرت تحكم بلاد آشور بشكل مستقل إلى أن قضى عليها الملك البابلي حمورابي[1].

ب- العهد الآشوري الوسيط:

بقيت بلاد آشور تحت الحكم البابلي إلى أن سقطت بيد الحثيين في القرن السادس عشر ق.م، ولما تراجع الحثيون عنها احتلها الكاشيون[2]، وكان من القوى التي أثرت على بلاد آشور في هذه المرحلة هي الدولة الميتانية[3] التي تكونت بجوار الآشوريين من جهة الغرب في النصف الثاني من الألف الثاني ق.م، وتمكنت من السيطرة على البلاد الآشورية في القرن الخامس عشر ق.م، وظلت قرابة قرن من الزمن حيث استطاع الحثيون تخليصهم من النفوذ الميتاني حيث استغل الآشوريون العداء بين الميتانيين والحثيين فقام الملك أشور باليط الأول(1366–1337 ق.م) بمحاربة الميتانيين في عهد ملكهم ارتاتاما الثاني (1366–1359 ق.م)، فخلص البلاد من نفوذهم ومع ذلك فقد استمر دور الانتكاس لنهاية هذا العصر عام 911 ق.م[4].

ت- العهد الآشوري الحديث:

يبدأ هذا العهد من 911 ق.م لسقوط العاصمة نينوى 612 ق.م، وقد استطاع ملوك آشور القضاء على الدويلات الآرامية في سوريا، وأزالوا خطرها[5]، وعرفت الدولة أوج توسع لها في عهد الملك آشور ناصربال الثاني (833–859 ق.م) ومن بعده شلمنصر الثالث(858–824 ق.م)، وبعده سادت فترة ضعف في النصف الأول من القرن الثامن ق.م، واستمر هذا الضعف حتى سنة 745 ق.م، عندما جاء إلى الحكم تجلات بلاصر الثالث (745–727 ق.م)، فأعاد مجد الإمبراطورية مرة أخرى، وقد حافظ خلفاؤه على مجدها لزمن أشور بانيبال، فبعد موته استعادت بابل التي كانت آنذاك تحت حكم السلالة الكلدانية استقلالها بعد معارك طاحنة.

---

[1] باقر، المقدمة، تاريخ العراق القديم، ص173.

[2] بصمة جي، فرج: كنوز المتحف العراقي، وزارة الإعلام، بغداد 1972م، ص48–49.

[3] دولة ميتاني: اسم سياسي لمملكة أنشأها الحوريون في النصف الثاني من الألف الثاني ق.م وقد غزا ملكهم المسمى سوشنار المعاصر للفرعون المصري تحوتمس الثالث بلاد آشور وكذلك فعل الملك تشراتا. باقر، المقدمة، تاريخ العراق القديم، ص167.

[4] رزقانة، إبراهيم أحمد وآخرون: حضارة مصر والشرق القديم، دار مصر للطباعة، القاهرة، د. ت، ص322.

[5] بصمة جي، كنوز المتحف العراقي، ص50.

في سنة 615 ق.م، بدأ الميديون[1] بالهجوم على المدن الآشورية التي سقطت تدريجياً بيدهم حتى قبل وصول الملك نبو بلاصر على رأس الجيش البابلي من مدينة بابل وفي 612 ق.م سقطت العاصمة نينوى، ودمرت على يد الميديين، وخلال فترة قصيرة اجتاحت بابل الإمبراطورية الآشورية[2].

8. الكلدانيون:

يعود الكلدانيون بأصلهم إلى شواطئ الخليج العربي في جنوبي العراق[3]، وكان الكلدانيون فرعاً من الآراميين البدو النازحين من سوريا إلى جنوب العراق[4]، وظهروا لأول مرة في عهد شمسو إيلونا خليفة حمورابي، وكان أول ملوكهم يدعى إيلونا إيلو الذي بدأ حكمه في سنة 1742 ق.م، وظلت سلالتهم تتحدى ملوك بابل وآشور لمدة ألف سنة تلت ذلك العصر[5]، واستمر الآراميون في توسعهم، فامتد الكلدانيون (قبائل كالدو) في جنوبي العراق حتى الخليج العربي وكونوا ست إمارات كانت أكبرها بيت داكوري وبيت ياكين[6]، وصاروا يتحينون الفرص لاحتلال بابل والقضاء على الحكم الآشوري فيها، وتم لهم ذلك في 721 ق.م وكان ذلك في بداية حكم سرجون الثاني، لكن سرعان ما أعادها هذا الأخير، وانتهز الكلدانيون بزعامة نبو بلاصر فرصة وفاة آشور بانيبال للاستيلاء على بابل 625 ق.م وتمكن من الانفصال عن الدولة الآشورية وحالف الميديين وساهم في الحرب التي أخرجت الحكم الآشوري سنة 612 ق.م[7]، وتقاسم الإمبراطورية الأشورية معهم فصارت حصة الكلدانيين وسط العراق حتى جنوبه، وقد انتهز هذا الملك وابنه نبوخذ نصر انشغال الميديين بالغزو والتوسع إلى الغرب فكان أن نشأ في زمن قصير ما يعرف بالإمبراطورية البابلية الأخيرة[8].

---

[1] الميديون: أحد الأقوام التي استوطنت إيران قديماً، حيث عاشوا فيها في الشمال الغربي وكان موطنهم الأصلي يشمل كردستان وأذربيجان ومنطقة كاردوخ، واستناداً إلى كتابات هيرودوت فإن الميديين كانوا مؤلفين من 6 قبائل رئيسية وهي: بوزا، باريتاك، ستروخات، آربا، بودي وموغي، وأطلق هيرودوت اسم الآريين على القبائل الميدية. حماد، موسوعة الأثار التاريخية، ص590.

[2] عبدالله – مرعي، تاريخ الوطن العربي القديم، ص 450.

[3] سوسة؛ أحمد، العرب واليهود في التاريخ – حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية–ط7، العربي للطباعة والنشر، دمشق، 1973 ص216.

[4] صالح؛ عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم، الكتاب الثاني، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1973م، ص542.

[5] سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص216.

[6] صالح، الشرق الأدنى القديم، ص542.

[7] سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص217.

[8] باقر، المقدمة، تاريخ العراق القديم، ص205.

ويعتبر نبوخذ نصر أعظم الملوك الكلدانيين، ودام حكمه ثلاثة وأربعون سنة (605–562 ق.م)، وأهم منجزاته حملاته التي قام بها على مملكة يهوذا والقضاء عليها حملته الأولى كانت في 597 ق.م على يهوذا واستولى على أورشليم وسبى اليهود، وقاد حملته الثانية في 586 ق.م، واحتل أورشليم فخربها وأحرقها وسبى حوالي خمسة آلاف شخص وبعد وفاته خلفه ملوك ضعاف حتى وقوع بابل في قورش الأخميني فسمح هذا الأخير لليهود بعد احتلاله بابل بالعودة إلى فلسطين[1].

[1] سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص218.

الفصل الثاني

أسباب تقديس الماء وتجسيد قدسيته في الديانة الرافدية القديمة من خلال تصورات الآلهة – الفن – العالم السفلي

أولاً: أسباب تقديس الماء:

1. **أهميته في حياة الناس**
2. **أهميته في عملية الخلق:**

أ. فكرة التكوين:

- ✓ أصل الماء – أبسو
- ✓ الصراع بين الآلهة
- ✓ المياه والخلق في التوراة

ب. خلق الإنسان

ثانياً: قدسية الماء من خلال تصورات الآلهة:

1. **النظام الديني وعلاقته بالماء – الثالوث المقدس**
2. **إله الماء – أنكي/ أيا**
3. **أسطورة أنكي وتنظيم الكون**
4. **أرض دلمون – أسطورة أنكي ونخورساك**

ثالثاً: انعكاس قدسية المياه على الفن ورموزه في بلاد الرافدين:

1. **أبرز رموز الآلهة وعلاقتها بالمياه**
2. **المياه المقدسة في الفن الرافدي:**

- ✓ مدينة أور
- ✓ مدينة ماري
- ✓ مدينة بابل
- ✓ مدينة آشور
- ✓ مدينة أكاد

- ✓ مدينة لكش
- ✓ مدينة نيبور "نفر"
- ✓ مدينة تلو
- ✓ مدينة دور شروكين "خورسباد"

رابعاً: العالم السفلي – أسطورة عشتار وعلاقتها بالماء المقدس

أولاً: أسباب تقديس الماء:

1. أهميته في حياة الناس:

لم يكن السومريون والأكاديون يختلفون من حيث التطور الاقتصادي، حيث يقوم اقتصاد دول بلاد الرافدين على الزراعة بشكل رئيس، عبر الأقنية والسدود والحواجز المائية التي تتيح القيام بعملية ري منتظمة للحقول الزراعية، كذلك شغل الرعي حيزاً مهماً في حياة شعوب هذه الدول، كما شكلت الصناعة رافداً للاقتصاد ومنها الصناعات الفخارية، والخشبية، والمعدنية، والنسيجية، والجلدية، وصناعة الحلي والمجوهرات، أيضاً كان للتجارة دورٌ بارزٌ في حياة هذه الشعوب، وكانت طرق المواصلات الرئيسة هي الفرات ودجلة، والأقنية الفاصلة بينهما، ومن ثم تنقل الأحمال على الدواب.

ارتبط التنظيم الاقتصادي في المنطقة السفلى من بلاد الرافدين بالتوزيع المنتظم لمياه الأنهار، وكلما كانت الملكية أكبر لمصادر المياه زادت مكانة صاحب هذه المصادر، كما فرض العمل بمنشآت الري، من إنشاء وفتح وإغلاق السدود، وتنظيف الأقنية، تعاوناً بين السكان لإنجاز هذه المهام بأقصر وقت، ونظراً لأهمية ملكية الماء، نشأت مشاعة سُميت بمشاعة المياه والأراضي، ضمت عائلات كبيرة وصغيرة [1].

بدأت عملية تنظيم المياه في قنوات وخزانات مخصصة خلال حضارة مدينة الوركاء[2] 2800 – 2400 ق.م، وذلك بعد أن فرضت الظروف المناخية ذلك، مما نتج عنه فائض كبير بالإنتاج الزراعي قابله زيادة سريعة بالنمو السكاني، مما خلق حالة من العمل الجماعي المشترك لاستصلاح المساحات الواسعة من الأراضي الزراعية، ولا سيما مع نشوء دويلة المدينة، المعتمدة على الري في جنوب بلاد الرافدين، حيث كان وما زال الري أساس الزراعة بتلك المناطق، وأدى ذلك لوضع قواعد وقوانين تنظم حق استخدام المياه، مما أدى إلى ظهور

---

[1] دياكوف؛ ف، كوفاليت؛ س، الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، دار علاء الدين، ط1، دمشق، 2000، ج1، ص84 – 86.

[2] اوروك / الوركاء: إحدى أهم المدن القديمة في بلاد الرافدين السفلى، اشتهرت بمعبدها "اي. انّا" معبد السماء، مركز عبادة الإله "ان" بصحبة حظيته عشتار، تقع خرائب المدينة جنوبي العراق على بعد 15 كم شرق ناحية الخضر الحالية. بوتيرو؛ جان، بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة، ترجمة: الأب ألبير ابونا، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1990، ص363.

التشريعات، ونظام تفتيش القنوات عن طريق مفتش القنوات كوكالو[1]، الذي يبدو من اسمه أنه يشرف على القنوات وآلية العمل ويقوم بمعاقبة المخالفين، أو تحويلهم إلى المحاكمة.

ربط السكان الشؤون الزراعية بالآلهة، فكانت آلهة البساتين تنحدر من الإله أنكي في مناطق واسعة من جنوب بلاد الرافدين، ومنها ننهار إله الرعد والأمطار في الربيع، وأوتو إله الشمس، ونانا إله القمر، أما مناطق بلاد الرافدين الوسطى والشمالية فقد ظهر فيها آلهة الحقول الزراعية، وآلهتها تنحدر من الإله إنليل، ومنهم نصابا: آلهة الحبوب وننورتا إله العاصفة المطرية وغيرهم [2].

برزت أهمية المياه في نصوص السكان العاديين أيضاً، حيث يوصي أحدهم ولده بالعناية بعملية الري والحفاظ على المياه، وعدم جعلها تغمر الحقل، وأن يتابع الأقنية ويفرغها من المياه، وألَّا يسمح للبقر بتدنيس أرض الحقل وفيها الماء، وأن يعد الأرض مقدسة، وحدد له وزن الفأس الذي يستخدمه للحراثة "**عشر فؤوس حادة لا يزن الواحد أكثر من ثلثي الليبرة**"[3]، ونظراً لقلة مياه الأمطار وفي سنوات الجفاف، اعتاد السكان على وضع جرار عند مصبات مياه الأمطار المتجمعة على الأسطح كإجراء ثانوي للتخفيف من أعباء تأمين المياه[4]، فضلاً عن أن قطرات الماء الساقطة من السماء لها مغزى كبير وعميق في التفكير الإنساني، فهي التي توهب للأرض حياتها، كما أنها تمثل الذكر، الذي يقوم بتخصيب الأرض التي هي الأنثى، ولا سيما أن الماء حاجة ضرورية لا بد منها للإنسان بدءاً بالشرب والاغتسال والحاجات اليومية والزراعة والصناعة[5].

إذ ورد في النصوص الدينية بأن أنكي هو الذي خلق الخصب والنباتات:

"أنكي الحاذق أمام نينتو (أم البلاد)

ملأ بماء قضيبه المجاري جمعاء

وبماء منيه الغزير، أغرق منابت القصب

---

[1] وهد؛ جاسم شهد، الزراعة خلال العصر البابلي القديم (2004–1595 ق.م)، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، ع 3، 2008، مج 11، ص 33.

[2] الماجدي؛ خزعل، متون سومر، الكتاب الأول، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1998، ص83 – 84.

[3] مارغرون؛ جان، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية، ترجمة: سالم العيسى، دار علاء الدين، ط1، دمشق، 1999، ص128 – 129.

[4] المرجع نفسه، ص151 – 152.

[5] الزين؛ أميمة، الماء وحضارة المجتمعات الإنسانية، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع1، تشرين الأول، 2013، ص54– 55.

ممزقاً بقضيبه الكساء الذي يستر حضن الأرض" [1]

يشير النص السابق أن مياه الأنهار هي مَنِيُّ الإله، وهي المادة الخصبة التي لا تقتصر على الماء وحده، بل تعج بالحياة، كما يشير النص إلى استثمار الأرض وجعلها قابلة للزرعة بفضل تدخل الإله أنكي.

أما بالنسبة لمصدر المياه المقدسة فقد فضل معظم الرافديون مياه نهر الفرات على دجلة بسبب قلة انحدار حوافه مما يخفف من آثار الفيضان ويجعله أقل عنفاً، كما أن منابعه أبعد من منابع دجلة مما يسمح بعملية الري بالسيح بشكل أسهل[2]، فضلاً عن أنه يرتفع عن نهر دجلة في وسط بلاد الرافدين، فيتم ترشيح المياه بواسطة أقنية عدّة مما شكل أرضاً شديدة الخصوبة بهذه المنطقة، ويتم ري المزروعات عبر شبكات معقدة من الأقنية[3]، فضلاً عن وجود المنخفضات الطبيعية على جوانبه الغربية التي كان لها أثر إيجابي كونها تعتبر خزانات طبيعية لتصريف مياه الفيضان[4]، فيما قدس الآشوريون ماء دجلة أكثر من الفرات، ظهرت قدسية النهرين في النصوص المسمارية المتعددة ومنها النص الآتي:

"مياه نقية، مياه مشرقة،

مياه نهري دجلة والفرات،

سبع مرات، سبع مرات،

أحدهم قد رش بالماء، أحدهم قد تطهر، أحدهم قد تنقى..

إلى جانبك، يا مردوخ، مياه البحر، البحار الواسعة،

ولكن عليك ان تتطهر بالمياه النقية لدجلة والفرات..

تتطهر بمياه الفرات، المياه المقدسة من الفرات،

وبفضل المياه المقدسة قام مردوخ بتطهير الرجل المريض،

---

[1] الشوّاف؛ قاسم، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، دار الساقي، ط1، بيروت، 1997، ج2، ص29.

[2] Ur, Households and the Emergence of Cities in Ancient Mesopotamia, Cambridge Archaeological Journal, vol24, 2014, p17.

[3] لويد؛ سيتون، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، ترجمة: محمد طلب، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1993، ص20.

[4] دلّو، حضارة مصر والعراق، ص193.

أنها المياه المقدسة، المياه الساطعة، المياه النقية من نهر الفرات..

المياه التي أنزلها أنكي نقية من الجبل إلى الفرات،

المياه التي نزلت من أبسو (مياه العمق) لغرض التطهير...

أنكي ملك المياه العميقة النقية،

لامس جسد الرجل، إبن إلهه،

وقام بتنظيفه وتنقيته وتطهيره

بمياه التطهير، المياه المقدسة، المياه النقية، المياه المشرقة،

لمرتين في اليوم، سبع مرات قد رش جسده.

نونا، الأبن البكر لأريدو،

بالمياه المقدسة، مياه الفرات،

المياه التي إنكي، الماعز البري، اعدها بإخلاص،

التي طهرها فم إنكي المقدس،

اولاد مياه العمق (أبسو) سبعتهم، رشوا بالماء" [1].

نلاحظ أن النص بدأ بتقديس نهري الفرات ودجلة، داعياً إلى استخدام مياههما سبع مرات بغرض التطهير، ثم يذكر مردوخ[2] مشيراً بأن بجانبه البحر، وهو الأوسع والأرحب ولكنها، حسب النص، لا تصلح للتطهير، أو غير كافية، فقط مياه النهرين هي المقدسة كونها عذبة ونقية ومشرقة، بعد ذلك يتحول تركيز الكاتب في النص إلى قدسية نهر الفرات دون دجلة، ويبدو أنها إشارة لاستخدام مياه الفرات لغرض الشفاء من الأمراض، وهنا يفسر الكاتب ذلك بأنها تنبع من الجبل من المياه الجوفية المتمثلة بأبسو، ثم يذكر أن هذه المياه استخدمت للتطهير

---

[1] الحمداني، عبد الأمير– طه، عبد السلام، عليك أن تتطهر بالمياه النقية لدجلة والفرات، مجلة بيت الأرواح، ع79، 14 حزيران 2018، ص28.

[2] مردوخ: لا نعلم أصل الكلمة، وهو اسم الإله حامي مدينة بابل، هو الإله الرئيس لمملكة حمورابي، وهو ابن الإله ايا ويتقاسم معه الهيمنة على التعزيم خاصة، ويتخذ من ذلك اسم "اسالوخي" كان مقامه في بابل، في معبده الشهير "ايساكيل" ذي البرج الرفيع بصحبة زوجته "صربانيتو". بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة، ص371.

عبر رش أولاد أبسو السبعة منها، إن كاتب النص يشجع وبكلمات لا تدعو إلى الشك على استخدام مياه نهر الفرات بغرض الشفاء، مفضلاً إياه على دجلة، وما ذكر أن الآلهة استخدمت مياه النهر للتطهر إلّا أنها كانت حسب الاعتقاد السائد آنذاك، قدوة للبشر، وعلى البشر الاهتمام بالاغتسال والتطهر بمياه النهر بشكل دائم وأكثر من مرة "سبع مرات".

ونقرأ في إحدى التعاويذ البابلية التي تقدّس ماء الفرات، موصية باستعماله لتطهير المرضى من الخبائث:

"الماء الطاهر

ماء الفرات الذي يجري في أرض طاهرة

الماء الذي يخزن (في الخليج) ويحافظ عليه في الغور

الماء الطاهر الذي يطهر أيا

وأبناء الغور السبعة هم

الذين يطهرون الماء وينقونه صافياً براقاً

أمام والدهم أيا

أمام أمهم دمكينا

فليكن مطهراً (المريض) وليكن صافياً براقاً"[1].

يختلف هذا النص عن سابقه، باستثنائه ذكر نهر دجلة، واقتصار تقديسه على الفرات، فبنظر الرافديّين فإن نهر الفرات لا يختلط في الخليج المالح، بل يخزن فيه، في غور خاص به، ويبقى نقيّاً، وأن الإله أيا / أنكي يتطهر بمائه، بينما أبناء أبسو، هم الذين يعملون على تنقية المياه وتطهيرها، بإشراف والديهم أيا ودمكينا، وهنا يظهر أن الكاتب خلط بين أبناء الغور "العمق" أي أبسو، وبين أولاد أيا، وهذا ما سنلاحظه في معظم الأساطير[2] الأخرى، حيث لا يوجد ترتيب عائلي "الجد والحفيد" فقط يوجد أب لجميع أبناء نسله وكذلك الأم.

---

[1] الأمين؛ محمود، شعار سومر، مجلة سومر، ع 8، ج2، بغداد، 1952، ص 229–230.

[2] الأسطورة: هي نتاج انفعالي غير عقلاني، يصدر عنها صور ذهنية مباشرة، كما أنها نوع من أنواع الحدس بالكليات، وفق رموز ودلالات بعضها لا شعوري، كما عرفت بأنها حكاية مقدسة بمثابة سجل للأفعال الإلهية، تمثل مغامرة العقل الأولى مع الكون، والقفزة الأولى نحو المعرفة، وأداة الإنسان الأولى في التفسير والتعليل واكتساب المعرفة، وفيها تصوراته الأدبية والشعرية والفنية والقانونية والعرفية، هي نظام فكري متكامل،

أما العامل الرئيس لتقديس مياه النهرين، فنجده في أحد النصوص المعنونة بـ "أنكي وبلاد سومر":

"وعندما وجه أنكي الموقر نظره إلى الفرات

رفع قامته وكأنه ثور متلهف

نصب قضيبه ودفق منيه

فملأ النهر بالماء المتلألئ

كما لو كان "النهر" بقرة في المراعي

تخور من أجل عجلها الذي بقي في الحضيرة

ثم خضع له نهر دجلة بعد ذلك

كما يخضع لثور متلهف

وهو منتصب القضيب يدفع "بهدية – العرس"

وكثور وحشي عملاق في حالة النزو

جعل دجلة يشعر باللذة

والماء الذي سكبه هكذا، كان متلألئاً

عذباً ومسكراً

والحب الذي أنتجه هذا المكان

كان وازناً ومغذياً" [1]

استوعب القلق الوجودي لدى الإنسان، ورغبته الحثيثة بكشف غوامض وجوده، وأسرار محيطه. حسين؛ مازن، الأسطورة في بلاد الرافدين – دراسة في الفكر الملحمي في الثقافة السومرية والأكادية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج6، ع4، إصدار خاص بالمؤتمر الوطني للعلوم والآداب، 2016، ص302 – 303. أيضاً: كيالي؛ ميادة، مكانة الإلهة في أساطير وادي الرافدين، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 20 مارس 2017، ص4.

[1] الشواف، ديوان الأساطير، ج1، ص73 – 74.

يؤكد النّصُّ الترابطَ الكبيرَ بين الإله أنكي وبين مياه النهرين، فالنهر هو الأنثى التي وضع الإله فيها بذرته، فأنتجت مياه مقدسة وخصبة، كما أن الحب الذي خُلق بين مجرى النهر وبين الإله هو الماء الغزير الخصب المقدس.

ومن خلال النصوص الترتيلية نقرأ أيضاً عن قدسية النهر[1]:

"يا أيها النهر. يا خالق كل شيء

حينما حفرك الآلهة العظام

أقاموا أشياء طيبة على شطآنك

وفي طيات غمرك بنى أيا، ملك الغمر، مقامه

وأنعموا عليك بفيض من المياه لا نظير له..

وأنت الذي تقضي في قضايا الناس

فيا أيها النهر العظيم، أيها النهر المجيد، يا نهر المعابد المقدسة".

في النص السابق يظهر تمجيد النهر دون تسميته، فحسب اعتقاد الرافديين، فإن الآلهة هم الذين تكبدوا عناء حفر النهر، وجلعوا الحياة تزدهر على شطآنه، وبأن أيا قد بنى بالقرب منه معبده، وفي ذلك إشارة واضحة بأنه نهر الفرات حيث بنيت بقربه مدينة أريدو [2] موطن الإله أيا، بعد ذلك يشير النص لدور النهر في الاختبار النهري، الذي سيرد ذكره في الفصل الأخير من هذا البحث، وأخيراً يشير النص أن نهر الفرات هو النهر الخاص بالمعابد المقدسة التي يصلها أو تجلب له.

لم يتوقف الأمر على تقديس النهرين، بل قام الرافديون بتأليههم، وجعلوهم من بين معبوداتهم التي تمثل قوى الطبيعة، ولا سيما الفرات، وقد نعتا بالنهرين الأخوين[3]، ولعل ما يميّز النهرين أنهما يحملان الطمي الخصب مما

---

[1] باقر، طه – فرنسيس، بشير، الخليقة وأصل الوجود، مجلة سومر، مج5، ج2، 1949، ص 201.

[2] اريدو: مدينة تقع أقصى جنوب البلاد غرب مدينة الناصرية بـ 40 كم، وكان حاميها الإله إنكي، اعتقد العراقيون أنها أول مركز للملوكية. بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة، ص360. أيضاً: الجميلي؛ عامر، أسماء المدن والمواقع الجغرافية المتشابهة لفظاً والمختلفة موقعاً في النصوص المسمارية، مجلة آداب الرافدين، ع54، 2009، ص9.

[3] دلّو، حضارة مصر والعراق، ص191.

يزيد من خصوبة التربة بشكل دوري[1]، إذ يبدو أن أثر الخصوبة لم يكن يقاس في العناصر التي جلبتها مياه الطمي، بل ببركة الإله الذي حل فيه، كما كانت ألوهية النهر بحد ذاته، كشيء نابع من الإله يسترعي القسم باسمه، "**من يقسم بالنهر كذباً يسقط في محنة**"، كما استخدمت مياهه على نحو واسع في الطقوس الدينية، ولا سيما طقس سكب الماء المقدس، كما سنرى، وعلى أثر ذلك قدّم الرافديون للنهرين القرابين من حيوانات ومجوهرات مختلفة وزيوت وعطور، فقد كانت تلقى في بالمياه[2].

وصلت قدسية النهر حد العبادة كقولهم "**النهر ربي، النهر خالقي، عبد النهر**"، كما وجهوا الخطاب للنهر ولا سيما الفرات الذي أحيى بابل:

"يا أيها النهر، أنت خالق الأشياء جمعاء

حينما حفرك الآلهة العظام

أقاموا على ضفافك أشياء صالحة

في طياتك أقام أيا ملك الأعماق مستقراً له

أمدك الآلهة العظام بفيض لا يحد من المياه

نار وغضب، عظمة ورهبة

أنت الذي تفصل في قضايا الناس

يا أنت، ايها النهر العظيم، أنت أيها النهر المعلى، أنت أيا نهر الهياكل المقدسة

مياهك تجلب المسرة، فتقبلني بنعمى

خذ ما في يدي على شطآنك

اجعله يغرق عند شاطئك، اجعله يطيب في أعماقك" [3]

---

[1] دلّو، حضارة مصر والعراق ، ص196.

[2] الخطيب؛ عبد الرحمن، المياه في حضارة وادي الرافدين، دار الحكمة، بغداد، 2014، ص190 – 191.

[3]الأسود؛ حكمت، القوى الروحية الكامنة في الماء والخبز والخمر ودورها في عملية التمدن الإنساني والتطور الحضاري في بلاد الرافدين، دار الزمان، دمشق، 2017، ص18.

يكرر كاتب هذا النص بطريقة أخرى ما ورد في النص السابق في مقدمته، ولكنه يشير بشكل مبطن لخطر النهر عندما تحل العواصف والفيضانات، مما يجعل النهر ذا رهبة وعظمة، ثم يشير بأن مياهه تجلب السعادة والسرور، طالباً منه قبول القرابين، التي يبدو أنها مجوهرات أو أحجار كريمة، حيث إنها ستغرق في أعماقه، ونستنتج من هذا النص أن مقدم القرابين يقدمها خوفاً ورهبة من النهر المقدس، لكيلا يتسبب في إيذائه أو إتلاف زرعه، أو ربما طلباً للشفاء.

وفي انعكاس واضح لعلم الفلك على الحياة الدينية في بلاد الرافدين؛ اعتقد الرافديون أن لدجلة نموذجا سماويا هو النجم "عنونيت"، وللفرات نموذج آخر هو نجم "السنونو"، حيث وصف الأخير بأنه نهر حكيم يفصل في المنازعات بين الناس، وعلى أثر ذلك كان البصق أو التقيؤ أو التبول فيه تعد خطيئة كبرى لا تغتفر [1].

نجد في قصة شاروكين الأكدي (2371 – 2316 ق. م) [2] **"أنا شاروكين القوي ملك أگّاد. كانت أمي كبيرة كاهنات، ولم أعرف أبي. أحب إخوة أبي (أعمامي) الجبال. مدينتي هي أزوبيرانو (الزعفران) التي كانت تقع على ضفاف الفرات. حملت بي أمي كبيرة الكاهنات، وولدتني سراً، ثم وضعتني في سلة من القصب وأغلقت بابها بالقار، ورمتني في النهر الذي حملني إلى أكي رافع الماء (البستاني) الذي انتشلني. أكي البستاني جعلني ابنه ورباني"** [3] .

يظهر في النص الذي كتبه سرجون جانبان دينيان؛ الأول أن مدينته مقدسة كونها تقع على نهر الفرات، أما الجانب الأهم أن مياه النهر قد حضنته، وأن النهر هو من أخذه لمصيره لدى ساقي الحقل، وذلك إشارة واضحة لقصد الملك سرجون أنه حظي بعناية إله النهر، واستمد حياته من القدسية الخاصة بنهر الفرات، ومما لذلك من أثرٍ كبيرٍ في دوام سلطته الإلهية على البلاد.

---

[1] الموزاني؛ زيدان، الاختبار النهري (التحكيم الإلهي) في بلاد الرافدين، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، ع 42، النجف الأشرف، 1997 ص500.

[2] سرجون: الكبير أو القديم أو الأول، هو المؤسس الأول (2334 – 2279 ق. م) للإمبراطورية الاكادية، أما معنى كلمة سرجون فهي الملك الحق، الملك الصادق، وباني مدينة أكاد عاصمة امبراطوريته. بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة، ص367. أيضاً: رشيد، حضارة وادي الرافدين، ص51.

[3] مرعي، اللسان الأكادي، ص 11.

2. أهميته في عملية الخلق:

أ. فكرة التكوين:

- ✓ **أصل الماء – أبسو:**

إن أصل كلمة المياه في اللغة العربية مَوَه ومفردها ماهٌ أو ماءه [1]ويلاحظ أنها متقاربة مع الأصل الأكادي في اللفظ والمعنى، فقد وردت في النصوص المسمارية باللغتين السومرية "موَ" والأكادية "أي. ميش"[2].

تكشف الكتابات السومرية أن المياه هي أصل الوجود، وقد سماها السومريون "البحر الأول"، ويعود هذا التصور، حسب أتباع مدرسة التحليل النفسي، للذكرى اللاشعورية للإنسان حول نشوئه في ماء رحم الأم أي أنه ولد سابحاً في بحره الأول [3].

ربما قد تصور الرافديون البحر الأول أنه موجود منذ الأزل، ووفقاً لنص مصري قديم عن الإله حورس الذي يصفه بأنه خالق لنفسه، كما تشير النصوص المندائية[4] المتأخرة بأن الله انبعث من ذاته[5].

ويشار لذلك في الثقافة الدينية الرافدية حيث أن اسم الربة نامو كُتب بإشارات تدل على البحر الأول، كالأم التي تحضن السماء والأرض، والجد الذي خلق كل الآلهة، حيث شكلت نغمة المياه الأزلية كتلة مائية متماهية بالأم الأصلية التي ولدت بالحمل الذاتي [6]، فقد كان الاعتقاد بأنه قبل الخلق كان هنالك عصر الفوضى، وهو حالة من الاضطراب والارتباك التام، حيث كانت الأرض مغطاة بالمياه بشكل كامل [7].

يبدو أن تصور أتباع مدرسة التحليل النفسي هو الفكرة الأقرب التي بنى الرافديون تصوراتهم عليها، فمن الماء يخلق كل شيء، فإذا عادت فكرتنا عن كيفية خلق أي شيء منذ البداية "للمرة الأولى" نجد أن الاعتقاد

---

(1) ابن منظور، لسان العرب ، بيروت، مج 3، د.ت ، ص 551.

(2) الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص18 – 19.

(3) يحيى؛ أسامة، الالهة في رؤية الإنسان العراقي القديم – دراسة في الأساطير، آشور بانيبال للكتاب، بغداد، ط1، 2015، ص24.

(4) المندائية: هي اسم لطائفة دينية قديمة، تقترب معتقداتها بشكل كبير من معتقدات الأديان السماوية الثلاث. الدليمي؛ خميس، قراءة في عقائد الصابئة المندائية، مجلة كلية التربية الأساسية، ع45، 2005، ص 241.

(5) يحيى، الالهة في رؤية الإنسان العراقي القديم، ص27 – 28.

(6) اليساد؛ ميرسيا، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، ج1، دار دمشق، ط1، 1986 – 1987، ص81.

(7) Somervill, B, Great Empires of the Past: Empires of Ancient Mesopotamia, Chelsea House publishers, 2010, p78.

القديم صحيح في ظل عدم وجود ديانات سماوية، إذ كان الإنسان يرسم ويكتب ما يتصوره بعد تطوير المشاهد أمامه ومنها المشهد الأول لخلقه هو.

وفي ضوء أساطير الخلق السومرية والبابلية، تصور القدماء في وادي الرافدين أن المياه الأزلية هي أصل الوجود، تلك المياه التي تشكلت من عنصرين رئيسيين، أولهما مذكر ويسمى أبسو[1]، ويمثل المياه العذبة، والآخر تيامة/ تيمات، وهي مؤنث وتمثل المياه المالحة[2]، شكل أبسو الفضاء المظلم وتيمات المياه التي لا تحد، وحينها لا وجود للسماء أو الأرض، لا للآلهة ولا للبشر، المياه ممتدة إلى ما لا نهاية، مليئة بالاضطراب والفوضى، لم تكن المياه قد انتظمت بالمحيطات أو البحار، ولا بالبحيرات والأنهار، ولا يظهر المستقبل فلا شيء سوى الظلام، فيما بعد اختلطت تيامة مع أبسو عن طريق الزواج[3] ليولد من نسلهم أول جيل من الآلهة المتمثل في لخمو ولخامو، ثم انشار وكيشار.

وبالنظر إلى أسطورة الخليقة البابلية "اينوما اليليش" يتضح أن الآلهة ولدت من المياه عندما اجتمعت ثلاثة عناصر "المياه العذبة – المياه المالحة – السحب والضباب"، وكان أول من خُلق من الآلهة لخمو ولخامو حيث مثلا الطمي المتراكم في مجاري المياه، وبعد ذلك ولد الإله أنكي ابن إله السماء آنو [4].

وفي النص السومري المشهور حول خلق الكون نقرأ:

"بينما في الأعالي

لم تكن السماء قد سميت بعد

والأرض اليابسة في الأسفل

لم يكن أطلق عليها أي اسم

---

[1] أبسو: لغوياً لا ينتمي اسم أبسو للغة السومرية أو الأكدية، فمن الممكن الاعتقاد أن الاسم يعود لجماعات أقدم كانت تسكن جنوبي بلاد الرافدين في عصور ما قبل التاريخ. مرعي؛ عيد، معجم الآلهة والكائنات الأسطورة في الشرق الأدنى القديم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2018، ص20.

[2] بوتيرو: بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة، ص365، أيضاً: علي؛ فاضل، الطوفان في المراجع المسمارية، مطبعة الإخلاص، بغداد، ص43 – 44.

[3] مظهر؛ سليمان، أساطير الشرق، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2000، ص111 – 112.

[4] الجنابي؛ شيماء، الإله إنكي في حضارة بلاد الرافدين (في ضوء النصوص المسمارية)، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: نواله المتولي، جامعة بغداد، 2007، ص8.

وحدها أبسو الأول

ولدهم

والأم (؟) تيامت

والدتهم جميعاً". [1]

اعتقد السومريون أنه ومن مياه البحر الأول ولد جبل كوني مثّل السماء والأرض، إذ عدت السماء عنصراً مذكراً، والأرض مؤنث، ونتيجة لاتحادهما ولد إله الهواء "إنليل"[2] الذي وجد نفسه بالظلام فتزوج، وولد له إله القمر "إنانا"، والإلهة نينكال وباتحادهما ولد إله الشمس اوتو [3]، ونشأت أنواع الحياة الأخرى من نبات وحيوان وإنسان على الأرض فيما بعد.

إن التضارب والتعارض في نصوص الخلق البابلية والسومرية يعود لتباين طفيف في الثقافات وعدم الوحدة في الفكر الديني، رغم أن الجوهر والمضمون واحد، فكلٌ انطلق مما يراه، ومما يشكل لديه حالة قدسية واهتمام معين، حيث أن كل التكهنات التي بنى الرافديون أساطيرهم عليها، تعود إلى الأسباب التي خلقت بها الحياة في أراضيهم، أي من الطمي الذي جلبه نهري الفرات ودجلة، ولعل أهم المناطق الخصبة هي في نهاية الطمي عندما تمتزج المياه العذبة بالمياه المالحة في الخليج [4].

إذ نستطيع أن نستشف الدور القصصي المتعاظم للمياه الأولى كلما اتجهنا جنوباً، وقاربت مياه النهرين على الاختلاط بالمياه المالحة في الخليج، فقد استوحى واضعو الأساطير في بلاد الرافدين حكايا أساطيرهم من محيطهم الجغرافي، فقد كانت وما زالت منطقة جنوب بلاد الرافدين قرب شط العرب، بمشهد لافت عند الصباح الضبابي نرى فيه سحباً منخفضة تتعلق في الأفق، وينابيع عذبة تنبع من الأرض، ثم لا تلبث أن تختلط بمياه

---

[1] الشوّاف؛ قاسم، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، دار الساقي، ط1، بيروت، 1997، ج2، ص116.

[2] كريمر؛ صمويل، من ألواح سومر، ترجمة: طه باقر، تقديم ومراجعة: أحمد فخري، مكتبة المثنى ومؤسسة الخانجي، بغداد والقاهرة، ص162 – 163. إنليل: يعني بالسومرية "السيد – الجو" وهو الإله المسيطر على الكون، حسب النظام القديم لمجمع الآلهة، مركز عبادته في مدينة نفّر "نيبور" ويحمل معبدها الرئيسي اسم " اي – كور" معبد الجبل، وهو إله الريح والهواء. بوتيرو: بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة، ص362. أيضاً: بشور؛ وديع، سومر وأكاد، دمشق، 1981، ص182.

[3] يحيى، الالهة في رؤية الإنسان العراقي القديم، ص36.

[4] المرجع نفسه، ص42.

الخليج المالحة، والأرض الطينية المنخفضة، التي لا يظهر منها سوى أقدام قليلة، ويبدو كل ما حولنا ممتزجاً بفوضى مائية ضبابية مبهمة، فكل هذه الظواهر من المؤكد ملاحظتها منذ ذلك الزمن وتصور من خلالها السكان كيفية تكون العالم[1].

إن المياه الجارية والجوفية مباركة بعقلية سكان بلاد الرافدين، فعالم المياه الأول أبسو، يتكون من بحيرة كبيرة من الماء العذب، تعوم الأرض فوقها وتغذي الأنهر والجداول، وفيها تشكل الإله أنكي، فالمياه ضرورية جداً لحياة ومعيشة السكان وخطيرة في الوقت نفسه، عندما تحدث الفيضانات [2].

- ✓ **الصراع بين الآلهة:**

في أسطورة الخلق البابلية إن أبسو إله مياه العمق "الماء العذبة"[3] وتيامة إلهة المياه المالحة "البحر" قد تزوجوا فأنجبوا كثير من الآلهة، استمر الآلهة بالتكاثر، حتى أزعجوا أبسو بضجيجهم، إذ بلغ عددهم 50056 إله، وعندها ملؤوا الكون ضجيجاً حتى قرر التخلص منهم، ولكنهم وبطريقة ما قد علموا بذلك، فاستشاروا أنكي، الذي نصحهم بقتله، وبعد مقتل أبسو قررت زوجته الانتقام له، وفشل الآلهة في التصدي لها وكلفوا مردوخ بذلك[4].

يبرز دور الإله أيا/ أنكي باعتباره إله الحكمة ومنقذ البشرية من الدمار، فهو الذي ابتدع لأبسو تعويذة تجعله يغفو في سبات عميق، لينقض أيا عليه ويقتله[5]، ولأن الآلهة الجديدة مخالفة في صفاتها لتيمات، قررت الأخيرة التخلص منهم، فخلقت الوحوش المفترسة والثعابين السامة، والتنانين والكلاب والعقارب، وكلفت الوحش كنجو العملاق بالتخلص منهم، وبأنها بالمقابل ستتزوجه، ولم يستطع أي من الآلهة الوقوف بوجهها سوى مردك/ مردوخ الذي وعده بقية الآلهة بأن يتسيدهم.

---

(1) رو؛ جورج، العراق القديم، ترجمة وتعليق: حسين علوان حسين، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ص138.

(2) مارغرون، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية، ص167.

(3) Leick, G, A Dictionary of ancient near eastern mythology, Routledge, , 1st ed, London, 1991, p11.

(4) كريم؛ منى، قراءة عامة في الأساطير العراقية، مجلة ميزوبوتاميا، ع8 –9، نيسان 2006، ص36 – 37.

(5) علي، الطوفان في المراجع المسمارية، ص43 – 44.

واستطاع بعد معركة طويلة القضاء على تيمات، وقسمها نصفين مشكلاً منها السماء والأرض[1]، وبعد ذلك تم توزيع الآلهة في السماء والأرض والعالم السفلي وتوزيع المهام[2].

مثلت الإلهة تيامة عنصر الشر في الديانة الرافدية القديمة، وكانت كمياه تشكل خطراً كبيراً على سكان السهل السفلي، عبر فيضان مياه الأنهار، وتهديد المواسم الزراعية بالدمار، إذ يمثل موسم الفيضان انعكاساً لغضب الآلهة "أبسو وتيامة"، أما انحسار الماء فهو دليل على انحدارها أمام آلهة أخرى أكثر حداثة تساعد الإنسان على خلق جهود بناءة في شق القنوات وبناء الخزانات وتنظيم تصريف المياه [3]، فضلاً عن ذلك فإن تيامة هي تجسيد لمياه البحر المالح الحاوي على العناصر الأولية كلها، ومنها خلقت الأرض والسماء فيما بعد[4].

تحفل الأساطير الرافدية القديمة بقصص الصراع المستمر بين الآلهة، وفي تفسير الصراع يذهب الباحثون لتقسيمه إلى ثلاثة تفاسير؛ فالأول التفسير البيئي، حيث أن الصراع هو صراع القوى الطبيعية في كل عام خلال موسم الفيضانات، فإله الشمس ينتصر في الربيع على إله العواصف التي تعصف خلال الشتاء، ويعود التفسير الثاني إلى العامل الاقتصادي، عبر الصراع من أجل تنظيم القنوات وبناء الخزانات لمكافحة الفقر والمجاعة في حال الفيضان أو الجفاف، وما يتخلل هذه الأعمال من صعوبات كبيرة في بلد عماد اقتصاده الزراعة، وفي التفسير الثالث يعود الباحثون في تفسيرهم لأسباب الصراع للعوامل الاجتماعية، الصراع بين المذكر والمؤنث، فالمياه الأزلية "نامو" مؤنثة قديماً، ثم جعل البابليون مع التأنيث قوة المذكر "أبسو"، وأصبح المؤنث يمثل الشر، وهذا يعود إلى الاختلاف في النظام الاجتماعي والانتقال من النظام الأمومي إلى النظام الأبوي، إذ يعيد البعض الأمر إلى أن النظام الزراعي هو نظام أمومي تستطيع المرأة فيه القيام بأعباء الزراعة، فيما يمثل النظام الأبوي السلوك الرعوي في حياة الإنسان[5].

إذا كان أبسو هو مياه العمق، فإن أيا هو إله المياه العذبة فقط، وهنا يرجح الفكر الديني الرافدي، كفة الماء الصافية التي يحتاجها الإنسان على المياه بكل مكوناتها، ولا سيما بعد امتزاجها بالمياه المالحة، حيث لم تعد تفيد

---

(1) مظهر، أساطير الشرق، ص111 – 112.

(2) فاضل، الطوفان في المراجع المسمارية، ص43 – 44.

(3) يحيى، الالهة في رؤية الإنسان العراقي القديم، ص53 – 54.

(4) المرجع نفسه، ص127 – 128.

(5) المرجع نفسه، ص95 – 98.

الزراعة أو الشرب أو حتى الاغتسال، حيث يقيّم الباحث ذلك بأن الإنسان صارع المياه غير الصالحة للاستخدام من أجل الحفاظ على حياته واستمرارها، فقد قام أيا بقتل أبسو، ثم أُجهز على تيامة بشكل لا يدع للشك بأن الإنسان انتصر في معركته، مع أنه قدّر أهمية المياه المالحة التي منها خلقت السماء، وتكونت باقي معالم الأرض، فهنا مفاضلة بين المياه العذبة والمالحة، ومن الطبيعي انتصار ما يراه الإنسان ضرورياً له أكثر من الآخر.

- ✓ **المياه والخلق في التوراة:**

جاء في الإصحاح الأول من سفر التكوين الفقرة 1 –10 "**في البدء، خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية. وعلى وجه الغمر، وروح الله يرف على وجه المياه. وقال الله ليكن نور فان نور. ورأى الله النور أنه حسن. وفصل الله بين النور والظلام. وسمى الله النور نهاراً والظلام سماه ليلاً. وكان مساء وكان صباح يوم واحد. وقال الله ليكن جلد في وسط المياه، وليكن فاصلاً بين مياه ومياه. فصنع الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد، والمياه التي فوق الجلد، فكان كذلك. وسمى الله الجلد سماء. وكان مساء وكان صباح يوم ثان. وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى موضع واحد وليظهر اليبس...**" وذلك يبين أن المادة الأساس للخلق هي المياه [1].

أما في الفكر اليهودي القديم الذي يعد جزءاً من ديانات بلاد الرافدين القديمة، ويناقض الفكر اليهودي بقية المعتقدات حول الكيفية التي خلق بها الكون، لكنه يوافقها بأن الماء هو العنصر الأساس الذي اختاره "وجه الله" مكاناً يحط فيه، ومن الماء خلقت السماء والأرض.

ب. خلق الإنسان:

تتلخص أسطورة خلق الإنسان بأن الآلهة بعد تخلصها من أبسو وتيامة قد انقسمت إلى قسمين؛ الأول هم الآلهة العظام، والثاني هم الآلهة الصغار الذين وقع عليهم عبء إنجاز الأعمال المختلفة مثل حفر الأنهار وفتح

[1] شحلان؛ أحمد، آداب الشرق القديم وتلاقح الحضارات، مطبعة فضالة، ط1، الرباط، 2005، ص74.

الجداول، ولكنهم مع الزمن تذمروا، وانتفضوا فما كان من الإله أنكي إلّا أن اقترح على الإله أنليل خلق الإنسان ليعمل بدلاً منهم [1].

ففي أسطورة إنكي وننماخ، استطاعت نمو "أم أنكي" إيقاظه بعدما فشل الآلهة في ذلك، وكلفته بالتعاون مع ننماخ بأن يخلقوا الإنسان، وبدؤوا بمحاولاتهم باستخدام تربة الأرض الممزوجة بالماء، ليكون خلقه من الطين نسبة لننماخ "الأرض – التراب الجاف" وإنكي "الماء النقي الطاهر" وتشير الأسطورة للدور الرئيس الذي لعبه إنكي في خلق الإنسان:

"كانت الآلهة تخبز خبزها يوما بيوم،

(و) معه يعدون موائدهم.

كانت الآلهة الكبرى تشرف على العمل،

بينما الآلهة الصغرى تكدح فيه.

كانت الآلهة تحفر القنوات،

كانت الآلهة تشتكي من معاناتها (بسبب العمل الشاق)

حطمت الآلهة العاملة أدوات عملها

يا بني (الحديث لنمو) انهض من فراشك

واستخدم حكمتك ومهارتك

وعندما تبدع (مخلوقا عاملا)

يضاهي الآلهة (في قدرتها على العمل)،

يمكنهم (الآلهة) عندها أن يرتاحوا من العمل الشاق"

قالت نمو لأنكي ".. **قم يا بني، ولنصنع شيئاً لائقاً، لنصنع (بشراً) عبيداً للأرباب... فاستجاب لها وقال لها (أماه) إن الكائن الذي نطقت باسمه موجود، فاربطي عليه صورة الآلهة... اضربي لب الطين الموجود فوق**

---

[1] الجنابي، الإله إنكي، ص32 –33

Kuiper, K, Mesopotamia: the world's earliest civilization, Britannica Educational Publishing, 1st ed, 2011, P156.

مياه العمق، واجعلي أعوانك يكثفون الطين جيداً، وشكلي أنت لـه أعضاءه وجوارحـه، وستعمل ننمـاخ من فوق يدك..، ثم قدري مصيره يا أماه، وستربط ننماخ عليـه صورة الآلهـة، ذلك هو الإنسـان"[1]، وتتابع الأسطورة بأن أنكي وننماخ أسرفا ذات مرة في الشراب لتقبض ننماخ على قبضة من طين مياه العمق مقلدة نمو، فخلقت ستة أنواع فخرجوا شواذاً، ومنهم المرأة العاقر والمخنث، وأيضاً جرب أنكي اللهو، فقبض قبضة من الطين وشكلها فخلق مخلوقاً لا روح فيه، ولا يعرف الكلام ولا أكل الطعام.

تتابع الأسطورة بالتفصيل والتكرار مناقب وعظمة أنكي، وسط منافسة بينه وبين ننماخ لمن يبدع الإنسان بشكل أفضل، وبعد فشل ننماخ بخلق إنسان متكامل خلقه أنكي على صورته اليوم [2].

وتشير إحدى الأساطير السومرية إلى أن الإله أنكي قام بشفاء صنف من البشر كانت قد خلقتهم نينخورساك عاقرين، وذلك بأن غسلهم بالماء مع إحدى تعاويذه الخاصة [3].

نرى أن هذه الأسطورة ما هي إلّا انعكاس لأمرين؛ الأول هو التفاوت الطبقي بين الناس، فقد كان الناس أحراراً، ولكن قلة قليلة منهم كانوا هم الأسرة الحاكمة، ونظراً لقلة عدد السكان وكبر المسؤوليات الطبيعية الملقاة على عاتقهم اتجاه الفئة الحاكمة، طالبوا ملوكهم أن يجلبوا العبيد لخدمتهم، وما يثبت ذلك أن نصف سكان بلاد الرافدين كانوا عبيداً، وكان للعبيد دور رئيس في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لبلاد الرافدين، فالعبيد لا يضاهون فقط الفرد بمشقة العمل، بل إن القيود التي فرضت عليهم جعلتهم يعملون أكثر، وينتجون أفضل من المزارعين الأصليين، أما الأمر الثاني فقد نسبت الأسطورة الخلل في الخلق "التشوهات الخلقية" إلى ننماخ، على حين أن المياه العذبة المتمثلة بأنكي لا تخلق إلا الإنسان السليم، تقديساً للماء وحفاظاً على مكانتها، كما أن أنكي قادر على شفاء المرضى، مهما كان مرضهم، ولا سيما التشوهات الخلقية، والأمراض التي خلق الإنسان، وهو يحملها، بسبب عبث الآلهة، وفي الوقت نفسه يحق له أن يخلق التشوه إذا كان في حالة سكر!، فبقاء التشوهات الخلقية رغم وجود الإله أنكي له مبرر أيضاً.

---

[1] صالح؛ عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، مكتبة الانجلو المصرية، ج2، 2012، ص620.

[2] النوري؛ خالد عبد الملك، الأسطورة في بلاد الرافدين، مجلة عالم الفكر، مج 40، ع4، 2012، ص117 –118.

[3] يحيى؛ اسامة، السحر والطب في الحضارات القديمة، اشوربانيبال للكتاب، بغداد، 2015، ص217.

وفي نص آخر جاء بعنوان "في الطين حيث يتحد الإنسان بالإله"، ويتضمن النص تعويذة سحرية تتلى لتسهيل الولادة للنساء، وتبدأ التعويذة بتلاوة جوانب من حكاية التكوين:

"أنت عون الآلهة، مامي، أيتها الحكيمة

أنت الرحم الأم

يا خالقة الجنس البشري

أخلقي الإنسان فيحمل العبء..

ويأخذ عن الآلهة عناء العمل

فتحت نتو فمها

وقالت للآلهة الكبار

لن يكون لي أن أنجز ذلك وحدي

ولكن بمعونة أنكي سوف يخلق الإنسان

الذي سوف يخشى الآلهة ويعبدها

فليعطني أنكي طيناً أعجنه

فتح أنكي فمه

قائلاً للآلهة الكبيرة

في الأول والسابع والخامس عشر من الشهر

سأجهز مكاناً طهوراً

وسيذبح (هناك) أحد الآلهة

وعندها فليتعمد بقية الآلهة

وبلحمه ودمائه

ستقوم نتو بعجن العجين

إله وإنسان معاً

سيتحدان في الطين أبداً" [1]

يرجع النص إلى الأم نمو والدة أنكي الفضل في خلق الإنسان، ولكن دون مساعدة أنكي لا يمكنها ذلك فنمو هي المياه الأزلية الأم، وأنكي هو الصانع الحكيم، الذي قبل أن يخلق الإنسان سيقوم بذبح أحد الآلهة، وربما الصغار منهم، لكي يضفي على مخلوقه صفة الألوهة، ويمنحه القوة لمواجهة عثرات الحياة ومصاعبها.

ثانياً: قدسية الماء من خلال تصورات الآلهة:

1. النظام الديني وعلاقته بالماء – الثالوث المقدس:

تشكل الثالوث المقدس في بلاد الرافدين من ثلاثة آلهة رئيسة، مثلت العناصر الثلاثة للكون في نظرهم، وأولها وأعلاها مكانةً إله السماء آن، وفي المرتبة الثانية إله الهواء إنليل، أما في المرتبة الثالثة فيأتي إله الأرض أنكي/ أيا[2] ، ويُعتقد أن هذا الثالوث ما هو إلّا تغطية كاملة للنظام السياسي في البلاد، فقد وضع الشعب مجلساً كاملاً للآلهة برئاسة الإله إنليل، فآن يبقى في السماء حسب المعتقد، وينوب عنه على الأرض إنليل، ويتحرك الآلهة تحت سلطة الثالوث المقدس، وبعد اجتماعهم تتحدد مصائر جميع الكائنات، فتكتب على "لوح المصائر" أي الآلهة هي الصورة السماوية للنظام السياسي الحاكم[3]، إذ يُلاحظ أنه كان لانتقال السلطة السياسية من قوم لقوم آخر دور مهم في تغيّر مكانة بعض الآلهة، فقد انعكس وجود آلهة المدن على جعل إله المدينة التي تصبح عاصمة للدولة إلهاً للدولة كلها، أيضاً فإن أبناء الآلهة قد حلّو بمقامهم كالإله مردوخ ابن أنكي إله مدينة بابل[4].

يلاحظ أن الإله آن ليس له أثر مباشر على سكان بلاد الرافدين حسب معتقداتهم، ويبدو أن الرافدي أهمل أمر السماء التي لم يظهر منها اتجاهه أي تأثير مباشر، واختار إنليل إلهاً للريح والصواعق، أي أنه ميّز بين السماء كفضاء واسع، وبين الغلاف الجوي للأرض بما له من أثر مباشر على سير الحياة على الأرض.

---

[1] السواح؛ فراس، مغامرة العقل الأولى، دمشق، 1988، ص101 – 102.

[2] موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ص75.

[3] بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة، ص260.

[4] الحبوبي؛ شيماء، الآلهة وصفاتها في بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية، مجلة التراث العلمي العربي، ع1، 2017، ص10.

ميّز الرافديون آلهتهم بأنها خالدة، وأضفوا عليها جميع الصفات الإنسانية، من حب، وكره، وسعادة، وغضب...إلخ، كما اعتقد الإنسان الرافدي بأن الآلهة تستقر في السماء، أو الماء، أو العالم السفلي، ووضع لها تماثيل في المعابد، واعتبر أن المعابد هي بيوت مقدسة، يستقر فيها رمز الإله، من أجل تقديم القرابين له، والصلاة والدعاء وفق طقوس معينة[1]، إذ وجب على الملك تقديم القرابين والطعام والشراب للآلهة، وهو من يقوم بعملية التطهير المقدس، ويقدم العطايا للمعبد[2]، فضلاً عن ذلك فقد التجأ الملوك إلى الآلهة لإخافة الناس بغية تطبيق قوانينهم، فنجد أن نصوص شريعة حمورابي في فصلها الأخير تشير إلى أن من يقوم بتغيير أي نص من نصوص القانون يحاسبه أحد آلهة الثالوث المقدس[3].

إن معنى اسم أنكي "سيد الأرض"، وعُرف بالأب وملك الآلهة، وهو من خلق العالم، ومنح الحكمة، كما أنه سيد القدر، وإليه تنسب عملية تنظيم الأرض حسب قرارات الإله إنليل، بعد أن وضع له الأخير الخطط بشكل عام، فيعمد أنكي إلى تنظيمها، وموطن أنكي في أبسو أي المياه العذبة، كما أن سلطة أنكي مستمدة من آن وإنليل، فهو بمثابة الوزير بالنسبة إليهما[4].

كان للآلهة دور بارز في تأمين المياه، سواء لهم أم للبشرية، إذ نجد في قصة التكوين أن الآلهة تعبت من مشقة حفر القنوات، فقد عمل الآلهة الصغار بعد التكوين في استخراج الماء العذب حيث نقرأ:

"لم يكن الماء المنعش آنذاك

يخرج من الأرض بعد...

لذلك كان على آلهة البلاد، وقد فرضت عليهم السخرة

أن يحملوا المعول والمقطف

فلم يكن هنالك لضمان الإنتاج

---

(1) الدباغ؛ تقي، آلهة فوق الأرض – دراسة مقارنة بين المعتقدات الدينية القديمة في الشرق الأدنى واليونان، مجلة سومر، مج23، بغداد، ج1، 1967، ص104.

(2) محمد؛ هيفاء، ألقاب حكام وملوك العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: عامر سليمان، جامعة الموصل، 2007، ص92.

(3) كلشكوف، الحياة الروحية في بابل – الإنسان المصير الزمن، ترجمة: عدنان حمودي، دار المدى، ط1، دمشق، 1995، ص38.

(4) يحيى، الالهة في رؤية الإنسان العراقي القديم، ص303.

عمال آخرون ليكفلوا بالعمل.." [1]

وهنا إشارة واضحة إلى أهمية الماء بالنسبة إلى الآلهة، قبل خلق الإنسان، وهذا يعود حسب التصور أن الآلهة تأكل وتشرب، وحسب النظام الملكي للبشر، انعكس الفكر الديني بتقسيم إلى آلهة لكبار، يرثون الألوهة، وآلهة صغار لم يتسنّ لهم وراثة الحكم منذ البداية ومع تكاثرهم أصبحوا آلهة صغاراً ووقع عبء العمل الشاق على كاهلهم، ونسبت إليهم أعمال بناء الخزانات وحفر القنوات وإنشاء السدود، وعلى سبيل المثال فقد أشرف إله الزرع "نينورنا" بنفسه على بناء سد ضخم من التراب والحجارة لجمع المياه وتحويل الفائض منه إلى نهر دجلة[2].

وفي ربط مباشر، وفي تناقض مع النص السابق نجد أن قدرة الآلهة ارتقت من المستوى البشري إلى المستوى الإلهي، لصنع الماء عبر الأنهار وذلك مما ورد ذكره في ملحمة الخليقة البابلية بعد قتل مردوك لتيامة:

"رتب (مردوك) رأسها (تيامة) وجمع (فوقه جبلا)

فتحت فيه ينابيع وجرى منها الماء الحي

في عينيها فتح الفرات ودجلة

وسد منخراها واحتفظ بها للفيضانات

على صدرها كدس الجبال البعيدة

وثقب فيها تدفقات الماء لتجري الينابيع" [3]

نجد أن النص السابق قد بالغ في قدسية البحر الأول "تيامة" فتصور أن البلاد كلها عبارة عن جسد لها، ونظم القصة على هذا الأساس، ولكن بعد موتها! وربما يقصد بذلك أن جسدها أصبح مقدساً نقياً بعد مقتلها، وليس مالحاً كما طبيعتها.

وتتابع تعويذة "الدودة ووجع الأسنان" كيفية إيجاد المياه ولكن بتدرج طبيعي واضح:

"وخلقت الأرض سيول الأنهار

---

[1] شميل؛ إيف، السياسة في الشرق القديم، ترجمة: مصطفى ماهر، المجلس الأعلى للثقافة والمركز الفرنسي للثقافة والتعاون، ط1، القاهرة، 2005، ص184.

[2] يحيى، الالهة في رؤية الإنسان العراقي القديم، ص 177.

[3] المرجع نفسه، ص155.

وخلقت الأنهار القنوات

وخلقت القنوات المستنقع"[1]

نرى أن استخدام كلمة "خُلقت" يعود إلى نسب عملية الخلق للآلهة، فإله الأرض أنكي هو من خلق الأنهار، أما إله النهر فقد خلق القنوات المتفرعة عنه، الطبيعية والصناعية، وربما قصد الكاتب أن إلهاً آخر مختصاً بالقنوات قد خلق المستنقع.

لم تكتفِ الآلهة بعملية الخلق أو العمل على استخراج المياه، بل إن الآلهة استخدموا القنوات المائية للتنقل حيث ورد ذكر لإحدى قنوات المياه شمال نيبور بأنها تنقل الآلهة إلى الفرات من جهة وإلى ونيبور من جهة أخرى[2].

وتتابع الأساطير أن الآلهة خلقت الزراعة أيضاً، وعمدت لأجل إحيائها إلى خلق الصيف والشتاء، ولكل منهما إلهه الخاص، حيث كان "ايمش" هو إله الصيف، بينما سمي إله الشتاء بـ "اينتن" ولقدسية الماء وأهميتها في الإنتاج فقد خضع الصيف للشتاء بقرار من الإله إنليل حسب قصة الخلاف بين الشتاء والصيف[3].

كانت التصورات واقعية ومنطقية، فالشتاء يحل في الربيع والخريف على نحوٍ لافتٍ أكثر من الصيف، وعلى سبيل التمني الدائم للخيرات فمن الطبيعي تغليب فصل الشتاء على الصيف في بلاد طبيعتها أقرب إلى الصحراوية.

ومع كل القداسة والتميز الذي حظي به الآلهة لدى سكان بلاد الرافدين، نجد أن الاستخفاف بهم وعدم احترامهم هو أمر طبيعي إذ جاء في أحد النصوص الممثل لحوار بين السيد وعبده:

"أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري

نعم سيدي، نعم ها أنذا مصغ إليك

أسرع، اذهب وأحضر لي ماء لغسل يدي

أريد تقديم قربان لإلهي

---

[1] يحيى، الالهة في رؤية الإنسان العراقي القديم، ص155.

[2] Jacobsen, T, Water of Ur, British Institute for the Study of Iraq, Vol. 22,1960, p179.

[3] الجميلي؛ عامر، علم المناخ والطقس في الفكر الجغرافي القديم، جامعة الموصل، موقع العراق في التاريخ، ص8-9.

قدم يا سيدي قدّم

الرجل الذي يقدّم قرباناً لإلهه يرتاح قلبه

ويضمن لنفسه أجراً فوق أجره

إذن كلا يا عبد، أنا لن أقدم قرباناً لإلهي

لا تقدّم قرباناً يا سيدي لا تقدّم

لأنك بذلك سوف تعوّد إلهك على اللّحاق

بك أينما ذهبت، مثل كلب ليسألك

قائلاً (أقم طقوسي) أو (لِمَ لم تستشر آلهتك)

أو يسألك أي شيء آخر"[1]

يبدو ذلك اعتراضاً واضحاً على السياسة الدينية في البلاد، كما كان هنالك تعارض في القناعة بأن الآلهة فعلاً تستحق تقديم القربان أم لا؟ ولا سيما أن العبد هو من يقيّم الأمر حسب رغبة سيده، وهذا يدل على سلطة الأغنياء وقوتهم فبوجودها يستطيعون الاستهزاء بالآلهة بكل بساطة، في مقابل خوف الفقراء من جبروتهم.

2. إله الماء – أنكي/ أيا:

يظهر الإله أنكي أهم إله في ثقافة سكان بلاد الرافدين، فهو إله الماء، ومصدر الحياة والازدهار في بلاد كل ثروتها تكمن في المياه[2]، وتأتي مرتبة أنكي بعد إنليل، وسبب تسميته بالأكادية بـ أيا يعود ربما إلى أقوام الجزيرة العربية الذين قدسوا الأرض كإله قبل مجيئهم إلى بلاد وادي الرافدين، لذلك كان له في لغتهم تسمية تختلف عن التسمية السومرية بسبب الفرق الكبير بين اللغتين[3]، إن اسم أنكي حرفياً يعني سيد الأرض، ولأن الأرض لا تحيا دون ماء، فقد أصبح إله المياه العذبة، أما اسم أيا فيشير إلى بيت أو معبد المياه، وسيد الماء

---

[1] الشوف؛ قاسم، ديوان الأساطير، ج3، ص 338–339.

[2] الجنابي، الإله أنكي، ص3 –4.

[3] رشيد؛ فوزي، الديانة، من كتاب حضارة العراق، ج1، بغداد، 1985، ص155.

العذب بالأكادية، وله كل خصائص المياه، فهو واهب الحياة، ومطهر، ودائم الوجود والصفاء، وذو سحر ومتقلب ومخادع[1].

صورت النصوص الإله أنكي حاكم دويلة أريدو المدينة الرافدية الجنوبية، وكان يقطن في معبده أبسو[2]، ومما يشير إلى صلته الوثيقة بالماء العذب، أنه يقطن في الجزء السائل من سطح الأرض أيضاً، وأنكي تعبير سومري يشير إلى تفجر الماء، أو الإقامة في الماء[3].

بذلك نستطيع أن نستشف قدرة الرافدي على تمييز المياه الجوفية، لأهميتها في عملية حفر الآبار عند الحاجة إليها، وطالما أن مياه الآبار نقية وصالحة للاستخدام فهي أيضاً موطن للإله إنكي.

حسب معتقدات سكان بلاد الرافدين فإن أنكي هو صاحب علم ومعرفة، يمنح الحكمة والعقل للآخرين، وهو سيد العالم والحكمة كلها[4]، فضلاً عن ذلك، فإن بداية قصته شبيهة ببداية الخلق، فموطنه "الأبسو"[5]، وقد حصل عليه بعد معركة مع وحش المياه الباطنية التنين كور[6]، بعد أن أثار موت أبسو التحدي الكوني بين الآلهة[7] وفي ذلك رمز تعبيري مهم، إذ يبدو أن أبسو لم يعد إلهاً بعد موته، بل أصبح مكاناً للمياه الملوثة "بالوحش"، وما انتصار أنكي عليه، إلا كناية عن إعادة الصفاء للماء الأولي.

وفي الأساطير البابلية؛ تتضح العلاقة بين أبسو وأنكي، موضحة أن أنكي ابن أبسو، بينما في الأساطير السومرية يختلف الأمر، فأبسو هو مكان، وهو في الأصل معبد أنكي، وبذلك يصبح الأبسو "معبد الأعماق"، كما

---

(1) الجوراني؛ وداد، الرحلة إلى الفردوس والجحيم في اساطير العراق القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1998، ص133. أيضاً: رو، العراق القديم، ص134.

(2) Satterfield, B, Ancient Mesopotamian Temple Building In Historical Texts And Building Inscriptions, Brigham Young University – Idaho, p2.

(3) بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة، ص286 – 287.

(4) الجنابي، الإله إنكي، ص5.

Clifford, R, in Mesopotamia and Israel, Wisdom Literature, Society of Biblical Literature Atlanta, 2007, P70.

(5) علي؛ فاضل، ثم جاء الطوفان، مجلة سومر، مج 32، ج1–2، بغداد، 1975، ص12.

(6) الشواف؛ قاسم، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، ج3، دار الساقي، ط1، بيروت، 1997، ص156.

(7) Jordan, M, dictionary of Gods and Goddesses, second edition, 2004, p26.

سمي بمعبد الغور "أي – انكورا" أي معبد شجرة الكشكانو المفضلة عنده، كما يظهر الإله دموزي – أبسو[1] بأنه الابن البار لمياه الأعماق، وفي الوقت نفسه هو ابن أنكي[2].

عمد سكان بلاد الرافدين إلى وصف الإله أنكي من خلال المياه فهو أصل الحياة وواهبها ووجوده دائم، وبه كل الطُهر والخصوبة، كما لم ينكروا صفاته السلبية "الخداع والتقلب"، وفي علاقته بالناس والآلهة فهو إله رحيم اتجاه الناس وبقية الآلهة، وهو المعلم للبشر بكل ما يحتاجونه من صناعة وزراعة وكتابة، فهو الصديق الوفي والدائم للبشرية[3]، وقد أكرمه الرافديون بأكثر من 47 معبداً في مختلف مدن ومراكز التجمع السكاني في بلاد الرافدين[4].

يظهر دور الإله أنكي في مجال المعرفة والحكمة واضحاً من خلال النشيد السومري الذي يقول فيه:

"أيها الرب يا من بعينيك السحريتين حتى لو كنت ساكناً

غارقاً في الفكر

تنفذ إلى القلب من كل شيء

يا أنكي يا من وعيك لا أحد له يا ناصح الأنوناكي[5] الأعظم

يا عميق العلم، يا من تطاع عندما تعمل فطنتك

للمهادنة والتقدير

والفصل في منازعات القانون يا ناصحاً

من الشرق إلى الغروب

يا أنكي يا سيد اللفظ الحكيم"

---

[1] دموزي – أبسو هو الابن البار لمياه الأعماق، الابن المرتفع من مياه الأعماق، يمثل المياه العذبة، وهو إله مدينة كينيرشا في لكش، ويبدو أنه ليس هو الإله دموزي الذي دارت حوله الأساطير، بل إنه محرّك الأجنة في الأرحام، أي إله مياه الرحم العميق. الماجدي، متون سومر، ص153.

[2] الماجدي، متون سومر، ص99.

[3] الجنابي، الإله إنكي، ص6 –7.

[4] المرجع نفسه، ص118 – 123.

[5] انوناكو / انوناكي: من السومرية " ا. نونَا (ك) اي" أي ذرية الأمير الإلهي، وربما المقصود انكي/ ايا، وهو اسم مجموعة آلهة عليا، في درجة أسمى من ايكيكو / ايكيكي، ومنذ النصف الثاني من الألف الثاني، اشاروا بهذا الاسم إلى آلهة الجحيم، ويشير الاسم أحياناً إلى مجموعة الآلهة إجمالاً. بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة، ص363.

ويتابع النشيد بعد تكرار مناقب الإله أنكي:

"وإليك قد عهد بأن تنقي الفمين الطاهرين

من دجلة والفرات

وأن تُكثّر اليانع من الخضرة وتكثف الغيوم

وتُغدق الماء على الأرض المحروثة

وتنبت الفسائل في المزارع والحدائق " [1]

يبرز النشيد الدور المهم لأنكي، موضحاً مكانته، فإنه يطاع فقط عندما "تعمل فطنته"، وفي ذلك دليل على النظرة الدينية للآلهة لدى السكان، التي عبر عنها الكاتب السومري، ثم يتابع الكاتب نشيده ليصل إلى دور أنكي في تنقية المياه، ولا سيما من ينبوع نهري دجلة والفرات، فهو من يمنحهم الطهارة، ويضفي على مائهما القدسية، ولم يقتصر دوره على ذلك، بل إنه يشرف على المطر والغيوم، ويعتني بالإنتاج الزراعي.

وفي نص آخر، يصوّر الفكر الرافدي أنكي بأنه أكبر وأعظم من بقية الآلهة، مكانةً وحجماً! فقد جاء في قصة أتراخاسيس:

" فتح أيا فاه

وقال للآلهة العظام

في اليوم الأول والسابع والخامس عشر من الشهر

سأعد حماماً للتطهير

فليذبح إله

وليغطس فيه الآلهة والآخرون فيتطهروا..." [2]

---

[1] فرانكفورت؛ هـ، فرانكفورت؛ هـ .ا، ولسن؛ جون.ا، جاكوبسن؛ ثوركيلد، : ما قبل الفلسفة الانسان في مغامرته الفكرية الاولى، ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1980، ص 173.

[2] الأسود، القوى الروحية، ص 28-29.

3. أسطورة أنكي وتنظيم الكون:

من خلال أسطورة أنكي وتنظيم الكون، نجد أن أنكي قد وضع آلهة للإشراف على مصادر المياه كدجلة والفرات، وملأ الأنهار والأهوار والمستنقعات بالأسماك والقصب وعين إلهاً عليها، كما أنه بنى المساكن للمزارعين، ووزع الأعشاب والحيوانات[1]، وقام بمد الحضارة بكل ما هو ضروري لها، فجعل الغلال تثمر بالحقول، وفتح القنوات المقدسة، وأوكل مهمة الإشراف عليها لـ "انكمدو" إله القنوات والجداول، وأوكل لإله الآجر "كبتا" شؤون الفأس وبناء المساكن، وملأ السهول بالخضروات والحيوانات موكلاً أمرها للإله "سمكان" ملك الجبال، كما بنى الإسطبلات وحضائر الماشية وأوكل إدارتها لإله الرعي دموزي[2]، وسلم مسؤولية الأمطار العذبة وسحابها وريحها للإله أشكور [3]، فضلاً عن ذلك فقد كلف بناته "نينا" ربة المياه، ويرمز لها كسمكة في حوض، و "نيسابا" التي تمسك إناءً فائضاً، وتمثل رمز الرخاء حيث كلفهما بتوزيع المياه[4].

إن كل ذلك يُظهر نظرة الإنسان إلى التنظيم الدقيق للطبيعة من حوله، وربطه المباشر بين المياه والحياة[5]، فكل عمل يجري على الأرض بحاجة إلى الماء، بدءاً من النبات ومواد البناء التي معظمها من الطين والقصب، حتى الماشية واسطبلاتها، ويبدو أن الإنسان في بلاد الرافدين تصور أنكي ملكاً، وحوله وزراء ينظمون كل ما يتعلق بالماء من قريب أو بعيد، وهذا التصور الرافدي للحكم كان واسعاً، فالآلهة هي المسؤولة، وكل مسؤول يتدرج في المناصب من الراعي حتى الملك.

وفي إشارة تبرز دور الخصوبة في استمرار مظاهر الحياة، فإن المياه المقدسة الخاصة بنهري دجلة والفرات ما هي إلّا مِني الإله أنكي حسب التصور[6]، حيث يبرز النص الآتي أن الإله أنكي قد ملأ نهري دجلة والفرات بماء قضيبه، لكي يسقي الحقول على امتداد هذين النهرين:

"وعندما وجه أنكي الموقر نظره إلى الفرات

---

(1) الجنابي، الإله إنكي، ص38 –40.

(2) هوك؛ صموئيل، الأساطير في بلاد ما بين النهرين، ترجمة: يوسف عبد القادر، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، دار الجمهورية، بغداد، 1968، ص14 – 15.

(3) الجنابي، الإله أنكي، ص39.

(4) سيرنج؛ فيليب، الرموز في الفن – الاديان – الحياة، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط1، دمشق، 1992، ص256.

(5) الجنابي، الإله إنكي، ص41.

(6) عبد الحق؛ حسان، الماء في الفكر الرافدي القديم، مجلة جامعة دمشق، المجلد34، العدد الثاني، 2018، ص202.

رفع نظره كأنه ثور متلهف

نصب قضيبه ودفق منيه"

كما ظهر دور أنكي في خلق القصب والنباتات الأخرى، من خلال تزويد أماكنها بمياهه:

"ملأ بقضيبه المجاري جمعاء

وبماء منيه العزير، أغرق منابت القصب

ممزقاً بقضيبه الكساء الذي كان يستر حضن الأرض" [1]

وفي النصين دليل على الخصوبة والتلقيح، اللتين لا تستمر الحياة إلا بهما، فالقصص الرافدية القديمة مليئة بالتصورات التي توضح العلاقة الجنسية على أنها مقدسة في سبيل استمرار الحياة على وجه الأرض.

4. أرض دلمون – أسطورة أنكي وننخورساك:

وفقاً للأساطير السومرية كان هنالك أرض تسمى دلمون تقع على الخليج العربي فيها كل شيء، وتخلو من المرض والشيخوخة، رغم نقص المياه العذبة[2]، وتوضح أسطورة أنكي وننخورساك "أم الأرض" بأن منطقة دلمون "البحرين حالياً" كانت من أفضل المناطق على وجه الأرض، وينعدم فيها المرض وكبر السن، ولا ينقصها سوى الماء العذب، الذي أوجده أنكي بناء على طلب ننخورساك[3].

وفقاً للأساطير ومنها أسطورة الجنة السومرية فإن الإله أنكي هو من جلب لدلمون المياه العذبة، بعد أن أمر إله الشمس بذلك، إذ تُصوّر الأسطورة دلمون بأنها الجنة على الأرض، وهذا ما شبيه بما ورد بالتوراة[4]، وإذا عكسنا الأسطورة على الواقع القديم لبلاد الرافدين يتبيّن أن المقصود بجلب أنكي للمياه العذبة هو الإشارة إلى البدء بالري الصناعي واستخدام تقنيات الزراعة[5]، وعليه يتحسن حال المنطقة المسماة بدلمون، فهي بالحالة الطبيعية جزيرة محاطة بالماء المالح من كل الجهات، وكان تصور الرافديون أن تحت الأرض مساحة واسعة من المياه

---

[1] الشواف ، ديوان الأساطير، ج 1، ص 29.

[2] بارندر؛ حفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، السلسة 173، مايو 1993، ص19.

[3] هوك، الأساطير في بلاد ما بين النهرين، ص21.

[4] الجنابي، الإله إنكي، ص27.

[5] المرجع نفسه، ص31.

العذبة منها تخرج الينابيع والجداول والأنهار إلى سطح الأرض[1]، وإن وصول المياه العذبة لها وبكثرة يتطلب عمل إلهي، مما جعلها تصبح جنة حقيقية، ومكاناً للآلهة الخالدين بعد تفجر ينابيع المياه في أرضها[2]، ووصف الكاتب السومري ري إله الشمس لدلمون بأن الماء مجلوب من الأرض، ومما جاء في العهد القديم الإصحاح الثاني "**ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقي كل وجه الأرض**"[3].

وفي نص يعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد وجاء فيه:

"من مقره السماويّ

أخرج أوتو[4]، المياه الحلوة من الأرض

من فوهات تنبعث منها.

جعلها تصل إلى صهاريج (؟) متسعة

فاستهلكت المدينة منها كميات وافرة

بلد دلمون استهلكتها بكميات وافرة

فتحولت آبار مائه الحامزة إلى آبار مياه حلوة

وجلبت حقول حصاده، كميات كبيرة من الحبوب!

أصبحت بعد ذلك عاصمة (دلمون) الأهراء،

الأهراء التي تموّن بالحبوب بلاد سومر كلها!

نعم! هذا ما حدث آنذاك بفضل أوتو" [5]

---

[1] بقة؛ بلخير، أثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية سومر وبابل 3200 – 539 ق. م، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: بلقاسم رحماني، جامعة الجزائر، 2008 – 2009، ص44.

[2] هوك، الأساطير في بلاد ما بين النهرين، ص21.

[3] كريمر؛ صموئيل نوح ، هنا بدأ التاريخ – حول الأصالة في حضارة وادي الرافدين، ترجمة: ناجية المراني، الموسوعة الصغيرة77، دار الجاحظ، بغداد، 1980، ص78 – 79.

[4] أوتو: هو لقب ننخورساك، ومعناه سيدة الولادة، وهو لقبها كآلهة أم. الشواف، ديوان الأساطير، ج1، ص29.

[5] الشواف، ديوان الأساطير، ج1، ص28.

يتضح من النص السابق خروج الماء من الأرض عبر فوهات منتظمة، مع مسار لخزانات، وقد يكون الأمر عائداً لعمل بشري، هو حفر الآبار، او اكتشاف حفر الآبار وتنظيم المياه لتصل لخزانات ثم استخدامها بالري المنظم، كما يبدو أن المنطقة المسماة دلمون لم تقتصر على جزيرة البحرين، بل ربما تعدتها لمناطق شرق شبه الجزيرة العربية، ولا سيما المنطقة الشمالية الشرقية، ومن المحتمل أن النص يشير إشارة ضمنية إلى جفاف وقحط أصاب بلاد الرافدين، فالتجأ الناس إلى منطقة دلمون وعملوا على حفر الآبار وإقامة الخزانات لاستخدامات الزراعة، وقد يكون أن نوعاً من الهجرات لمجموعات عراقية إلى تلك المنطقة، المسكونة أصلاً بعدد قليل من السكان الذين ينعمون بخيرات بلد واسع، وعلى أثر هذه الهجرات المنظمة، أصبحت دلمون تزود بلاد الرافدين بالخيرات الزراعية لأعوام لا نعلم مدتها.

ويتابع النص عن أنكي:

"مرة أخرى عمد أنكي إلى توفير الماء

ملأ بالماء الجاري

ملأ بالماء الأرض الموات

امتلأ قلب البستاني فرحاً..." [1]

وهنا لا ينكر الكاتب دور إله الماء أنكي في هذا العمل الجبار، مع إشارة إلى أنها البلد الثاني الذي أحياه، بعد أرض الرافدين.

وفي جانب آخر من أسطورة أنكي وننخورساك:

بعد أن يحقق أنكي طلب ننخورساك في توفير الماء لدلمون، يقوم بالزواج بها، فتلد ننسار، إلهة النبات، وما يلبث أنكي أن يضاجع ننسار، فتلد ننمو إلهة الألياف، وأيضاً يضاجع أنكي الأخيرة فتلد ننكورا آلهة الأصباغ، كما يقوم بمضاجعة الأخيرة فتلد إلهة النسيج، ويظهر من خلال هذا التسلسل حاجة الأرض للنبات بعد توفر الماء ومراحل نمو النبات. تتابع الأسطورة أحداثها بأن أنكي استمر بمضاجعة بناته من صلبه، موضحة أن

---

[1] الشواف، ديوان الأساطير، ج1، ص33.

هذا خطأ يرتكبه الإله، حتى ضاجع آخر بناته أتو، التي ولدت ثمانية نباتات ما لبث أنكي أن التهمها كلها، وعندها غضبت ننخورساك، ولعنته وعلى إثر لعنته؟! مرض أنكي بجسده ثمانية أمراض[1].

إن حمل وولادة أتو للنباتات هو بفضل تدخل ننخورساك، التي كانت قد أوصتها بأن لا تدع أنكي يمسها إلا إذا تزوجها، وعندما تقرّب منها أنكي رفضت وأخبرته، فذهب في الليل إليها محملاً بالهدايا وسقاها الخمر حتى سكرت، وتمكن منها، وبعد حملها منه تدخلت ننخورساك وجعلتها تحمل بثماني نباتات بدل الجنين[2]، وأوصتها بألا يقربها أنكي، ولكنه بعد ولادة أنكي أكل النباتات ومرض ثماني أمراض، وهنا توجست الآلهة خوفاً بأن يغور الماء العذب في أعماق الأرض وتنعدم الحياة، وهنا تدخل الثعلب ليجمع بين ننخورساك والآلهة وهدؤوا روعها ولينوا قلبها حتى قبلت بشفاء أنكي، حيث خلقت لكل مرض من أمراض أنكي إلهاً ليشفيه[3].

إن تصور الإنسان في بلاد الرافدين لمراحل نمو النباتات عبر الأسطورة، يدل على علمه الواسع بالنبات، وكيفية تشكله، وهنا يتأكد الاحتمال أن هنالك مجاعة حلت بالبلاد، ويشير زواج أنكي وننخورساك إلى اقتران وفرة الماء بأرض دلمون، كما تشير الأسطورة لعدد سنوات القحط الثمانية، والتي لم تكن كافية للناس، ويبدو أن الطمع والشجع قد زاد كثيراً مما تطلب عقاب من الآلهة، كان على شكل أمراض تصيبه، فهو وبجوره على كل ما زرع، قد جعل الماء تغور في الأرض، إلى أن تشفي الإلهة الناس، وتنتهي القصة بانتهاء موجة الجفاف والقحط في البلاد.

كما نجد في الأسطورة إشارات مهمة للرابط القوي بين الماء والحياة الزراعية، في إشارتها لهجر أنكي لزوجته ننخورساك بعد ولادتها، كما تهجر المياه الخضرة بعد انحصار الفيضانات عن الأرض الزراعية مع بداية الربيع[4]، مما خلق وعمق الخلاف بينهما.

---

[1] الماجدي؛ خزعل، بخور الآلهة، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1998، ص300.

[2] مجموعة مؤلفين: حضارة العراق، ج1، 1985، ص157.

[3] عكاشه؛ ثروت، تاريخ الفن – الفن العراقي القديم سومر وبابل وآشور 4، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مطبعة فينيقيا، بيروت، د. ت، ص73.

[4] الجنابي، الإله إنكي، ص28.

ثالثاً: انعكاس قدسية المياه على الفن ورموزه في بلاد الرافدين:

1. أبرز رموز الآلهة وعلاقتها بالمياه:

كان للفن الرافدي دورٌ بارزٌ في إظهار قدسية الماء في الديانة الرافدية القديمة، وعلاقته المباشرة بالآلهة والملوك وحياة الناس، وحول كيفية تمييز الصبغة الدينية للوحات الفنية فقد ميزت الآلهة بلباس الرأس وهو قلنسوة مزينة بقرون تتقابل أطرافها من أمام كل اثنين معاً، كما نرى صورتها إنسانية بحتة، ما خلا استثناءات قليلة[1].

استخدمت مشاهد للإله أنكي في الأختام الشخصية ولا سيما الدينية منها[2]، فقد وجد على طبعة ختم تصوير وهو يجلس في غرفة فوق خطوط متموجة تشير للمياه، كما تنساب من كتفيه أيضاً جداول المياه[3]، وفي ختم آخر يجلس أنكي وتسيل المياه من حوله ومن وسط جسده، وفي المشهد سمكتان أمامه وثلاث خلفه، ويقوم وزيره بتقديم الإنسان الطير رافعاً يده لتحية الإله، كما كان رمز الإله شمش عبارة عن دائرة في وسطها أربع حزم ضوئية تقطعها أربعة مجاري ماء[4]، وإمعاناً في إظهار أهمية المياه وقداستها فقد استخدم التجويف وسط التماثيل لإيصال ماء متدفق حي إلى إناء يمسكه التمثال، ثم ينسكب على الأرض[5] (الشكل رقم1).

يمثل شكل الإناء الفوار أو الكأس الأسطواني الفوار رمزاً للمياه، وبدوره يمثل رمزيّاً منابع دجلة والفرات، إذ تنساب من فوهته المياه باتجاهين مختلفين، ثم يتوزع منهما ثلاثة فروع، ربما أرادوا بها الإشارة إلى الروافد الرئيسة للنهرين الزاب والنهر العظيم أو نهر ديالى التي ترفد دجلة، والخابور والبليخ ومراد صو الرافدة للفرات، وهذا الإناء يمسكه الإله أنكي، أو أحد الآلهة التابعين له[6]، فأنكي هو المنجي، وقوة الماء العذب، وكثيراً ما يظهر مكان الإناء الفوار، يخرج منه الماء المتدفق بغزارة، كونه منبع المياه العذب، فتنساب المياه من بين يديه أو وسطه[7] أو

---

(1) بورت؛ ل. ديلا، بلاد ما بين النهرين – الحضارتان البابلية والأشورية، ترجمة مخرّم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1997، ص194.

(2) الجنابي، الإله إنكي، ص143.

(3) الشاكر؛ فاتن، رموز أهم الالهة في العراق القديم – دراسة تاريخية دلالية، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: حسين حمود، جامعة الموصل، 2002، ص36 – 37.

(4) الأحمد؛ سامي، المعتقدات الدينية في العراق القديم، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، 2013، ص31.

(5) Parrot, A, Mission archeologique de Mari volume II - le palais, Librairie orientaliste paul geutaner, paris, 1958, p101..

(6) الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص186.

(7) الأسود، القوى الروحية، ص 24.

كتفيه في إشارة للنهرين العظيمين[1]، بينما يجتمع الإناء الفوار والإله أنكي "الرمز والإله" في لوحة فنية واحدة، حيث أن أبرز رموز الإله أنكي هو الماء المتدفق من كتفيه، أو يديه، وهو ممسك بإناء ماء تنبع منه المياه أيضاً[2]، وذلك دليل الخصوبة التي هي هوية أنكي، وفي لوحات كثيرة نجد وسط المياه أسماك تسبح عكس التيار، إذ كان هنالك ترابط وثيق بين الأسماك والإله أنكي، حيث قدمت الأولى قرباناً له، وعكست رمز الحكمة[3]، فضلاً عن ذلك يصور أنكي على أنه إلهٌ من المياه نصفه إنسان ونصفه سمكة، وله رأسان[4]، كما صوّر بأنه يرتدي جلد سمكة، في مشهد يوحي بقدسية السمك وارتباطه الوثيق بالإله[5]، فيما اقترن وجود الماء بوجود الأسماك فيه، فهي أحد رموزه ورمز الربة "نينه" ابنة أنكي، والسمك من الأضاحي المفضلة التي تقدم لأنكي[6]، ورمزت للحكمة التي يتمتع بها[7]، أما تمثيل الماء، فقد كان من خلال رسم الخطوط المتموجة في الأعمال الفنية[8]. (الشكل رقم 2)

2. المياه المقدسة في الفن الرافدي:

وجد الكثير من الأختام واللوحات الفنية المتشابهة، التي عثر عليها المنقبون في مواقع مدن عراقية قديمة، ولكثرة هذه اللوحات والأختام والتماثيل الفنية، ولتشابهها، آثرنا أن نختار منها كل ما هو مميز ومختلف عن الآخر، وفي فترات زمنية متباعدة، فحاولنا أن نأخذ نماذج يظهر فيها بوضوح تقديس الماء ودوره الديني، وبفترات زمنية تغطي فترة الدراسة.

---

(1) الأسطورة .. توثيق حضاري، قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، دار كيوان، ط1، دمشق، 2009، ص108 – 109.

(2) Bertman, S, Handbook to Life in Ancient Mesopotamia, the United States of America, 2003, p118.

(3) الجنابي، الإله إنكي، ص126– 127.

(4)كورتل؛ آرثر، قاموس أساطير العالم، ترجمة: سهى الطريحي، دار نينوى، دمشق، 2010، ص23.

(5) Mackenzie, D., Myths of Babylonia and Assyria, 2005, p9.

(6) الخفاجي؛ مكي – حسن؛ هدى، تمثلات ديمومة الحياة في الفن العراقي القديم (فخاريات سامراء، الألف الخامس ق. م)، مجلة نابو للدراسات والبحوث، ع14، حزيران 2016، ص47.

(7) الشاكر، رموز اهم الالهة في العراق القديم، ص40.

(8) الخفاجي– حسن، تمثلات ديمومة الحياة في الفن العراقي القديم، ص47.

✓ **مدينة أور[1]:**

وجد لوح يعود إلى عصر فجر السلالات الثالث، يصور مشهد سكب أحد الكهنة العراة للماء، المميز بشعره الطويل، حاملاً بيده إبريق يسكب منه الماء وسط آنية كبيرة وضعت أمام الإله الجالس على العرش، وخلف الكاهن ثلاث كاهنات يرتدين الثياب الطويلة، وعلى اللوح نفسه وفي الحقل الثاني منه مشهد لمتعبدٍ عارٍ أيضاً وحليق الرأس يقوم بسكب الماء على آنية فيها نباتات، أمام معبد الآلهة، وخلفه امرأتان ورجل يحمل عجلاً بيده[2] (الشكل رقم3).

نستطيع تفسير المشهد بأن الكاهن يريد من الإله مباركة الماء ليصبح مقدساً، ثم يعطيه للرجل الآخر حليق الرأس، يبدو أنه عبد، ليقوم عبره بإحياء النباتات المزروعة أمام المعبد، وتقديم القربان الذي يحمله الرجل "العجل" للإله والمعبد.

ومن عصر سلالة أور الثالثة، نجد مسلة أورنمو، إذ فيها يتكرر ظهور الملك أورنمو مرتين على اليمين واليسار، وهو يقف أمام الإلهة إنانا مرة، والإلهة ننكال مرة أخرى، حاملاً في يده كأس ماء يسيل منه على سندان مزروعات، بينه وبين الإله الواقف أمامه، ويعكس ذلك المجد الذي قدمه الملك لشعبه عبر شق القنوات وتوفير المياه للمزروعات[3]، فضلاً عن ذلك يظهر المشهد تقديس الملك لأثنين من الآلهة، وبأن المزروعات التي أحياها الماء ما هي إلّا صلة الوصل بين الملك والإله، وبسبب توفيرها للشعب يدوم حكم الملك ويزدهر.

كما عثر على قطعة تعود إلى عصر ملوك أور، منحوتة بشكل ديني لتظهر مؤسس الأسرة يسكب الماء المقدس أمام سين "إله القمر"، في أور، ويبدو أنه يتسلم منه الأمر المقدس ببناء زقورة أور[4]، وربما، عرفاناً من الملك اتجاه الإله الذي يملك تأثيراً كبيراً على الماء وحركته، ولا سيما فيضانه، إذ يعد الماء بمثابة قربان، يقدّم للآلهة.

---

[1] أور: مدينة شهيرة تقع جنوبي بلاد الرافدين السفلى ومقر سلالات عديدة، وكانت مركز عبادة الإله السومرية إناناؤ إلهة القمر، وتقع أطلالها على بعد 15 كم جنوب غرب مدينة الناصرية. بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة، ص363.

[2] الراوي؛ هالة، ألواح جدارية تذكارية في العراق القديم من الألف الثالث ق. م، رسالة ماجستير غير منشورة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، إشراف: أحلام الطالبي، جامعة الموصل، 2012، ص50.

[3] البياتي؛ عبد الحميد، تاريخ الفن العراقي القديم، جامعة بابل، د.ت، بابل، ص63.

[4] دلّو، حضارة مصر والعراق، ص368.

ومن الأختام الأسطوانية العائدة إلى فترة حكم الملك أمار سين الثالث بحدود 2047 – 2039 ق.م، نجد ختماً يصور الملك، وهو يقوم بسكب الماء المقدس على سندان يخرج منه نبات مزهر، وأمامه إلهة تمسك بيدها اليمنى حلقة وصولجاناً، إذ يبدو أنه مشهد تنصيب الملك أمار سين الثالث، كما يقف إلهان أصغر حجماً بيد كل منهما طاسة، في إشارة إلى مشاركتهما الطقس[1] (الشكل رقم4).

يجمع الختم ثلاثة عناصر بالغة الأهمية، ففيه أحد الآلهة العظام، وإلهان من الآلهة الصغار، على حن أن الملك يسكب الماء المقدس أمام الإلهة، ويبدو أن الأمر مرتبط ارتباط مباشر بأعمال الملك أمار سين الثالث ونجاحاته التي أثمرت بالخير على البلاد، فالماء يمثل العمل المعروض أمام الإلهة، ووجود النباتات دليل على أنه عمل مثمر، أما الإلهان الصغيران، فربما هما من منحا الملك الماء بعد مباركته، أي هما صلة الوصل، من خلال الماء المقدس، بين الملك والإلهة.

ومن القطع الفنية العائدة إلى العصر الأكادي، قطعة حجرية من الكلس دائرية قطرها 6 سم، وجدت في مدينة أور تحمل على الوجه الأول كتابة مسمارية، أما الوجه الآخر فيعكس مشهداً دينيّاً يضم أربعة كاهنات، تتقدمهن ابنة الملك الأكادي شروكين "انخيدوانا" باعتبارها كاهنة عليا، إذ تقوم بسكب الماء أمام إناء نذري[2] ضمن المعبد[3] (الشكل رقم5).

يمثل المشهد المنصب الديني المرموق الذي حظيت به ابنة الملك ككاهنة عليا، إذ يبدو أن معظم أولاد وبنات الملوك قد حصلوا على مناصب دينية وذلك بسبب طبيعة الحكم الملكي المستمد من سلطة الآلهة بشكل مباشر، أما سكبها الماء أمام إناء نذري، فربما يعود إلى أحد الطقوس المتعددة التي كان يقوم بها سكان بلاد الرافدين لغايات محددة، حيث سنتحدث عنها في الفصل الثالث.

---

[1] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص265 – 266.

[2] الإناء النذري: آنية نذرية: ترجع تسمية بعض الأواني بالنذرية لاحتوائها على بقايا نباتية ولذلك يبدو مرجحاً أنها كانت تحتوي على قربان طعام قبل دفن فوهتها في الأرض، إذ كان يُعثر عليها مقلوبة، قاعدتها إلى أعلى وفوهتها مدفونة في التربة. علي؛ محمد، تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق. م، 1977، ص116.

[3] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص264.

أيضاً وجد نموذج أثري يعود تقريباً إلى القرنين 22 و 21 ق. م مصنوع من الحجر الكلسي وبنحت بارز، لامرأة واقفة وعلى رأسها تاج الألوهية المقرّن، وتحمل بكلتا يديها إناءً ضمته لصدرها، يتدفق منه الماء يميناً ويساراً، لينساب نحو الأسفل[1] (الشكل رقم6).

ويتكرر المشهد على نحوٍ آخر في مدينة أور، في معبد إله القمر إنانا، على لوح نذري ارتفاعه 22 سم، يظهر المشهد الملك أورنامو يسكب الماء من إبريق يمسك قاعدته، أمام أحد الآلهة الجالسين، ربما إله القمر، ويقفن خلفه ثلاث كاهنات لإجراء الطقس، وهن بحجم أصغر من الملك أورنامو، ويرمز الماء في هذا المشهد إلى الخصوبة والحياة، وفي الجزء السفلي من المشهد يظهر طقس سكب الماء المقدس خلال احتفالية "الزواج المقدس"، يظهر به الكاهن المسؤول عن إجراء الطقس، يمسك بيديه إبريقاً ليسكب الماء أمام مدخل المعبد، ويقف خلفه الملك أورنامو[2] (الشكل رقم7).

يبدو أن المشهد هو تصور للعلاقة بين الكهنة، وتدرج المناصب الدينية، وما الاهتمام بإلهة القمر إلّا لعلاقة فلكية بين مد وجزر المياه وفلك القمر وأطواره، وربما تلك اللوحة المتمثلة بلوح نذري تنبئنا بتلك العلوم المتقدمة في ذلك الوقت، أما الجزء السفلي من اللوحة فيظهر أهمية النظافة وتطهير مدخل المعبد، عبر رشه بالماء المقدس.

ومن خلال لوحات النحت في أور، تظهر معبودة مجنحة من بين الحسب، لتصب الماء من قدر تحمله [3]، وهي إحدى اللوحات المتميزة، فقليلاً ما اكتشف مثلها، أو شبيهاً لها، وتشير إشارة مباشرة إلى آلهة المطر، التي تعطي الأرض ماء صافية من إناء مقدس، وهنا نلاحظ أن الماء لا يفور من الإناء أو ينبع من الإلهة، وفي ذلك إشارة إلى أنه محدود وغير مستمر.

---

(1) الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص251.

(2) مورتكات؛ أنطوان، الفن في العراق القديم، ترجمة وتعليق: عيسى سلمان وسليم التكريتي، وزارة الإعلام، العراق، سلسلة الكتب الفنية 21، مطبعة الآداب البغدادية، ج1، ص144.

(3) يحيى؛ أسامة، أبحاث في تاريخ الشرق الأدنى القديم، آشوربانيبال، ط1، بغداد، 2014، ص85.

✓ **مدينة ماري:**

أبرز النماذج الأثرية في مدينة ماري يعود إلى تمثال امرأة، ربما هي ربة الينبوع، يعود تاريخه إلى 1800 ق. م، عثر عليه في قصر زمري ليم في ماري، وقد أمسكت بإناء مستدير الشكل يتدفق منه الماء وقد مال إلى الأسفل بعد أن ضمته لصدرها، ويظهر في التمثال من الخلف أنه موصول بقناة ماء تؤدي إلى فتحة صغيرة لتوصل المياه على الإناء في مشهد جميل فينساب الماء على ثوبها الممزوج السابحة فيه الأسماك ولجمالية المشهد الذي يمثله هذا التمثال فقد سماه المختصين والباحثين في تاريخ الفن بـ "إلهة الماء الفوار"[(1)].

إن الاهتمام البالغ بالماء وطرق تصويره جعل الفنان في بلاد الرافدين يجوّف التمثال، ويزوده بالماء لتصبح لوحته الفنية حيّة وجميلة، فالماء يحيي ويحرك كل شيء، أما الاهتمام بالإلهة الأنثى فيبدو أنه نابع من جمالها.

ومن اللوحات الجدارية التي تظهر أهمية الماء وقدسيته، ما وجد في إحدى واجهات الباحة 106، والتي ربما تعود إلى عصر شمشي أدد "1814 – 1783 ق.م" حسب النصوص غير المنشورة[(2)]، حيث يظهر آلهتان تقفان على الجانبين بتقابل، وكل منهما تحمل بيديها وعاء مملوء بالماء المتدفق بشكل أربع تيارات مائية تكوّن لوحة فنية جميلة[(3)]، وربما تشير إلى الأنهار الأربعة التي وردت في العهد القديم، ومنها دجلة والفرات، وما يميّز هذه الجدارية هو نمو النباتات في فوهة الإنائين[(4)].

وفي إحدى النماذج الفنية التي تعود إلى حوالي العام 2000 ق. م يظهر أحد ملوك ماري، وهو يسكب الماء من كأس بيده اليسرى على سندانين وضعا أمامه، يشكلان رمز الجبل، إذ ربما أقيم الطقس بمنطقة جبلية، وقد تشير إلى إله القمر "سين"، كون الهلال يعلو رأسه، كما يوجد خطان من الماء، وفي الخلف تظهر الإلهة

---

(1) Parrot, A, Sumerian art, United Nations Educational, Scientific and cultural, 1st ed, 1970, p22.
أيضاً: البياتي، تاريخ الفن العراقي القديم، ص78 – 79.

(2) Margueron J.C., 2004: Mari - Métropole de l'Euphrate. Editions Picard et ERC, Paris, p.469.

(3) سوسة؛ احمد، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1986، ج2، ص31.

(4) الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص252 – 253.

بتاجها المقرن، ترفع يديها للأعلى كحركة تعبدية، متزامنة مع حركة اليد الممدودة للإله الجالس في الأمام، وكأنها إشارة لبدء المراسم[1] (الشكل رقم8).

من المحتمل أن هذه اللوحة المميزة تشير إلى قصة الطوفان، وتوضح الرغبة الدفينة للملك في أن يصبح خالداً أيضاً، فالآلهة وبعد تقديم الملك للمياه الذي يظهر كقربان، تشكره برفع أيديها، وهي إشارة إلى أن الإنسان عاد إلى طاعتها بعد عصيانه الذي سبب الطوفان، وفي تصور آخر يبدو أن اللوحة تشير إلى منابع دجلة والفرات.

وفي إحدى الجداريات يظهر الملك زمري ليم (1782– 1759 ق. م)، داخل مستطيل يقف أمام عشتار التي تقدم له شارات السلطة بوصفها إلهة، ويظهر في المستطيل الثاني مشهد يصور إلهتين تحمل كل منهما إناء فوّاراً تتدفق منه المياه، مع بروز لنبتة طويلة، ويحيط بالمشهد شكل شجرة، تتكون من ساق طويل، وفي أعلاها تتدلى من جذوعها الثمار، وإلى جانبها تظهر شجرة نخيل، يتسلقها شخصان يبدو أنهما بصدد جني ثمارها المتدلية منها على كلا الجانبين [2].

في هذا المشهد المنقسم إلى قسمين مترابطين بشكل كبير، الأول تجديد الولاء للآلهة، وتجسيد سلطة الملك المستمدة من عشتار، أما الثاني فيمثل أن البلد تنعم بالخيرات بمباركة الآلهة وتوفيرها للماء المقدس، وتوفر المحاصيل ولا سيما التمر، الذي يبدو أنه كان له مكانة خاصة في ثقافة وغذاء سكان المدينة.

- ✓ **مدينة بابل:**

عثر المنقبون في بابل على أشكال ذات نحت بارز عبرت عن تدفق المياه، تعود إلى العصر البابلي الوسيط "الكشي" 1595 – 1162 ق. م"، وفيها يظهر الإناء الفوار محمولاً من قبل الإله أنكي، حيث تسيل منه

---

[1] Margueron J.C., 2004: Mari - Métropole de l'Euphrate. Editions Picard et ERC, Paris, p.407-408.
أيضاً: الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص266

[2] صالح؛ ياسمين، المشاهد النباتية في الفن العراقي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: حسين حمود، جامعة الموصل، 2006، ص69.

المياه كما في كل المنحوتات المتشابهة، ويميز هذه اللوحة عن غيرها بأنه يظهر في الأسفل إناءان آخران وضعا على الأرض، وفي محاذاتهما صورت أشكال خرافية، ربما من العفاريت[1] (الشكل رقم9).

تتميّز اللوحة بأنها تحاكي قدسية الماء اتجاه العلاج من الأمراض عن طريق السحر، وعلاقة الإله أنكي بذلك، وهذه النقطة هي أحد محاور البحث في الفصل الرابع.

أيضاً من عصر الملك البابلي نبونائيد (556 – 539)، عثر على بعض الأختام، يمثل أحدهما مشهد يصور القرص المجنح الآشوري، رمز الإله آشور المعبر عن مياه الأمطار، وقد حمله على رأسه، وأسنده أحد الآلهة من الجانبين بيديه، وهو في وضع القرفصاء، وإلى جانبه أربعة أوعية مستديرة، اثنان يبدوان معلقين في الهواء بشكل معكوس، تتدفق منهما مياه الأمطار لتصب في وعائين وضعا على الأرض[2] (الشكل رقم 10).

بإمكاننا تفسير اللوحة بأهمية الحفاظ على مياه الأمطار وبأنها محدودة، تتموضع في وعائين، وتنسكب في وعائين، وسط اهتمام بالغ من الآلهة نفسها، وكل ذلك يجعل من مياه الأمطار شيئاً مقدساً، لا يجوز التفريط به، وربما يريد الفنان الرافدي إيصال فكرة حفظ الماء النازل من السماء بأواني خاصة كونه نقيّ وطاهر ترعاه الآلهة، ثم يستخدم في الشرب مثلاً.

✓ **مدينة آشور:**

عثر في مدينة آشور ضمن بئر في ساحة أحد المعابد على قطع حجرية لمنحوتة تمثل مشهداً طقسياً، يصور الإله آشور كالجبل لابساً ثيابه التي تأخذ شكل حراشف السمكة، ويقف على جانبيه آلهتان بحجم صغير تحملان إناء صغيراً تفور منه المياه نحو الجانبين وإلى الأسفل[3] (الشكل رقم11).

يمثل المشهد منابع الماء بأنها من إلهين مختلفين من الآلهة الصغار، والأساس هو الإله آشور إله الجبل، وما تميزه بلباس حراشف السمك إلا إظهاراً لأهمية السمك كغذاء للسكان، كونه توفر بوفرة في بلاد ما بين النهرين (الشكل رقم12).

---

[1] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص253 – 254.

[2] المرجع نفسه، ص257.

[3] مورتكات، الفن في العراق القديم، ج2، ص329.

أيضاً عثر على قطع عاجية تعود إلى القرن الرابع أو الثالث عشر ق. م، وبعد إعادة ترتيبها شكلت مشهداً فيه أربع زهريات تتدفق منها المياه، رمزت بخطوط عريضة ومتموجة، اثنتان وضعتا في الأسفل وأخريان في الأعلى بهيئة معكوسة، أي الفوهات للأسفل، وترتبط جميعها بإله الجبل، إذ يصور المشهد تحكم الإله بمنابع المياه والسيطرة عليها[1] (الشكل رقم 13) ، وهو مشهد شبيه بالمشهد الذي سبقت دراسته، والذي عثر عليه في بابل حول ضرورة الحفاظ على الماء، ولكن هنا في إشارة لمياه الأنهار النابعة من الجبل.

وفي معبد الإله آشور عثر على عدد من الكسرات لحوض تعبدي مستطيل الشكل يعود تاريخه لفترة حكم الملك سين آخي أريبا (704 – 681 ق. م)، وفيه تمثيل لأحد الآلهة وهو يمسك بكلتا يديه إناء تفور منه المياه في أربعة جداول، وفي نفس المشهد هنالك رجلان يرتديان زي السمكة، يحمل كل منهما سطلاً، فيما يبدو أنه مشهد التطهير[2] (الشكل رقم 14).

يمثل المشهد نهري الفرات ودجلة وروافدهما الرئيسة، فيما الحكمة التي يرمز لها بالسمكة توزع الماء عبر حملها للسطل، وفي ذلك إشارة للعدل في توزيع الماء، كونه حاجة لا بد منها.

كما وجد ختم أسطواني يعود تاريخه إلى عصر الملك الآشوري توكلتي ننورتا الثاني (890 – 884 ق.م)، حيث يظهر في الختم صورة رمزية لمياه الأمطار منبعثة من جناحي قرص معلق في السماء، على شكل مجريين يصبان في إنائين على الأرض شكلهما مستدير، كما تضمن المشهد صورة شجرة وسط مشهد الختم، ومن خلال شكلها ووصفها فهي شجرة مقدسة، وعلى جانبي المشهد يقف شخصان أحدهما بهيئة سمكة، ويحمل إناء ماء، وربما يظهر هذا المشهد طريقة أداء طقس تطهيري[3] (الشكل رقم 15).

أيضاً يظهر في مشاهد متنوعة عملية سكب الملوك الآشوريون الماء على الحيوانات بعد اصطيادها ولا سيما الأسود[4] (الشكل رقم16) ، حيث اعتمد الملوك على تصوير هكذا أمر إظهاراً لعظمتهم وجبروتهم أمام

---

[1] مورتكات، الفن في العراق القديم، ج1، ص 338 – 339. الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص255.

[2] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص255.

[3] سوسة، أحمد، تاريخ حضارة وادي الرافدين، ج2، ص 48.

[4] مورتكات، الفن في العراق القديم، ج1، ص 383

محكوميهم، أما عملية سكب الماء على الحيوانات بعد قتلها أو ذبحها، فهي إحدى طقوس التطهير، التي سندرسها في الفصل الثالث.

✓ **مدينة أكاد:**

وفي إحدى المشاهد المنحوتة على أحد الأختام الأسطوانية العائدة لمدينة أكاد، وقد وجد في إحدى المناطق خلال التنقيبات الأثريّة، وفيه ثلاث نسوة يحملن قرابين لإحدى الآلهات، بينما تجلس الإلهة وترفع يدها وكأنها تحيي الضيوف، وإحدى النسوة القريبة منها تسكب الماء المقدس على دكة المذبح التي بينها وبين الآلهة الجالسة أمامها[1] (الشكل رقم17). إذ يبدو أن المشهد هو تقديم للقرابين المختلفة للآلهة، وقبل وضعها على المذبح يُطهر عبر سكب الماء عليه.

✓ **مدينة نيبور "نفر":**

وجد لوح في مدينة نفر "نيبور"، خلال عصر فجر السلالات الثالث (2600 – 2371 ق. م)، يمثل مشهد "طقساً تطهيرياً" يقوم به كاهنان عاريان، بحضور الآلهة الجالسة على العرش بتقابل، تتوسطهم كتابات مسمارية، كل كاهن يحمل بإحدى يديه آنية سكب الماء المقدس، أما اليد الأخرى فتتجه نحو يد الإله لتمسك بها، ويبدو أنه مشهد لغسل يد الآلهة بعد الطعام[2] (الشكل رقم18).

وفي تحليل المشهد فإنه ينطوي على جانبين، الأول قد يكون مشهداً تطهيرياً كما ذكر أعلاه، أما الاحتمال الآخر فإن الكاهنين قد أتيا بالماء ليباركه الإله ويصبح مقدساً، حيث أن عملية مباركة المياه لها أهمية خاصة في الشعائر الدينية كما سنلاحظ في الفصل الثالث.

✓ **مدينة لكش:**

وجد لوح من مدينة لكش يعود إلى عصر فجر السلالات الثالث (2600 – 2371 ق. م)، يشغله مشهد واحد، وفيه متعبد حليق الرأس وعاري الملابس يسكب الماء المقدس أمام الآلهة بواسطة إبريق، وينزل الماء في

---

[1] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص264.

[2] الراوي، ألواح جدارية تذكارية في العراق القديم، ص51.

مزهرية، أمام الإلهة ننخورساك، إلهة الجبل والرضاعة والحليب، حيث الإلهة تجلس على كرسيها مرتدية تاجها المقرن[1] (الشكل رقم19).

فيما مثلَ أحد تماثيل الملك كلوديا (2144 – 2124 ق. م)، أنه يحمل الإناء الفوار بكلتا يديه، وينساب منه الماء، وقد زخرفت قاعدة التمثال من كل الجهات، تفيض المياه من الإناء بجهات أربع على الأرض وعلى سطح السيول تسبح الأسماك التي تقاوم تيار الماء المنساب من الأعلى[2].

نجد أن هذا المشهد متميز عن كل المشاهد التي وجدت، وفيه يأخذ الملك دور الإله، والمصدر لمياه الأنهار، ولا نعلم إن كان هذا دليل عدم إيمان بالآلهة! أم هو تفويض أخذه الملك كلوديا ليحل مكان الإله!

- ✓ **مدينة تلو:**

عثر المنقبون في مدينة تلو، على منحوتة حجرية تمثل جزءاً من حوض ماء للملك كلوديا (2144 – 2124 ق. م)، يبلغ ارتفاعها 70 سم، وفيها نجد أربع زهريات ينساب منها الماء إلى الأسفل على شكل خطوط متموجة، ترمز إلى النهرين، وتمسك آلهة مجنحة صغيرة باثنتين منهما، صغيرتي الحجم، وكأنها تنزل من السماء، أما الأخريتان، فتم تصويرهم بالحجم الطبيعي مع زوج من الآلهة، ويبدو المشهد بأن أحد الآلهة يمسك بإحدى الزهريتان ويقدمها لإله آخر، حيث يمد يده اليمنى ليتسلمها، وربما ليسكبها في حوض الماء الذي نفذ فيه المشهد، أما الزهرية الثانية فقد كانت بقبضة اليد اليسرى للإله الأول وكأنه تسلمها للتو من السماء، وفي قراءة المشهد يظهر أنه يصور آلهة السماء وهي تجهّز المياه المقدسة لترسلها إلى الأرض لتستخدم بالطقوس الدينية.

كذلك عثر على لوح نذري يعود إلى سلالة أور الأولى، وهو مصنوع من حجر الكلس الأبيض، مثقوب من وسطه لكي يعلق على أحد جدران المعبد، يبلغ ارتفاعه 17 سم، ويظهر فيه من خلال النحت البارز مشهد رجلٍ عارٍ يحمل بيديه إبريقاً من قاعدته ليخرج الماء من الفوهة وصبها في إناء فيه نبات موضوع أمام إلهة الجبل والزراعة[3]، فيما يبدو أنه تجسيدٌ لدور الجبل في انبثاق المياه، ودور إله الزراعة في حياة السكان.

---

[1] الراوي، ألواح جدارية تذكارية في العراق القديم، ص49.

[2] العساف؛ إسراء، فن النحت في العصر السومري الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: أحلام الطالبي، جامعة الموصل، 2005، ص34.

[3] مورتكات، الفن في العراق القديم، ج1، ص 144

✓ **مدينة دور شروكين "خورسباد":**

يظهر في أحد المشاهد التي عثر عليها في موقع المدينة، جنِّي مجنح يمسك ثمرة الصنوبر بإحدى يديه، ودلو ماء باليد الأخرى ليطهر مجموعة من الثيران[1].

قد يبدو المشهد مألوفاً للوهلة الأولى، ولكننا نجد أنه ينتمي إلى ثقافة مغايرة للمشاهد السابقة الخاصة بالتطهير، فالإنسان ليس هو من يقوم بالعمل، بل الجني، ويبدو أن الجني في المشهد ينفذ الطقس التطهيري وفقاً للمعتقدات الدينية الرافدية.

رابعاً: العالم السفلي – أسطورة عشتار وعلاقتها بالماء المقدس:

أخذ العالم السفلي دوراً لافتاً في الثقافة الدينية لسكان بلاد ما بين النهرين، فيما يتعلق بالحياة بعد الموت، فذلك محور اهتمام بالغ لدى جميع الشعوب ومختلف الديانات، وكون كل شيء متعلق بالآلهة، التي تستطيع إخبارنا بقصصها، بينما يبقى البشر على وقع التوقعات والتخمينات، والسؤال الفلسفي العميق، ماذا سيحل بنا بعد الوفاة.

أجابت الديانة الرافدية على ذلك السؤال، بأن من يموت ينزل إلى لأسفل، حيث هنالك مملكة من الأموات، لا تتوفر فيها أدنى شروط الحياة، العمل الصالح للمتوفى وعائلته التي يجب عليها تقديم القرابين هو ما يحسن من الحالة المزرية له، وقد تمت دراسة هذا الجانب في الفصل الثالث.

وما يهمنا هنا الإضاءة على النصوص الدينية التي فيها ذكر للماء أو تصوير له، ففي أسطورة جلجامش[2] نجد أن القواعد المطبقة في حال قتل شخص خلال الحرب، ولديه طفل فإن والده في العالم السفلي يشترك في

---

[1] الأسود، القوى الروحية، ص44.

[2] كلكامش/ جلجامش: اسم سومري "ذو معنى غير أكيد" لملك الوركاء، في الربع الثاني من الألف الثالث، وسرعان ما أصبح بطل عدد من الأساطير السومرية، وبعد ذلك رفع إلى مصاف الآلهة، وهو في الأساس صياد كبير ومروض للحيوانات المفترسة. بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة، ص370. أيضاً: فيرُوللو؛ شارل، أساطير بابل وكنعان، ترجمة: ماجد خير بك، مراجعة: هاني الخير، 1990، ص38.

تأمين راحته، وإذا قتل وخلفه ولدان، فيُقدم له بيت وخبز، أما من قتل ولديه ثلاثة أولاد فيسمح له بشرب الماء من القرب، ومن له أربعة أولاد يقدم له ما ينعش قلبه، ويقطن بالقصر القتيل الذي لديه خمسة أولاد [1].

يظهر، وفق التصور الديني، أهمية شرب الماء المحفوظ بالقُرب لدى النزول إلى العالم السفلي، فهو أحد المزايا التي ينعم بها قتيل الحرب الذي لديه عائلة تتكون من أكثر من ولدين، وفي ذلك تشجيع للرجال على القتال ضمن الجيوش، ولصالح الدولة، كما نلاحظ تلاقي هذه الفكرة مع مصطلح "الشهادة" ومميزاتها في الديانات السماوية وفي ثقافة مختلف الديانات الأخرى.

أما بالنسبة لأسطورة عشتار وعلاقتها بالماء المقدس، فنقرأ في أسطورة نزول عشتار للعالم السفلي، بأنها اختارت طوعاً الذهاب في رحلة إلى العالم السفلي، ودون الدخول في تفاصيل الأسباب التي دعتها إلى ذلك، فإنها قد قُتلت على يدي حراس الأبواب السبعة، فالقصة تروي كيف حدث ذلك، بأن عشتار وافقت على أن تخلع عند كل باب من أبواب العالم السفلي جزءاً مما تلبس، حتى تجرّدت من كل شيء وأصبحت ميتة، فالموت هو التجرد من متعلقات الحياة من ملابس وحلي، ولأن الحب قد توقف على الأرض، قرر الإله أنكي أن يعيد إليها الحياة، فخلق مخلوقين أسطوريين، ليقدم لها الأول طعام الحياة، والثاني ماء الحياة، بعد أن ينزلا إليها في العالم السفلي، فأمرهما بأن ينثرا الطعام، ويرشا الماء على جسدها الميت ستين مرة[2]، وكان المخلوقان بزي امرأة يشتركان بالتعهد الطقسي، وأخذا وعداً من الإلة أريشكيجال بأن لا يرفض لهما طلباً، وكان طلبهم الوحيد هو الحصول على قربة ماء الحياة الموجودة لديه في العالم السفلي، وتشير الأسطورة إلى أن إلهة العالم السفلي أبدت انزعاجاً كبيراً عندما طلب منها "بعد أن أعطت الوعد بتلبية الطلب" قربة ماء الحياة[3].

بعد ذلك يقوم أحد المخلوقين بإرغام عشتار على الشرب من القربة المقدسة، التي تحوي على ماء الحياة، وعندما علمت أريشكيجال بأنها خُدعت عاقبت المخلوق الذي قدم الماء لعشتار وأخضعته لحياة قصيرة وكريهة، حيث نقرأ في النص:

"خلق أيا وهو في حكمة قلبه، مفهوماً جديداً

---

[1] الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ص95 – 96.

[2] عبد الحق، الماء في الفكر الرافدي القديم، ص 208–209

[3] Langnon, S, The mythology of all races, Boston, U. S. A., 1931, p333.

لقد خلق اسو شو نمير (الاسينو) وقال له:

إذهب يا اسو شو نمير وامثل أمام باب (البلاد دون رجعة)

ولتنفتح في وجهك الأبواب السبعة

وبعد أن يهدأ قلبك وتعود روحك إلى صحوها

توسل إليها باسم الآلهة الكبار

وارفع رأسك وبعدئذ ألفت النظر نحو القربة

فتقول آي سيدتي أعطني هذه القربة

حتى أشرب ماء

وما إن سمعت آريشكيجال هذه الكلمات

حتى ضربت على فخذها وعضت على أصابعها قائلة:

إنك تطلب مني ما لا يُطلب

حسن فسألعنك يا اسو شو نمير لعنة كبرى

وليكن خبز محراث المدينة طعامك

ولتكن مجارير المدينة من حيث تشرب

وليكن ظل السور حيثما تقف"

وتتابع حديثها لتنادي رسولها نمتار:

"إذهب يا نمتار واطرق باب (ايكالجينا)

وزين العتبات بالمرجان الأبيض

اذهب واستدع (الأنوناكي) واجلسهم على مقاعد من ذهب

وانضح عشتار بماء الحياة وآتني بها"

وبعد ذلك يرش عليها الماء ويقدم لها لتشربه، ثم لا ترضى العودة إلا كما دخلت، ويعاد إليها كل ما أخذ منها عند دخولها من الأبواب السبعة، وما لبثت أن خرجت من الباب السابع حتى أوصت بأن يستحم تموز حبيب صباها بالمياه الطاهرة، وأن يمسح جسده بالزيت الحلو، وبذلك عادت مظاهر الحب على الأرض[1]، ويبدو أن قصتها مع تموز والحب على الأرض، وماء الحياة الذي أعاد الحياة إلى عشتار، قد استنبط من ملاحظة فعل المياه في إعادة الحياة إلى لمزروعات، ولا سيما عندما يحل الجفاف، ثم تعود الحياة إلى الأرض بعد عملية الري[2].

يتبين مما سبق؛ أن الطبيعة الجغرافية فرضت واقعاً معيشياً محدداً على سكان بلاد الرفدين، وهذا الواقع مرتبط بمياه الأنهار ارتباطاً مباشراً، إذ إن معظم أراضي حوض الرافدين قليلة الأمطار عامة، وعملية نجاح الإنتاج الزراعي تتوقف على أمرين؛ الأمر الأول هو القدرة على تنظيم الري والتحكم بالمياه، أما الثاني فيتوقف على عدم جفاف أو فيضان النهر بشكل تتلف معه المزروعات، لذلك انصب جل اهتمام المزارع الرافدي على الحفاظ على المياه، وتنظيمها وشق القنوات، إن الطبيعة سوف تأخذ مجراها، والجفاف والفيضان هو شيء طبيعي، لكن الرافدي لم يكن يملك التصور العلمي الكامل للتبدلات المناخية، بل نسبها إلى الآلهة، وكون الآلهة تتجسد بكل شيء، حسب المعتقد، فإن المياه أخذت قدسيتها من الإله ذاته القاطن بها أو المغذي لها أو المنظم لجريانها.

ارتبط تصور الإنسان في بلاد الرافدين حول نشأة الكون وتنظيمه بأكثر الأشياء التي هو بحاجة إليها، فطالما أن الماء يحيي الزراعة والناس، ويساهم في النقل والصيد والنظافة والبناء وكل مستلزمات الحياة، فهو دون شك "مقدس"، ولأن النهر يجلب الطمي المخصب للأرض فهو إلهٌ، بينما وقف العراقي القديم حائراً أمام اختلاط الماء العذب بالمالح، فأنشأ منها قصة الكون، أي اتحاد الماء مع العناصر الأخرى المولدة للكون، حسب تصوره، فككل شعوب الأرض التي بحثت عن أصل الكون واكتفت بالرؤية الدينية أو الفلسفية، كان لهؤلاء رؤيتهم الخاصة التي استمدوها من أقصى جنوب بلاد الرافدين.

---

[1] لابات؛ رينيه– سنايزر؛ موريس– فيرا؛ موريس– كاكو؛ أندره، سلسلة الأساطير السورية، – ديانات الشرق، ترجمة: مفيد عرنوق، دار علاء الدين، ط2، دمشق، 2006، ص309 – 312.

[2] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص203 – 204.

فصل الفكر الرافدي بين خلق الكون، وخلق الإنسان، وذلك اعترافٌ منه بأن درجة الإنسان هي الثالثة على الأرض، بعد الآلهة الكبار، ثم الآلهة الصغار، وخلص بأن الإنسان خلقته الآلهة من الطين الموجود في الماء العذب، وبذلك أضفى على الطمي الخصب الذي رافق مياه النهر قدسية أخرى، ليصبح التصور منصباً على مياه النهر، مع تمييز لنهر الفرات، الذي تعامل معه بسهولة أكبر، وما تفضيل نهر الفرات على دجلة، إلا بسبب الناتج الاقتصادي لحوض كل منهما.

تصور الرافديون مسؤوليات الآلهة بأنها كبيرة جداً، وبأنها انعكاس لمسؤولياته هو بغية تأمين متطلباته، ولا سيما العمل الدؤوب على تأمين المياه، فعندما يصور كاتب النص السومري أن الآلهة موجودة في الماء، وتستخدم الماء للتنقل، وبفضلها يُستخرج الماء، فضلاً عن عملها في استخراجه عبر حفرها للآبار، فكل ذلك ما هو إلّا تحفيزٌ للناس للاقتداء بها.

جاءت مرتبة الإله أنكي الثالثة ضمن الثالوث المقدس، ولكن النصوص تظهره بأنه أهم من آن وإنليل، إذ يبدو أن آن فقد أهميته على الأرض، وكذلك إنليل، عندما أصبحت الأرض والمياه متحدتين بإله واحد، فالأرض محور نشاط الإنسان، وعندما تقترن بالماء فهي كافية له، ويظهر ذلك أن سلطة إنليل وقبله آن ليست نابعة من خدماتهم للبشرية، كما أنكي، بل استمدا سلطتيهما عن طريق القوة والوراثة.

لم يرتبط رمز الماء بالإله أنكي، فقد ظهر الكثير من اللوحات والأختام والتماثيل المصوّر فيها آلهة أخرى، ولا سيما عشتار آلهة الحب، مما يوحي بأن التناغم بين الآلهة والماء، ما هو إلا إشارة بأنه ليس محتكراً لإله واحد فحسب، أي أن الماء للجميع والجميع بحاجته، فهو الذي يحقق الخير والعطاء.

كان لبروز دور الإلهة حاملة الماء الفوار وكذلك الكاهنات وبنت الملك، معنى إيجابي يضيء على مكانة المرأة في المجتمع القديم، وكما لاحظنا أن بعض المدن كمدينة ماري يبرز دور الإلهة عشتار فيها بشكل لافت، فلكل مدينة إله أو إلهة رئيسة، وما وجود الإلهة الأنثى إلا انعكاس لدورها المحوري في حياة المدينة، وثقافتها، في ظل شيوع النظام الاجتماعي الابوي وظهور سلطة الرجل على المرأة في بلاد الرافدين.

استشف الفنان الرافدي لوحاته الفنية ومنحوتاته الحجرية والطينية من عدة مصادر؛ ولعل أبرزها "الطقوس الدينية المقامة في المعبد" حيث يكون المعبد هو الحيز الجغرافي للوحة، التي تتضمن تقديم الماء للآلهة، سواء قرباناً أو لمباركته، أو غسل يدي الآلهة وتطهير تماثيلهم، أما المصدر الثاني، فهو رغبة الملوك في تخليدهم وتأليههم، وذلك عبر جعل أنفسهم مصدراً للماء، ومن ثمّ مصدراً للحياة، أما المصدر الثالث فيعود إلى الفكر الفلسفي الديني، بأن الآلهة هي التي تمنح المياه، سواء من الجبل أو السماء، اما المصدر الرابع والأخير، فهو رسالة الفنان التي يريد إيصالها إلى الناس وإلى الأجيال اللاحقة، ولعلها من أفضل المصادر الأخلاقية في الثقافة الدينية آنذاك، التي صوّر فيها الفنان أهمية المياه عن طريق قصص فنية موجزة، كتحقيق المياه الحياة للمزروعات، وعدم هدرها عبر سكبها من إناء في آخر، وكذلك وضع إناء ليجمع الماء من إناء آخر، ولا يسقط على الأرض.

الفصل الثالث

طقوس سكب الماء في الحياة الدينية في بلاد الرافدين

أولاً: مراتب الكهنة ومصدر المياه المقدسة

ثانياً: طقوس سكب الماء في الأعياد

ثالثاً: طقوس غسل الموتى وسكب الماء على القبور:

1. طقوس غسل الموتى وتطهيرهم قبل الدفن
2. طقوس سكب الماء على القبور

رابعاً: استخدامات الماء الدينية في نشاطات الحياة المختلفة:

1. سكب الماء على شرف الآلهة
2. سكب الماء مكان البناء قبل الشروع به
3. استخدامات الماء الدينية لدى الجيش
4. القسم بالماء
5. صلاة الاستسقاء
6. الفؤول وسكب الماء ورؤيته بالمنام
7. تقديم الماء البارد للآلهة

خامساً: المياه للطهارة

سادساً: حوض الماء المقدس

سابعاً: الطقوس الخاصة بصناعة الدف المقدس للمعبد

ثامناً: أواني المياه المُستخدمة في الطقوس الدينية:

1. وعاء أغابو
2. وعاء الهبات
3. إناء ماقو
4. إناء موكالاتو "قدح التكهن"
5. الدلو والمرشة
6. إناء شوخراتو

أولاً: مراتب الكهنة ومصدر المياه المقدسة:

وضع الملك نفسه على رأس الكهانة، فهو ممثل الإله أو نائبه، ولكثرة الطقوس الدينية ولعدم قدرته على القيام بها جميعها فقد اختار بديلاً عنه "الكاهن الأعظم" الذي يتربع على عرش المعبد، وبنفس المرتبة "الكاهنة العظمى" وتسمى إنتين، وتمثل زوجة الإله في احتفالية "الزواج الإلهي المقدس"، وتعد مرتبتهما من المناصب الدينية – الاجتماعية العليا، أما بقية كهنة المعبد فهم حاصلون، وأولادهم، على تربية وتعاليم مدرسة بيت مومي "بيت المعرفة" [1].

يعكس هذا التنظيم الترتيب السياسي في البلاد، فتظهر سلطة المعبد تتلو سلطة الملك، فالملك يستمد سلطانه من الآلهة، ثم يوزع المهام على من ينوب عنه، ولا سيما في المعابد التي تعد المكان الأغنى في البلاد.

اعتقد الرافديون أن الماء يطهر المجتمع من الدناسة والقذارة التي لحقت به جراء الآثام والمعاصي التي ارتكبها أبناؤه بحق الآلهة، وكذلك تطهيرهم من الأرواح الشريرة التي غزت المجتمع بسبب تلك الآثام، ولكون الفكر الرافدي يستند في جوهره، أن ماء الأنهار مقدّس ومبارك، فقد حرص السكان على جلب المياه من نهري دجلة والفرات مباشرة أو مصدر تعد مياهه مقدسة بالنسبة إليهم كروافد نهري دجلة والفرات والآبار المباركة من الآلهة، واهتموا في عملية نقل الماء، بأن يبقى بعيداً عن التلوث، والتدنيس، حتى وصل اعتقادهم أن الماء الذي يجلبه مرتكب الآثام لا يعد مقدساً، فمن كان ذا خلق حسن يستطيع أن يسحب الماء من القناة[2]، "**الشباب الذين ليس لديهم علاقات جنسية مع النساء سوف يسحبون الماء**

---

[1] رشيد، حضارة وادي الرافدين، ص97.

[2] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص193.

من القناة"[1]، فضلاً عن ذلك يعتبر الإله حاضراً بتمثاله، كما يوضع إصبع تمثاله في إناء ماء ليصبح مقدساً، ويستخدم في طقوس رش المياه[2].

ثانياً: طقوس سكب الماء في الأعياد:

تتربع أعياد الأكيتو، على رأس سلم الأعياد في بلاد الرافدين، فقد احتفل بها مرتين في العام، حيث استمر الاحتفال بعيد رأس السنة من 11 لـ 12 يوماً، حيث يصادف 1 نيسان من كل عام، بينما احتفل 12 يوم في شهر تشرين الثاني[3]، ويبدو أن سلسلة هذه الأعياد تنقسم لقسمين الثاني مرتبط بالأراضي الزراعية البعلية، التي تعتمد في زراعتها على الأمطار، وتبدأ الزراعة في شهر تشرين الأول والثاني وتستمر حتى بداية العام، أما القسم الأول فيرتبط بالزراعة المروية التي تبدأ قبل موسم الفيضانات في بداية الربيع، وتعتمد على مياه الانهار والأقنية المتفرعة منها، فقد عد أهل بلاد الرافدين أن بداية العام هي بداية للربيع ولموسم الخير والعطاء.

ومن خلال النصوص المسمارية نستطيع تصور أحد اعياد أكيتو الذي يبدأ أول شهر نيسان ويستمر 11 يوماً، ففي الأيام الأربعة الأولى تخصص الاحتفالات لإقامة الصلوات وقراءة التراتيل والأناشيد الدينية بمعبد ايساكيلا وهو معبد الإله مردوخ، في بابل، وايزيدا ونبو وغيرها من المعابد الكبرى في مدن بلاد الرافدين، وما يهمنا من هذا العيد هو استخدامات المياه في شعائره، فقد كان للمياه المقدسة دور بارز فيه، حيث يغتسل الكاهن المسمى الماشماشُ لمدة أربعة أيام في مياه نهر دجلة أو الفرات[4]، ليقرأ في مساء اليوم الرابع قصة الخليقة البابلية كاملة، وهي قصة انتصار مردوخ على تيامة وجيوشها، وفي اليوم الخامس تبدأ طقوس التطهير من المعبد عبر رش الماء فيه من قبل كاهن متخصص، وترتيل نصوص دينية، ثم يحرق البخور، وتتلى التراتيل الدينية والرقى الخاصة، وبعدها يذبح كبش وتمسح جدران المعبد بدمائه، ومن ثم يلقى بالكبش في مياه النهر، ويبقى

---

(1) الأسود، القوى الروحية، ص26.

(2) رشيد، حضارة وادي الرافدين، ص93.

(3) روتن؛ مارغريت، تاريخ بابل، ترجمة: زينة عازار وميشال ابي فاضل، منشورات عويدات، ط2، بيروت – باريس، 1984، ص130.

(4) Orlin, L., Life and Thought in the ancient near east, The University of Michigan Press, the United States of America, 2007, p14.

الكاهن خارج المعبد بعد هذه الطقوس لاعتقادهم أنه أصبح نجساً[1]، بعد ذلك يأتي دور الملك الذي يذهب للاغتسال في مياه النهر الطاهرة، ثم يدخل المعبد بثياب كتانية جميلة[2]، ومن الجدير ذكره أن الملك يدخل المعبد بعد أن يتطهر، ويركع أمام تمثال الإله ليقوم الكاهن بصفعه وفرك أذنه، ليذكره بسلطة الإله عليه[3].

وفي تفاصيل ومواعيد استخدام الماء المقدس في هذا العيد: كان كبير كهنة اكوا، ويدعى أوريجاللو، يستيقظ في 2 نيسان قبل بزوغ الفجر بساعتين ليطهر نفسه بمياه النهر، بعدها يرتدي ثوب كتان ويدخل لقدس أقداس مردوك، ويبدأ بطقوس الاحتفال، وفي اليوم الرابع كان الاحتفال السري يبدأ قبل الفجر بأربع ساعات، ويبدأ تطهير المعبد من خلال رش الماء بعد شروق الشمس بساعتين، وحصراً الماء المأخوذ من بئر الفرات ومن خزان دجلة، وتتابع الطقوس التي يتخللها تراتيل دينية وتقديم أضاحي واستخدام الزيوت والعطور [4].

أيضاً يتخلل عيد رأس السنة طقوس غسل اليدين والفم في المعبد من المياه المقدسة، وذلك بعد الانتهاء من تناول الطعام المقدّم قرباناً للإله، وكلف بهذه المهمة كاهن محدد، يغتسل هو أولاً ويكون طاهراً، ثم يجري الطقس بصورة صحيحة ويغسل أيادي الموجودين، بعد أن يبدأ هذا الطقس بغسل يدي تمثال الإله الموجود في المعبد يليه الملك وحاشيته [5].

ثالثاً: طقوس غسل الموتى وسكب الماء على القبور:

1. طقوس غسل الموتى وتطهيرهم قبل الدفن:

اعتمد الرافديون، وكما هو الحال في يومنا هذا وفي مجتمعنا العربي، على الاهتمام بالمتوفى وتكريمه ومن ثم دفنه، وهذا الموروث الاجتماعي قد حظي بالكثير من التفاصيل التي وصلتنا من خلال النصوص المسمارية والتي نذكر منها ما يتعلق بالماء.

---

[1] أمين؛ سعد، القرابين والنذور في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: حسين حمود، جامعة الموصل، 2005، ص58.

[2] بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص27.

[3] علي، الأعياد والاحتفالات، ص216– 217.

[4] بورت، بلاد ما بين النهرين، ص166 – 167.

[5] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص196.

عند حصول حالة وفاة، يعمل أهل المتوفى على غسل جسده، ومن ثم يطبق فمه، وتمسح الجثة بالزيت والعطور ويُلبّس ملابس نظيفة، وتترك معه مقتنياته الشخصية، بعد ذلك يوضع في التابوت، وفي إحدى النصوص الآشورية المتأخرة نجد طقوس تهيئة الميت للدفن، والمثال من العائلة الملكية، إذ كان يمدد فوق السرير وتأتي زوجة الأبن وتغسل قدميه بالماء ثم تقبلهما، وتُوضع فوق السرير أواني عليها علامة النهر، وربما يقصد بها نهر العالم السفلي، بعدها يكونوا قد هيأوا القصب والزيت، فيرفعونه عن السرير ثلاث مرات، ثم توقد المباخر، وتطفئ بالشراب، ثم يسكبون الزيت والعسل، وتقدم القرابين أمام الآلهة الكبرى، وأخرى أمام جلجامش، وأخيراً تقدّم القرابين للملاح المسؤول عن القارب الذي يحمل الأرواح إلى العالم السفلي، كما تقام الصلوات أمام شمش، وهو قاضي العالم السفلي، كل ذلك وسط عويل نساء القصر [1].

كان مكان الدفن حسب أهمية المتوفى، فعند السومريين كان الدفن يراوح بين الدفن تحت أرضية البيوت، أو في القصور الملكية، أو المدافن الكبرى، أيضاً كان الدفن في الأماكن المقدسة كدلمون التي وجد فيها مئات المقابر للسومريين، كما دفن السومريون ملوكهم في أضرحة مستقلة ولا سيما سلالة أور الثالثة، لتصبح أضرحتهم مزارات دينية [2].

بدأ الدفن تحت أرضيات المساكن ابتداء من عصر فجر السلالات الأول 2800 ق. م في مدينة كيش، واستمر السكن في الغرف التي يدفن فيها، في حين كان هنالك غرف للدفن في بيوت عصر سلالة أور الثالثة، ما عدا منازل الفقراء، واتسمت غرف الدفن بأنها طويلة ضيقة، وغير مسقوفة، وفي العصور اللاحقة توقف بناء تلك الغرف، إن الدافع الرئيس للدفن في أرضية البيوت هو اعتقادهم أن الميت يبقى فرداً من أفراد العائلة، كما يضمن حفظ القبر وعدم تعرضه للأذى، أو إزعاج الروح، كما وجدت الكثير من المقابر الفردية المستخدمة داخل مساحات مخصصة لها في المدن، ومنها ما يعود إلى عصر جمدت نصر وبداية فجر السلالات الأول، وأخرى

---

[1] الأسود، القوى الروحية، ص50 – 51.

[2] الماجدي، متون سومر، ص326.

تعود إلى ما بعد العصر الأكادي وتضم 2500 قبر، كما شاع الدفن ببداية الألف الثالثة ق. م بالقرب من دور العبادة، أما الأطفال فقد كان دفنهم بجرار فخارية، توضع تحت أرضية البيوت أو بالقرب من المعابد[1].

نستنتج مما سبق أن عملية الدفن وتنظيم حفظ القبور، كان لها أولوية في ثقافة السكان، وراوحت عمليات الدفن بين الدفن ضمن الغرف المعيشية، تخصيص أضرحة مستقلة للدفن في أماكن بعيدة عن السكن، وذلك حسب التطور الحضاري للسكان، وحسب ذلك القدرة المادية لديهم.

2. طقوس سكب الماء على القبور:

يسكب الماء على فم الميت قبل دفنه، ثم يرش قبره بالماء، فضلاً عن استخدام الأنبوب الفخاري لإرواء الميت في عالمه السفلي لفترات طويلة بعد الوفاة [2]، ففي معتقدات الرافدين فإن الماء في العالم السفلي عكر وغير نقي، لذلك على أقرباء المتوفين أن يسكبوا الماء لموتاهم بشكل دوري [3].

صورت الأساطير العالم السفلي مملوءاً بالموتى، وبأن الذين يموتون ينزلون إلى الأسفل، إلى عالم الظلام، مصورة إياه بأنه الجحيم الموجود تحت الأرض، حيث أن الموتى بحاجة إلى طعام وشراب بشكل دائم، مثلهم مثل الآلهة والبشر الذين يعيشون في الأرض والسماء، كما تعتمد مرتبة الشخص المتوفى في العالم السفلي، على نشاطه أبان حياته، فيما يحكم الموتى إله الشمس الذي يمر بالعالم السفلي فيزودهم بالضوء الوحيد لديهم، كان يحكمهم أيضاً الإله إنانا "إله القمر" مقرراً مصيرهم، وفي تصور ملحمة جلجامش فإن طعام ومياه هؤلاء الموتى يصلهم من زقاق الماء، وتقع هذه المهمة على عاتق الأبن الأكبر لكل منهم، حيث وجب عليه، وخلال مدد محددة، أن يسكب الماء تكريماً للآلهة[4]، ويقدم لها الطعام والشراب، وكذلك القرابين لتبعد الأذى عنه، كما عليه تقديم الأضاحي[5]، فموتى العالم السفلي يعيشون على أكل التراب، ولا تتحسن حالتهم إلا إذا قدّم أقرباؤهم

---

[1] حسين؛ إيمان، الطقوس الجنائزية في بلاد وادي الرافدين خلال الألف الثالث قبل الميلاد، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج8، ع4، 2009، ص224 – 225.

[2] حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، بغداد، 1986، ص 280.

[3] عبد الحق؛ الماء في الفكر الرافدي القديم، ص 209–210.

[4] بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص21.

[5] يوسف؛ جاسم، العلاقة بين البشر والآلهة في بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية، مجلة مركز دراسات الكوفة، ع49، 2018، ص152.

الأحياء القرابين للآلهة، وسكبوا المياه المقدسة المباركة على قبورهم[1]، كما كان تصور سكان بلاد الرافدين أن عدم تقديمهم القرابين أو انقطاع تقديمها لأرواح موتاهم سيؤدي إلى أحد أمرين، إما أن يبقى الميت يأكل الطين الملوث في العالم السفلي، وذلك يعد عقاباً له[2]، وإمّا أن تخرج الأرواح إلى وجه الأرض غاضبة ومنزعجة فتأكل من فضلات الشوارع وتبث الرعب في النفوس، والأذى للناس[3]، إذ نقرأ في إحدى التعاويذ حول عواقب عدم سكب الماء وتقديم القرابين:

" لقد خرجت الآلهة القابضة على البشر من القبور

وهبت رياح الشر العاصفة هي الأخرى من القبور

تطلب أداء الفروض وتقديم قرابين الخمور لقد خرجت من القبور" [4].

ربما أثار ضجيج العواصف وشدة الرياح في بعض الفترات هواجس ومخاوف الناس، على ما يبدو، فاستغل رجال المعبد ذلك ليجعلوا الناس تقدم القرابين، على أنها للآلهة.

كما حُذِّر من الاغتسال فوق قبر، إذ ذلك سيجعل الماء القذر تنزل للأسفل، مما يجعل روح صاحب القبر تطارد المغتسل عن سوء نية [5]، ولا سيما بظل وجود المدفن داخل الغرف المعيشية عند الفقراء، التي كانت ولا زالت القوانين تطبق عليهم احتراماً للدين.

وبناء على ما ورد ذكره فقد تضمنت الشعائر الجنائزية، اهتماماً بالغاً من قبل سكان بلاد الرافدين، وشملت تقديم الطعام والماء، وإحياء ذكرى المتوفى وقد قسمت هذه الشعائر وفقاً للنصوص المسمارية إلى ثلاثة أقسام:

---

[1] يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص201 – 202.

[2] A group of authors, Magico - Medical means of treating ghost induced illnesses in ancient Mesopotamia, Brill, Styx, Leiden , Boston, 2006, p26.

[3] عبد القادر؛ خليل، القربان مفهومه دلائله في العصر السومري، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، جمعية المؤرخين والآثاريين في العراق، ع6، مطبعة الأمة، بغداد، 1989، ص95 – 96.

[4] الوردي؛ محمود، المدافن في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: حسين حمود، جامعة الموصل، 2006، ص16.

[5] الجواري؛ هيثم، نصوص الفأل البابلية في ضوء المصادر المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، 2005، ص197.

أ. كِسبَ كَسابُ: ويعني تقديم القرابين الجنائزية، وتشمل هذه القرابين الأطعمة المختلفة والنبيذ الأبيض والجعة وشتى أنواع الفاكهة، وتقدم بحضور الناس مع ترك مقعد فارغ لروح المتوفى، أو بوضع الأطعمة أمام تماثيلهم، ولا سيما الملوك [1].

ب. نَق ميي أو المي نقو: وهو طقس إرواء ظمأ الميت عبر سكب المياه على قبره من خلال أنبوب فخاري[2]، ويعني سكب الماء لأرواح الموتى، وبهذه الشعائر، حسب المعتقد، فإنها تضمن وصول الماء إلى روح المتوفى في العالم السفلي، إذ جاء في أحد النصوص "**في العلى عسى أن يطيب اسمه وفي العالم السفلي عسى أن تشرب روحه الماء المسكوب**"، ولضمان وصول الماء للعالم السفلي وُضِع أنبوب فخاري ينزل بشكل عامودي في الأرض، ويطلق عليه اسم اروةُ أو ايروةُ، وجاء ذكره في إحدى ابتهالات الإله شمش "**عساه (الإله شمش) أن لا يدع أنبوبه لسكب الماء يسقط في (العالم) السفلي**"[3].

ج. شُمَ زَكارُ: ويعني ذكر الاسم، وذلك لكي يستمر ذكر المتوفى فيخلد في الذاكرة [4].

من خلال التنقيبات الأثرية، وجد بعض من **الأنابيب الفخارية المخصصة لسكب المياه**، وكمثال على ذلك فقد اكتشفت أنابيب فخارية تحت أرضية إحدى العمارات في مدينة أور القديمة، تعود إلى فترة حكم الملك شلجي (2094–2047 ق.م) وهو الملك الثاني في سلالة أور الثالثة، عثر عليها فوق أضرحة الملوك، منصوبة بشكل عامودي إلى الأسفل[5]، تتشكل هذه الأنابيب من حلقات فخارية يتصل بعضها ببعضٍ، ارتفاع كل واحدة ثلاثة أقدام وقطرها حوالي خمسة أقدام، وطول الأنبوب الكلي من 30 حتى 40 قدماً، أما فتحته العليا فهي في أرضية الغرفة مغطاة بغطاء فخاري مثقب، ووجدت بعض الأنابيب دون غطاء، كما وجدت ثقوب في جانبي الأنبوب، حيث يبدو أنها استخدمت لفترة زمنية طويلة، كما أنها لم تكن مخصصة لتصريف المياه وإنما لشعائر سكب الماء، حيث أنها كثيرة العدد بما يفوق حاجة البناء لعملية تصريف المياه، كما عثر في أسفلها على إناء

---

[1] حنون، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، ص191.

[2] الماجدي، متون سومر، ص330.

[3] حنون، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، ص192.

[4] المرجع نفسه ، ص194.

[5] حسين؛ منتهى، المقابر في العراق القديم، مجلة الأستاذ، ع214، مج1، 2015، ص335 – 336.

فخاري من النوع نفسه المستخدم لتقديم القرابين، ووجد بأسفل إحدى الأعمدة الفخارية ما يقارب 40 إناء، ويسمى هذا النوع من الآنيات الفخارية التي تقدم بالشعائر الجنائزية باللغة الأكادية مَقّيةُ – مَقّو – مُنَقّيةُ[1]، وغالباً ما وجد في المقابر أوعية وأوانٍ للمياه بقياسات مختلفة، منها بجانب الرأس ومنها مقلوب للأسفل[2]

فضلاً عن ذلك فقد وجد في عدد من الأضرحة في المقبرة الملكية في أور، على منافذ شبيهة للسابقة، وهي مخصصة لسكب الماء إلى العالم السفلي، ففي ارتفاع من القبور وجدت دكة كان الماء المسكوب منها ينزل إلى القبر التي خصصت له الدكّة[3]، ومنها الأنابيب التي وجدت في بعض أبنية المقابر الملكية في أور، كضريح الملك أمار – سين (2046 – 2038 ق. م)، كما أن هذا الطقس كان واضحاً في عصر سلالة أور الثالثة، إذ كان يسكب الماء ليلاً، كما لقبر الملك شوسين (2037 – 2029 ق. م)، وهنالك جرة خاصة لهذا الطقس[4]، ومن المكتشفات ناووس الملك آشور ناصر بال الثاني في آشور، حيث لديه غطاء حجري بسماكة 15 سم، فيه فتحة دائرية قطرها 5 سم، والهدف منها حسب خبراء الآثار إيصال الماء إلى لأسفل، وغالباً ما وضع أسفل العامود الفخاري آنية فخارية على شكل قربى[5]، أيضاً عثر في أطلال مدينة أور السومرية على أنابيب فخارية تحت أنقاض أبنية، مدفونة بشكل عامودي ومثقبة على جوانبها لتصريف المياه داخل الأرض[6]، قد يكون لها علاقة بطقوس سكب المياه على أرواح الموتى.

تنبع أهمية الشعائر الجنائزية من التشريعات التي أكدت عليها، ففي خاتمة شريعة حمورابي، يسطر كاتبها بعض الدعوات لكل من يسيء لشريعته، أو يبدل فيها شيئاً "**عسى (الإله إنليل) أن ينطق بفمه المبجل هلاك مدينته، تفسخ ناسه، تبدل ملوكيته، انعدام اسمه وذكره في البلاد، لتغلبه الكلمة الناقمة للإله شمش سريعا، في العلى لينسخه من الحياة، في الدنى في (باطن) الأرض، ليجعل روحه تظمأ للماء...**"، كما تؤكد ذلك نصوص الملك الآشوري آشور – بانيبال عندما يشير لانتقامه من العيلاميين ونبش قبور ملوكهم السابقين

---

(1) حنون، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، ص192 – 193.

(2) A group of authors: Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, the British museum press, 4st ed, 2004, p61.

(3) حنون، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، ص193 – 194.

(4) إبراهيم؛ هالة، الطقوس الدنيوية في بلاد الرافدين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، إشراف باسمة عبد، جامعة بغداد، 2017، ص236 – 237.

(5) عبد الحق، الماء في الفكر الرافدي القديم، ص 209.

(6) حسين، الطقوس الجنائزية في بلاد وادي الرافدين، ص222.

ومنعه إقامة الشعائر الجنائزية لهم "**أقلقت راحة أرواحهم إذ حرمتهم من القرابين الجنائزية وسكب الماء**"[1]، كما على المريض أن يرش الماء في المنزل وعلى قبور عائلته ليتعافى[2].

كان للوريث الدور الرئيس في إقامة هذه الشعائر، حيث كانت أقسى الدعوات التي توجه للشخص المسيء هو الحرمان من الوريث، وجاء في أحد النصوص المسمارية "**عسى أن يحرمه الإله ننورتا من الوريث الذي يسكب له الماء**"[3]، ومما يثير الانتباه أنه في عقود التبني البابلية، اشترطت على الشخص المتبنى أن يتعهد بتأدية شعائر سكب الماء المقدس على قبر المُتبني إذا توفي قبله، بالإضافة لرعايته وحفظ حياته، وأي تهاون بعدم سكب الماء على القبور سيعرض المُكلف بذلك إلى شرور روحية من أشباح الموتى مما يلحق الأذى به إذ نقرأ:

"أنتم يا أرواح عائلتي...

الكثيرين الراقدين في راحة العالم السفلي

قدمت لكم قرابين دفن.

وصببت الماء لكم...

دعوني، أنا خادمكم أعيش، دعوني أنعم

بسبب الشعائر السحرية دعوني أكن نظيفاً باسمكم

سأقدم ماءً بارداً ليشرب طيفكم

هبوا لي حياة لكي ألهج بمدحكم"[4].

في النص رجاء متلبس بالخوف، لأحدهم وهو يناجي أرواح عائلته أن تمنحه الراحة وبأنه ملتزم بسكب الماء المقدس لهم، وكذلك دوام ذكرهم، إذ يبدو أن الكاتب ليس بخير، لكننا لا نعلم من هو ذلك الشخص! فقد

---

(1) حنون، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، ص197 – 198.

(2) A group of authors, Magico, p59.

(3) حنون، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، ص199.

(4) الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص261.

يكون النص صادر عن رجال المعبد، وقد يكون حقيقيّاً ولشخص قلق، ويبدو أن الأثر النفسي للأمر هو المسيطر فيه.

وفي مشاهد الفن ومنها مشهد مسلة العقبان أو النسور، الذي يعود إلى حاكم لكش أياناتم (2470 –؟ ق. م)، إثر انتصاره على جيش أوما، نجد أسفل المشهد طقساً جنائزياً يمثل سكب الملك الماء المقدس على قبور جنوده الذين سقطوا في أرض المعركة وتم دفنهم جماعياً [1] (الشكل رقم20)، كما ظهر من خلال بعض مشاهد الفن سكب الماء على قبور المتوفين [2].

ومن الاعتقادات التي كانت سائدة آنذاك: سكب الماء أمام تماثيل الموتى، ويستمر هذا الطقس شهرياً أو سنوياً حيث نقرأ في أحد النصوص "**يا أرواح عائلتي... طالما أنت مستقرة في العالم السفلي كنت أقدم القرابين الجنائزية وأسكب الماء لك**"[3].

يبدو أن عملية انسداد الأنابيب الفخارية أو خراب القبور نتيجة تراكم الأتربة وعملية مد وجزر الأرض، أو خرابها نتيجة للأمطار القوية أو السيول أو الحروب والكوارث، أدى إلى نشوء طقس سكب الماء أمام تمثال المتوفى، لمن يملك القدرة على صناعة تمثال للمتوفى من عائلته، إذ يبدو أن هذا الأمر اقتصر على الطبقة الاجتماعية الميسورة.

ولاستمرار ذكر الميت، وسكب الماء المقدس له، قامت بعض العائلات بتكليف الكهنة بالقيام بهذه المهمة، عبر تلاوة التعاويذ التي فيها ذكر للمتوفى، وتقديم القرابين لكل آلهة المياه والعالم السفلي بغية التخفيف عن المتوفى، مما أدى إلى انتشار أماكن سميت "بيت سكب"[4].

نستنتج من عملية تكليف الكهنة بهذا الأمر، بأنه بالغ الأهمية، وذو أثر نفسي كبير لدى السكان، ولا شك أن من يكلف الكهنة يدفع لهم بالمقابل، وينطبق ذلك على الطبقة الحاكمة والنبيلة من السكان، وبفتوى من الكهنة أنفسهم، ذلك كون الأمر يحقق لهم منفعة مادية.

---

[1] البياتي، تاريخ الفن العراقي القديم، ص41 –42.

[2] Winter, I., On the art in the ancient Near East, Koninklijke Brill NV, Leiden - The Netherlands, 2010, p180.

[3] إبراهيم، الطقوس الدنيوية في بلاد الرافدين، ص231.

[4] حسين، الطقوس الجنائزية في بلاد وادي الرافدين، ص 219.

رابعاً: استخدامات الماء الدينية في نشاطات الحياة المختلفة:

1. سكب الماء على شرف الآلهة:

كان طقس سكب الماء من أبرز الطقوس الدينية المهمة آنذاك، وكان يجرى خلال السنة وبمواعيد محددة، بدءاً من الشهر الأول من السنة البابلية حيث يصادف 8 نيسان، وفيه تقام الطقوس على شرف الآلهة بصفة عامة، وفي 16 آب على شرف الأنوناكي، وفي 8 و9 تشرين الأول يسكب الملك الماء، أيضاً في الأول من تشرين الثاني، والأول من كانون الأول حيث يتم سكب الماء أمام وخلف قطعان من الماشية، وفي اليوم السادس من الشهر نفسه، كان يقام طقس سكب الماء في الليل على شرف الإلهة اريشكيكال، وفي 20 كانون الثاني يهدى السكب للأنوناكي للمرة الثانية[1]، وفي آخر شهر تموز يحيي الرافديون ذكرى وفاة دموزي، إذ يسكبون الماء النقي، ويقدمون الزيت الجيد، ويحرقون البخور تكريماً له[2].

قام بعملية السكب الكهنة المختصون إضافة إلى الملوك والحكام، وكانت تختلف الطقوس باختلاف المناطق في بلاد الرافدين، وذلك حسب الغاية من الطقس، فقد يكون أمام الآلهة، أو ضمن المعبد، أو على المذبح، أو على الأرض، أو في إناء فيه زرع (الشكل رقم21)، أو على بعض الحيوانات بعد اصطيادها [3].

2. سكب الماء مكان البناء قبل الشروع به:

رغم أهمية المطهرين والمغسلين والمعمدين إلا أن بعض الشعائر الدينية الخاصة بالمعبد لا تتم إلا بوجود الملك، ومنها طقوس تطهير أرض المعبد المُزمع بناؤه، من خلال رشها بالماء المقدس لإزالة أي تدنيس أو نجاسة في الأرض، أما إذا كان المعبد سيبنى على أنقاض معبد آخر، فتكشف أساسات المعبد القديم وتُطهر بالماء من قبل الملك، ثم يبدأ البناء، وبعد اكتمال بناء أي معبد يجب على الملك المشاركة الفعلية في الطقوس، وجميع المشاركين في طقوس التطهير عليهم أولاً ان يتطهروا هم، عبر الاغتسال في مياه النهر[4].

كما تتحدث النصوص عن طقس سكب الماء قبل الشروع في بناء فرن لصناعة الزجاج:

---

[1] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص260.

[2] إبراهيم، الطقوس الدنيوية في بلاد الرافدين، ص227.

[3] الماجدي، متون سومر، ص316. أيضاً: الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص260.

[4] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص194 – 195.

"عندما تضع أسس فرن لصناعة الزجاج عليك أولاً أن تختار الشهر المناسب واليوم البهيج، وبعد أن تنتهي من وضع الأسس عليك أن تبدأ في بناء الفرن... وعليك أيضاً أن تسكب الماء المقدس وتقوم بتقديم الأضاحي.." [1].

نلاحظ في النص السابق أن نصائح بناء الفرن تنحو منحى الأمر، وبأن سكب الماء مترافق مع تقديم الأضاحي، حيث أن الأمر متعلق بما يقدمه الباني، صاحب الفرن، للمعبد من أضاحي.

أيضاً استخدم الرافديون عملية الغسل بالماء لتطهير المدن لتطهيرها من الخطايا التي أحدثها أبناؤها بحق الآلهة، حيث ورد في اسطورة أنكي ونظام الكون كيف طُهِرت مدينة أور:

"أيتها المدينة التي تملك كل ما هو لائق

المطهرة بالماء..

يا أور يا من هي مزار

عسى أن ترتفعي إلى عنان السماء" [2].

فضلاً عن ذلك اهتم الرافديون بتطهير المنطقة التي ستشق فيها قناة ماء، فقد قام الملك الآشوري سنحريب (704 – 681 ق. م)، بإرسل كاهنين ليقوما بطقوس التطهير عند فتح إحدى القنوات، فقد كانت أي إعاقة أو خلل ينسب إلى غضب الآلهة وتدخل العفاريت [3].

3. استخدامات الماء الدينية لدى الجيش:

يظهر كيفية استخدام المياه خلال المسير إلى الحرب وبعد تحقيق الانتصار، من خلال الأساطير وتصرفات الملوك؛ إذ تشير أسطورة جلجامش إلى أنه عند مسير جلجامش وأنكيدو لقتل خمبابا، إذ خافا فأخذا يدعوان للإله أوتو "شمش" الذي نصحهما **"أحفر خنقاً عندما تتوقف للمبيت ليلاً وتأكد دائماً أن قربك مليئة بالماء، يجب أن تسكب مياهاً باردة تكريماً لشمش، ويجب أن تتذكر لوكال بندا"** وأيضاً نقرأ **"وهناك حفرا بئراً**

---

[1] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص262.

[2] كريمر؛ صموئيل نوح، السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة: فيصل الوائلي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973، ص 243.

[3] العلوش، إيمان هاني، تجهيز المياه وتصريفها في بلاد آشور في ضوء المصادر المسمارية، مجلة آثار الرافدين، مج 1، ع 1، 2012، ص148.

أمام شمش، وملئنا القرب بالماء، وصعد جلجامش إلى قمة الجبل، وقدم قربان الطحين.."[1]، وكذلك أوصى جلجامش بعد قتله لخمبابا شيوخ مدينته "**فز بنصرك ببساطة.. أغسل قدميك في نهر خمبابا، كما تبغي**"، كما غسل هو وأنكيدو أيديهما بنهر الفرات بعد قتل الثور السماوي[2].

أما الملك سنحريب (704 – 681 ق. م) فقد قدّم خلال إحدى حملاته قرابين وتضحيات للإله أنكي "**إلى أيا ملك العمق، قدمت التضحيات النقية، وألقيت في البحر سفينة من الذهب وسمكة كبيرة وسرطان ذهبي**"[3].

نلاحظ أن النص السابق يوجد به مبالغة من قبل كاتبها، حيث أن الملوك هم أخبر الناس بالنظام الإلهي الذي، حسب الاعتقاد، يستمدون منه قوتهم، ولا شك أن مثل هذه النصوص موجهة للفئات السكانية لكي تُظهر الملك بأنه مؤمن، ويقدّم الكثير للآلهة لأجل بقاء الدولة بخير.

فضلاً عن ذلك، قام بعض الملوك بغسل أسلحتهم بالبحار التي وصلوها بعد نصرهم كالملك سرجون الأكدي (2334 – 2279 ق. م) عندما وصل بجيشه ساحل الخليج العربي، أمر في طقس تطهيري بغسل جميع الأسلحة في مياه الخليج [4]، وكذلك الملك آشور ناصربال الثاني (883 – 859 ق. م) الذي غسل أسلحته بالبحر المتوسط "... **وفي هذا الوقت سرت على جانب جبل لبنان وإلى البحر العظيم في بلاد امورو، وفي البحر العظيم غسلت أسلحتي وقدمت القرابين والدعوات للآلهة...**"[5]، كما سمي البحر المتوسط بأسماء أخرى من قبل الرافدين، منها البحر العميق [6].

كان لاستخدام الماء في تحركات الجيش دور مهم في استمرار مسيره، وسيطرته على الماء دليل على نجاحه، وعلى عكسه، اعتبر الخمر معوقاً واستخدم شراباً سُكب على رؤوس الأعداء وأشلائهم، بعد تحقيق

---

(1) إبراهيم، الطقوس الدنيوية في بلاد الرافدين، ص88.

(2) المرجع نفسه، ص91.

(3) Lukenbill, D.D., The Annals of Sennacherib, OIP, Vol. II, Chicago ,1924, p74-75.

(4) الأسود، القوى الروحية، ص 29.

(5) الهلالي؛ إبراهيم، علاقة بلاد الرافدين بالساحل الفينيقي من العصر الآشوري الحديث حتى نهاية العصر الكلداني (911 – 539 ق. م)، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف، أحمد صابون، جامعة إم القرى، 2013، ص69.

(6) شاقا؛ سهيل، لبنان في ذاكرة العراق القديم، دار أبعاد، بيروت، 2008، ص78.

الانتصار[1]، وفي ذلك دلالات واضحة ونصائح لقادة الجيش بالحفاظ على الماء وترشيد استهلاكه أثناء مسير الجيش.

4. القسم بالماء:

يلعب الماء المقدس دوراً بارزاً في حلف يمين المعاهدات الموقعة بين الدول، وكانت تُختار أيام محددة يعتقد أنها خيرة لإجراء القسم، ولا يتم القسم دون وجود الماء والزيت، حيث كانت يمسح مؤدو القسم بالماء والزيت الأعناق وعلى الصدر، أو يلمسونه بحضور تمثال الإله[2]، فقد جاء في أحد النصوص التي تلت عملية التتويج في أسطورة الخليقة البابلية: "**أقسموا بالماء والزيت ولمسوا أعناقهم، أولوه أن يمارس الملكية**" وأيضاً "**وأقسموا يميناً على أنفسهم، وأقسموا على الماء والزيت، ولمسوا صدورهم، وبهذا خولوه وجوب ممارسة ملكية الآلهة وأكدوا له السيادة...**"[3]، كما ورد في نص معاهدة الملك الآشوري اسرحدون مع رمقايا حاكم مدينة أركزبانو الميدية "**كما وضعت الآلهة، بحيث أن تقيموا معاهدة؛ تقديم مائدة الطعام بشربكم من الكأس، وبإيقاد النار، وبالماء والزيت يلمس الصدر، لا تربطوا بعضكم بالقسم، لكن يجب أن تذهبوا وتخبروا آشوربانيبال ولي عهد ابن اسرحدون ملك آشور**"[4]، كما استخدم القسم في شتى أنواع الاتفاقيات والنزاعات مهما صغرت أو كبرت، وفي حال رفض المتنازعين أداء اليمين أو أنهم ليسوا أهلاً للثقة! فهنالك موظفون يسمون "موشا زكيروم" ومعناها "موظفي أداء اليمين" حيث ورد في أحد النصوص "**جعلوهم يقسمون يمين الآلهة وخرجوا سالمين**"، فضلاً عن ذلك يعد القسم من وسائل أدلة الإثبات أو النفي لجرم ما، وكان يجري في المعبد حيث عوامل الخوف من الآلهة والعجز أمامها [5].

ومما ورد في قصة الخليقة البابلية فإن الآلهة احتفلت بعد نهاية الصراع ببناء مدينة بابل، وبعدها أقسمت على الاحتفاظ بالحياة عندما خرّت ساجدة أمامَ الإله مردوخ وربطوا أنفسهم بالقسم بواسطة لمس حناجرهم بالماء

---

[1] إبراهيم، الطقوس الدنيوية في بلاد الرافدين، ص92.

[2] المرجع نفسه، ص108 – 109.

[3] المرجع نفسه، ص51.

[4] شيت؛ أزهار هاشم، طقوس التزييت عند الآشوريين، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج10، ع 1-2، 2011، ص 95.

[5] الأسود، القوى الروحية، ص 22.

والزيت، وعلى لسان الملك أسرحدون خلال الحرب مع أخيه عام 681 ق. م **"الشعب الآشوري الذي بالماء والزيت والآلهة العظيمة أقسم يمين للولاء والخلاص ليحيي مملكتي"**[1].

ولا نعلم هل فعلاً كان الشعب يقسم بالماء والزيت عند تجديد الولاء للملك أم لا، ولكن ومن خلال السلطة القوية للملوك والمعبد فقد يجبرون أو يقنعون الناس على فعل ذلك، وعليه سجل هذا النص حسب اعتقادنا.

5. مناجاة الآلهة للاستسقاء:

عند شح مياه الأمطار أو انخفاض منسوب النهر، وعدم كفايتها للأراضي التي تعتمد عليها كان السكان يقومون بطقوس الاستسقاء، وتتم عن طريق أربع نساء تتقابل وقوفاً ويحركن أجسامهن وشعرهن طويل يتمايل يميناً ويساراً، وكان يشارك بهذه الصلاة سكان المدن والقرى، وفي طقوسها:

يلبس أحدهم لباس الجن أو العفاريت ويسكب عليه الماء، وتقرأ التعاويذ لطرد تلك الأرواح الشريرة، التي باعتقادهم هي من حبست المطر في السماء، ومنعت نزوله، ومما هو جدير بالذكر أنه بعد تضرع السكان والملك سنحاريب للإله أيا بعد يباس الحقول واحتباس المطر وجفاف الآبار والينابيع، أوحى الأخير للملك بأن يجمع 18 نهراً ويجريها نحو السهول العطشى في نينوى، على أن يصرّف الماء الفائض بسد عظيم، وهو ما تعرف آثاره حتى اليوم بسد جروانه[2].

وفي ذلك مباركة إلهية "رمزية" لعمل الملك، وهي ضرورية لجعل اليد العاملة تعمل بجد ونشاط من أجل بناء هذه القنوات، فضلاً عن السد الضخم، فعندما يقترن العمل بإرادة الآلهة وتوجيه الملك فحتماً سيصل إلى أهدافه.

6. الفؤول وسكب الماء ورؤيته بالمنام:

اعتمد الرافديون في ثقافاتهم على الفؤول وجعلوها تترافق وتصرفاتهم اليومية، كما وجه العرافون جل اهتمامهم للماء ومجاريه، وفسروا كل تلويث للماء مهما كان بسيطاً، وأينما وقع بأنه يشكل خطراً على العباد

---

[1] الأسود، القوى الروحية، ص 23.

[2] فاضل؛ فاتن، مضامين نصوص الصلوات في العصر الآشوري الحديث 911 – 613 ق.م، مجلة سر من رأى، مج8، ع31، السنة الثامنة، تشرين الأول 2012، ص188 – 189.

والبلاد، وعلى العكس من ذلك فكلما كانت المياه في مجراها الطبيعي وانسيابها الرقيق، وتوزعها المعتاد، كان ذلك خيراً كبيراً للبلد [1].

كان لعملية سكب الماء علاقة مباشرة بمعظم العادات والتقاليد المتعلقة بالنظافة بشكل عام، ومن الأمثلة على ذلك؛ إذا كان أحد أبواب الدور مبللاً بالماء باستمرار فسوف يحمي الإله تلك الدار، وتكون الأموال والذرية الصالحة من نصيب صاحب الدار ومن قواعد رش الماء على أبواب الدور، عدم وجود عيب أو كسر بالأبواب، وخلال رش الماء إذا أخذ شكلاً حيوانياً ما فيفسر على أساسه أيضاً، إما خيراً أو شراً [2].

ومن الفؤول أيضاً: إذا دخل خنزير دار أحد وسكب صاحب المنزل الماء، فهو بالتأكيد ليس بخير [3]، وإذا كانت دار سكن أحد ما محاطة بالماء فسيموت سيدها بسرعة، وتنهب داره[4].

وفي إشارة لأهمية نظافة المكان الذي تقام به الصلاة فإن نصوص الفأل أشارت أن الاغتسال في مكان إقامة الصلاة يسبب غضب الآلهة، بينما من يحمل ماء في الشارع فإن الآلهة سوف تكفر ذنوبه [5].

أيضاً استخدم الماء لرش المرأة الحامل التي تلد بصعوبة حيث تمسح مساعدة القابلة الأولى جبهة المرأة بالزيت والثانية ترش عليها الماء[6]، إذ يعتقد بأن ذلك يساعدها على تسهيل ولادتها، يترافق ذلك تلاوة التعاويذ لحمايتها وحماية المولود من الشر[7]، كما كان الاعتقاد بأن تمسح البقرة أثناء ولادتها بماء مقدس سموه ماء الخلاص، ويمسح جبينها بالزيت[8]، يظهر في ذلك أهمية الثروة الحيوانية وضرورة الحفاظ عليها، ولا سيما أن الثور كان يستخدم في حراثة الأرض، بينما البقرة تنتج حاجة الناس من صنف غذائي مهم.

---

[1] إسماعيل؛ خالد– حسين؛ هيثم، فؤول الزراعة والأشجار والنباتات وفؤول القنوات والآبار في العصر البابلي (القديم والوسيط والحديث)، مجلة سر من رأى، مج6، ع21، السنة السادسة، تموز 2010، ص195 – 197.

[2] الجواري، نصوص الفأل البابلية، ص153 – 155.

[3] المرجع نفسه، ص49.

[4] المرجع نفسه، ص148.

[5] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص206.

[6] يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص234.

[7] إبراهيم، الطقوس الدنيوية في بلاد الرافدين، ص215 – 217.

[8] لابات وآخرون، سلسلة الأساطير السورية، ص335– 336.

وفي السياق ذاته، فإن الرجل المقبل على الزواج بفتاة لا يعرفها معرفة حقة، أو لا يعرف إن كان سيتفق معها أم لا، فإنه يكلف كاهن البارو "العراف" بسكب الزيت في وعاء مليء بالماء ليعرف الفأل إن كانت الفتاة مناسبة للرجل الذي يريد خطبتها أم لا[1]، ويبدو أن الأمر بالغ الأهمية وما زال موجود حتى اليوم في أوساط الشعوب المعاصرة، وإن كان بطرق أخرى.

ومن الفؤول التي اعتمد عليها الرافديون أنه عندما ينحر الحيوان يقومون بترقب جميع حركاته قبل وبعد الذبح ويرش عليه الماء، بعد ذلك يخرج كبده ويفحص، كما يتم مراقبة القائم على عملية الذبح، إذا ما أوقع وعاء سكب الماء، أو قلب الماء داخله، او أسقط منضدة المذبح[2]، وكلها إشارات لفؤول معينة، بعد ذلك يوضع رأس الأضحية المقطوع بجانب المبخرة التي يضرم فيها اللهب ويرش عليه من الماء المقدس ويرافق ذلك التراتيل والرقى المخصصة[3]، كل ذلك يبدو للوهلة الأولى شيئاً مقدساً وأسلوباً يتبعه العرافون، أما في الحقيقة فإن الأمر متعلق بشكل كبير بالحالة النفسية للإنسان، وبحثه الدؤوب عن المستقبل وضرورة التنبؤ به.

كذلك فسّر الرافديون الأحلام، وربطوا قدسية الماء الواقعية بتفسير أحلامهم، وعلى سبيل المثال: إن حلم شخص أنه يحمل ماء في الشارع فسوف تغفر الآلهة ذنوبه [4]، وإن رأى أحدهم في حلمه أن أحداً يعطيه ماء فإن عمره سوف يطول[5]، من يرى في منامه أن أحد الأرواح سكبت له ماء على يديه فإن إحدى عينيه ستعمى[6]، ونلاحظ من خلال التفاسير ربط عالم الأرواح "السفلي" بالشر، فعندما تسكب أحد الأرواح الماء لحي فهذا يشكل ضرراً، بينما شخص يعطي الآخر ماءً فإنه خير.

---

(1) إبراهيم، الطقوس الدنيوية في بلاد الرافدين، ص185.

(2) المرجع نفسه، ص81.

(3) أحمد؛ أمل، الأواني الطقسية والنذرية في معابد العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية المنشورة، مجلة التربية والعلم، مج20، ع4، السنة2013، ص130.

(4) الجواري، نصوص الفأل البابلية، ص124.

(5) المرجع نفسه، ص129.

(6) يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص97.

7. تقديم الماء البارد للآلهة:

تميزت بلاد الرافدين، وما زالت، بمعظم مناطقها بارتفاع درجة الحرارة صيفاً، مما يجعل الماء البارد للشرب مطلوباً خلال الصيف، وإذا تساءلنا إذا ما كان سكانها القدماء قد حصلوا على ماء بارد أم لا؟ وكيف تعاملوا معه؟ فإننا نجد من خلال المكتشفات الأثرية ما يثبت تخزين واستخدام الماء البارد، مع تصنيفه بأنه مقدس، ولا يستطيع تخزينه أو تناوله جميع الناس.

عثر علماء الآثار على سراديب في منطقة زقورة بابل داخل بناء الجنائن المعلقة جنوبي القصر الملكي البابلي، هذه السراديب تنخفض عن مستوى الطريق بشكل لافت دون جميع أرضيات القصر، وسميت الغرف المنخفضة ببيت الأقبية حيث اعتبرت ثلاجة القصر، ولا سيما لحفظ الثلج والماء النقي البارد، وتقديمه للملك في الأيام الحارة، وتوفيره أيضاً للطقوس الدينية، حيث وردت أول إشارة لتقديم الماء البارد للآلهة تعود للحاكم السومري كوديا (2144 – 2124 ق. م)، وأشرف على هذه السراديب موظف كبير يسمى حامل الكأس، أما عن كيفية جلب الثلج وتبريد المياه، حيث يبدأ خزن الثلج بعد جلبه من المرتفعات الجبلية، داخل أرصفة على أرضية الأروقة، حتى تصبح بارتفاع معين، بعدها تغطى بأحجار كلسية، بعرض الرواق وبارتفاع متر تقريباً، ثم تغطى بطبقة ثانية من الثلج لارتفاع معين، ويعاد وضع الأحجار عليها وهكذا حتى يمتلئ الرواق حتى السقف، وينتقل للرواق الذي يليه حتى يمتلئ البناء كله[1].

استخدم الماء البارد في رش القرابين والذبائح وذلك حسب المعتقدات البابلية، وفي حالات أخرى استخدم الخمر عوضاً عنه، وأحياناً كلاهما [2]، كما استخدم الماء البارد كقربان، ففي مدينة تلو عثر على حجر يمثل تقديم نذر على شكل ماء مثلج للإلهة ننخرساك، ومن اللوحات الجدارية لوحة يظهر فيها سكب الماء المثلج في الكوز الفخاري الحاوي على فسيلة النخيل، فضلاً عن ذلك كان الماء البارد يقدم للملوك والطبقة العليا في المجتمع[3]، كما قُدّم في كوب خاص لتمثال الإله أو عبر سكبه في قناة المذبح في المعبد[4].

---

[1] فتوحي؛ عامر، الكلديون/ الكلدان منذ بدء الزمان – بحث في الهوية القومية الكلدية/ الكلدانية، ط2، 2007، ص82 – 83.

[2] A group of authors: Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, p117.

[3] فتوحي: الكلديون، ص219 – 279.

[4] McIntosh, J., Ancient Mesopotamia: new perspectives, ABC and CLIO, California and Oxford, 2005, p203.

يبدو أن عملية استخدام الماء البارد تتوقف على موقع المدن من الجبال وسهولة أو صعوبة جلب الثلج المتراكم على الجبال خلال فصل الربيع، وكذلك الإمكانات المادية والتجهيزات في الأبنية لاستيعاب كميات الثلج.

خامساً: المياه للطهارة:

اعتادت جميع الشعوب على الاهتمام بالنظافة والتأكيد عليها عبر العادات والتقاليد وكذلك المعتقدات الدينية، فالنظافة أساس المجتمعات الصحية، والماء هو المادة الأولية الأكثر توفراً وأهمية وسهولة في الاستخدام، وبالإمكان إقناع الجميع باستخدامها، بغرض تحقيق النظافة، وهذا ما كان مطبقاً بالنسبة لسكان بلاد الرافدين، فقد كان استخدام الماء بغرض التنظيف من سلم أولوياتهم، وعلى سبيل المثال فإن البابليين كانوا يستحمون كل يوم بالوقوف وجعل الماء ينساب عليهم بشكل عامودي من وعاء مخصص [1].

تولى صنف خاص من الكهنة وذوي المناصب العليا طقوس التطهير والغسل، ومنهم الماشماش، والأشب، وأطلق عليهم اسم "المطهِرون"، واختص قسم آخر بالتغسيل والتعميد، ومن أسمائهم رامكُ، وكالُ، وهم بمثابة مساعدين للأشب، عندما يقيم طقوس التطهير يقومون بعملية التبخير وسكب السوائل، وطقوس احتفالية أخرى، كما يرافقون الأشب عند افتتاح القنوات المائية، كما حدث خلال افتتاح قناة الملك سين آخي – أربيا [2].

يبدأ الرافدي دوماً بتطبيق الأمر، الواجب اتخاذه عادة لجميع الناس، على إلهه المعبود، حيث وجب على الإله أن يغسل قبل تناول الطعام[3]، حيث كان الكاهن يرفع إناء الماء ليلامس يدي تمثال الإله أو أكثر من إله، ثم يغسل يديه، ويبدأ برش الماء على الملك والأشخاص الآخرين، وفي طقس شبيه يقوم كهنة شانكا التابعين للإله آشور بوضع إناء على فم الملك، ويرشون الماء عليه باليد[4].

إن الوضوء وغسل الأيادي بالمياه هو طقس واجب ولازم، قبل ممارسة أي طقس أو رتبة دينية، وخلال الغسل تُردد الكثير من التراتيل الدينية [5]، وبسبب قدرة المياه على التنظيف فسمي "إله الطهارة"[6]، ونجد في

---

(1) Norman, B,: Living in ancient Mesopotamia, Thalamus Publishing, 1st ed, New York, 2009, p84.

(2) الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص194.

(3) Karen and Nejat, R., and N., Daily life in ancient Mesopotamia, Greenwood press, London, 1998, p186.

(4) الأسود، القوى الروحية، ص 35.

(5) قاشا؛ سهيل، تاريخ الفكر في العراق القديم، مكتبة السائح ودار التنوير، طرابلس – لبنان، 2008، ص202.

(6) بشور، سومر وأكاد، ص186.

أسطورة جلجامش، بأنه ينصح الملاح بأن يأخذ رجل الطوفان إلى الماء ليغسل في الماء أوساخه حتى يصبح نظيفاً كالثلج [1].

وفي ضرورة الطهارة عند تقديم القرابين نجد إحدى القصائد التي تعود لبداية الألف الأول ق.م جاء فيها أن سيداً يطلب من عبده أن يجلب ماء له ليغسل يديه لأنه سيقدم ذبيحة للإله[2]، كما استخدم الماء المقدس أيضاً في تطهير القرابين والأضاحي قبل نحرها، وذلك عبر رشها بالماء المقدس، وكذلك يتوجب غسل قطع لحمها وتنظيفها جيداً بالماء المطهر[3] "**قسم الخنزير إلى ستة أجزاء وضعها على المريض وطهره بالماء المبارك للابسو..**"[4] أيضاً وقبل ذبحها كان يغسل فمها بالماء المطهر بواسطة أنبوب خشبي، مع قراءة التراتيل الدينية[5].

ومن العادات المستحبة، التي ما زالت تجري في منطقتنا العربية حتى يومنا هذا، هي استحمام العريس وكذلك العروس قبل العرس، وفي ملحمة جلجامش "**غسل بالماء جسمه المشعر، صار شبيهاً بإنسان، ارتدى ثوباً وأصبح كالعريس..**" [6]، وجاء في نص حول الزواج المقدس للملك شولكي وكاهنة عليا "**عندما سأستحم من أجل الملك، من أجل الإله وعندما من أجل الراعي دموزي، سوف استحم..**"[7]. فضلاً عن ذلك فقد استخدم الماء في إزالة الأوساخ عن الأشجار عبر رشها به، وهذا ما ظهر في إحدى الجداريات، حيث استخدم الجني إناء ماء ليقوم بعملية رش إحدى الأشجار[8].

أما **طقس غسل فم الإله؛** فقد كان يعد من طقوس الطهارة، عبر غسل فم الإله بشكل رمزي من قبل كهنة مختصين وبأوقات محددة منذ ساعات الليل المتأخرة حتى الفجر، وبأماكن قريبة من النهر، بالنسبة للوقت فربما يعود ذلك إلى أن هذا الوقت هو وقت استراحة الفم من الطعام، أما قرب النهر فربما لوفرة المياه وحاجتهم

---

[1] جميل؛ فؤاد، الطوفان في المصادر – السومرية – البابلية – الآشورية – العبرانية، المركز الأكاديمي للأبحاث، ط1، بيروت، 2014، ص78 – 79.

[2] بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة، ص314.

[3] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص195.

[4] بورت، بلاد ما بين النهرين، ص164.

[5] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص198.

[6] إبراهيم، الطقوس الدنيوية في بلاد الرافدين، ص191 – 192.

[7] الشواف، ديوان الأساطير، ج1، ص 166.

[8] الأسود، القوى الروحية، ص44.

لكمية وافرة منه، حيث تتكرر العملية أكثر من أربع عشرة مرة في الليل على ضوء المشاعل، مع تغيير وجهة التمثال، ويستمر الطقس يومين، واطلق على اسم المياه المستخدمة بذلك "مياه التعويذة"، كما كانت مائدة تمثال الإله لا تخلو من أكواب خاصة لسكب الماء المقدس، فضلاً عن الطعام والشراب الأخرى، وقد يكون وجود هذه الكؤوس لغسل فم التمثال بعد انتهاء الطعام، واقتداء بالآلهة فإن الكهنة كانوا يغسلون فمهم وكذلك عامة الناس، ويبدو ذلك انعكاساً للاعتقاد السائد آنذاك بأن الأرواح الشريرة تدخل عن طريق الفم[1].

نلاحظ أن هذا الطقس ما هو إلا أحد الأعمال الكثيرة التي قيّد رجال المعبد أنفسهم فيها، والغاية من ذلك هو تثبيت سلطانهم على الناس وتقربهم من الآلهة عبر الاهتمام بنظافتهم ودوام إظهار تمثال الإله بشكل يليق به، وفي الجانب الآخر فإن هذا الأمر هو أقصر الطرق وأسرعها لإقناع الناس بضرورة غسل فمهم بعد الطعام والشراب.

لم يقتصر أمر غسل الفم على التماثيل الموجودة في المعبد فحسب، فقد خصص هذا الطقس للآلهة الجدد أيضاً، على أنه مانح للحياة، حيث توضع جرتان مملوءتان بالمياه المقدسة في مكان التمثال، وقطعتان من القماش حمراء وبيضاء إلى جانبه، ثم يغسل فمه بمزيج من الأعشاب وسبعة أعواد من الأرز وبعض الملح وزيت ودهون وأحجار كريمة وقطعة قماش ودبس، يتخلل ذلك تقديم الأضاحي، وترديد التراتيل الدينية الخاصة، ثم يخرجونه من مكان صناعة التماثيل إلى شاطئ النهر، حيث يوضع التمثال على حصيرة من القصب، ووجهه نحو الشرق، ويعاد تقديم الأضاحي، ثم يغسل فم الإله مرة أخرى بالطعام والشراب، ثم ينقل التمثال لبستان، ويضعون وجهه نحو الغرب أمام الكاهن الاعلى، ويعاد للمرة الثالثة تقديم الأضاحي، وتتلى الأدعية، وتملأ الأقداح بالماء، ثم يوضع في المعبد[2]

نستنتج مما سبق أن عملية صناعة التماثيل الجديدة للآلهة كانت مستمرة في مصانع مخصصة لذلك، مما يشير لعملية التوسع في بناء المعابد، حيث لا يخلو معبد من عدد كبير من التماثيل، فضلاً عن بروز دور آلهة جديدة لتحل محل الآلهة القديمة في رعاية مدينة ما أو دولة ما.

---

[1] الأسود، القوى الروحية، ص 36. الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص196 – 198.

[2] الماجدي، متون سومر، ص318.

سادساً: حوض الماء المقدس:

حوض الماء المقدس (الشكل22،23)، هو مكان والاستحمام الذي يملأ بالماء، نال شهرته في النصوص المسمارية، من خلال ارتباط استخدامه في طقس الملك البديل، وهو أحد الطقوس التي يحاول الملك فيها حماية نفسه من الأخطار المتوقعة، فعندما يحدث الخسوف أو الكسوف، أو خلال المعارك الكبرى كان الملك يُبدل بأحد الفلاحين الفقراء، وفي حالات قليلة يكون البديل أحد النبلاء، وخلال هذه الفترة يبرز دور الماء حيث يستخدمه الملك الحقيقي بتطهير نفسه، والقيام بشعائر سكبه لأغراض تطهيرية، ونظراً لظروف عزل الملك بعيداً عن قصره، وعدم وجود وسائل الراحة كاملة لديه فقد وصلتنا بعض الأدعية للملك، والتي تتضمن الدعوة بأن تقدم الآلهة له المياه البارد.

شاع هذا الطقس في العصر الآشوري الحديث، وتحديداً خلال فترة حكم السلالة السرجونية، وهنالك طقوس تسبق دخول الملك إلى حوض الماء المقدس والذي سمي أيضاً "بيت رمكي"، وفيها يحضر الخبز والأضاحي للإله الشخصي للملك، وكذلك لأوتو "شمش" وأنكي ومردوخ، وخلال ذلك تتلى التعاويذ الخاصة من قبل كاهن الماشماشو، وعند شروق الشمس يأذن الكاهن للملك بالدخول ليقف بمكان محدد، ويرتدي ثوب التطهير، بعد ذلك يقوم الكاهن بإيقاد المباخر وذبح الذبائح أمام الملك، ومن ثم يسجد أمامه وسط قيامه بترتيل التراتيل الدينية السومرية الخاصة وتسمى آكي – أوتو – كام، ويرد عليه الملك بتعاويذ أكدية تسمى شيبتو، ومعناها بداية الرقية أو تعويذة الحياة، ونجد في إحدى الرسائل رسالة تخص البديل دمقي بعد مقتله مرسلة للملك أسرحدون حول طقس بيت رمكي "**بتنفيذ كامل.. للرتبة التي تسمى غرفة الاستحمام والرتبة التي تسمى غرفة النضح للماء المطهر ومختلف الرتب التعزيمية، وتلاوة صلوات التوبة وصيغ أخرى تقليدية..**" [1].

بعد ذلك يقوم الملك بغسل يديه على أشكال مجسمة مختلفة، مصنوعة مسبقاً بما عرف بطقس "غسل اليد الصباحي"، في الغرفة الأولى يغسل الملك يديه على صورة العدو، وفي الثانية يغسل يديه على صورة ساحر أو مشعوذ، وفي الغرفة الثالثة يغسل على صورة تمثال بديل، ويستمر الحال في الغرفة الرابعة، أما الغرفة الخامسة فيكون الصناع قد قاموا بتجهيز شكل أو صورة للعنة، مثقوبة من وسطها، يبصق عليها الملك ثم يغسل

[1] بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة، ص198.

فمه بالماء والجعة، ويُدفن الشكل أو الصورة في أحد زوايا الجدار، وفي الغرفتان السادسة والسابعة يتم ربط الأشكال ودفنهم، وباعتقادهم فإنه وبمغادرة الملك للغرفة السابعة يكون قد تحرر من هواجس الشر كلها، وبعد انتهاء دور الملك البديل وقتله تطهر البلاد كلها ظهوراً كاملاً، ويستحم الملك بالمياه النقية في الحوض المقدس[1].

تم الكشف عن العديد من الحمامات والأحواض داخل المعابد تستخدم للتطهر قبل أي طقس في المعبد[2]، مع وجود عدد من المطهرين بالماء المقدس سموا أشيبو، ومنهم المنظفون الرامقو، وهم الذين يعملون في بيت الوضوء بيت رامقي[3]، "**فكاهن الماشماشو سوف يحمل المشعل ويستخدم ماء من حوض الماء المقدس مع الجعة والنبيذ والزيت من أجل إجراء الطقوس**"[4].

وورد بالنصوص المسمارية من العصر البابلي "**حوض الماء المقدس يطهر معبد الآلهة، حوض الماء المقدس ينظف معبد الآلهة، حوض الماء المقدس يجعل معبد الآلهة متألقاً**"، وفي نص آخر "**تأخذ ماء من حوض الماء المقدس والذي جهزته من أجل الإله**".

وقد امتلك كوديا ملك لكش حوض ماء ضخم من مصنوع من الحجر، وموضوع في المعبد[5]، وكان المسبح المقدس جزءاً مهماً من المبنى الملكي في مدينة تربيصُ في آشور، وسمي ببيت رمكي، ويعني بيت الحمام أو بيت الاغتسال، حيث كانت تجري طقوس الاغتسال والتطهير الخاصة بالملك، ومن الجدير ذكره أنه هذا الطقس يحضر له قبل فترة ليست بالقصيرة من قبل الكهنة المختصين، ويبلغ الملك قبل فترة بموعد الحمام الطقسي "... **(وبخصوص) الطقس بشأن الملك سيدي فإنني أتوقع أن الملك سيجري الحمام الطقسي في شهر أيار لقد (بدأنا العمل عليه)...**"، وربما ارتبط هذا الحمام بأهمية تطهير الملك بطريقة مثلى قبل أن يلم بالطقوس الدينية في معبد الإله آشور[6].

---

[1] إبراهيم، الطقوس الدنيوية في بلاد الرافدين، ص63 – 70.

[2] عبد الحق، الماء في الفكر الرافدي القديم، ص210.

[3] فتوحي، الكلديون، ص119.

[4] أحمد، الأواني الطقسية والنذرية، ص135.

[5] المرجع نفسه، ص129 –130.

[6] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص198 – 199.

فضلاً عن ذلك فقد جاء في نصوص السنة الثالثة من حكم الملك شو سين (1972 – 1964 ق. م)، نقش على لوح آشوري "**إن اليوم الذي نزل فيه الملك ننورتا – توكلتي آشور في حوض المعبد من أجل أن يغتسل بالماء المقدس**"، ويبدو أن الاغتسال لم يكن شرطاً بالمعبد فالنهر يفي بالغرض، حيث أشارت الرسائل العائدة إلى عهد السرجونين "**يذهب الملك إلى النهر وينجز هناك طقوسه**"[1].

يتبين مما سبق أن حوض الماء المقدس، هو مكان للاستحمام، كما في عصرنا هذا، ولكنه مصبوغ بصبغة دينية ربما أخذها من مصدر المياه المجلوبة من النهر والمباركة من تمثال الإله، كما أن هذا الحوض يتم فيه غسل تماثيل الآلهة بشكل دوري، ويحافظ الملك من خلال الطقوس الخاصة بحوض الماء المقدس، على صفته الدينية وسلطانه على المعبد، ولو كان الأمر اسميّاً، حيث لم تذكر النصوص استخدام هذا الحوض لغير الآلهة أو الملك.

سابعاً: الطقوس الخاصة بصناعة الدف المقدس للمعبد:

حظيت الآلات الموسيقية بالتقديس وخصصت للآلهة وقدمت لها القرابين، وميزت آلات الآلهة بتسميات لها طابع قدسي كالسيدة الملائمة للقصر، وسيدة الجناح الكبير، والسيدة الشرعية التي يرعاها الله، ومعظمها قيثارات، أما الدف الخاص بكل معبد فقد كان له وضع خاص فقد استقبل بالأضاحي والنذور بعد اكتمال صناعته[2].

يتخلل صناعة الدف المقدس طقوس خاصة حيث تبدأ بسكب الماء من إناء مخصص على الثور داخل المعبد، ثم يعمل للثور طقس غسيل الفم بواسطة أنبوب قصب معطر، ثم يذبح، ويظهر من خلال بقية الطقس علاقته المباشرة بالإله أنكي إله الصناعة أيضاً، وحاجته إلى الماء المقدس "**في اليوم الخامس عشر أخرج الدف البرونزي في حضرة الإله شمش، وقم بإعداد خمسة أضاحي للآلهة أيا وشمش ومردوخ،.. والدف المقدس، واذبح شاة وقدم الفخد... واللحم المشوي، وقم بإراقة جعة ونبيذ وحليب، وطهر بالمبخرة والشعلة مع الماء**

---

[1] الأسود، القوى الروحية، ص29.

[2] إبراهيم، الطقوس الدنيوية في بلاد الرافدين، ص157.

المقدس... واقرأ ثلاث مرات تعويذة أنكي، اوتو... وقم بتأدية طقس غسل الفم للدف البرونزي..."[1] إن هذا الإجراء كان يتبع للآلات الجديدة وطقس غسل الفم كل عام مرة للآلات الموسيقية القديمة.

يبدو أن هذا الطقس هو طقس تطهيري لجلود الحيوانات المستخدمة في صناعة الآلات الموسيقية، حيث أن عملية تنظيفها بالغة الأهمية، وكذلك تطهير جسد الحيوان وجعل الجلد نظيفاً، كما يبين ذلك أهمية الموسيقا في الديانة الرافدية القديمة، والاستخدام الواسع للآلات الموسيقية داخل المعبد.

ثامناً: أواني المياه المُستخدمة في الطقوس الدينية:

صنعت الأواني الخاصة بطقوس العبادة من الفخار المشوي، وقد لونت بألوان بسيطة مختلفة كالتنقيط بنقط سوداء، أو رسم دوائر وما شابه [2]، ونلاحظ أن تسمية الأواني وأشكالها، التي استخدم فيها الماء مختلف بعضها عن بعض بحسب الغاية التي يستخدم لأجلها الماء الموضوع فيها، ومن الأمثلة على ذلك:

1. وعاء أغابو:

وهو وعاء الماء المقدس العائد إلى ملكة التعاويذ، المتلازمة وشجرة الطرفاء، فعند سكب الماء من أجل الغيث، يوضع قطعة من هذه الشجرة أو جذع نخيل في الإناء النحاسي الذي سيسكب فيه الماء المقدس، وذلك أمام تمثال الآلهة بالمعبد[3].

2. وعاء الهبات:

الذي يسكب منه الماء أمام تمثال الإله، وآخر يسكب على الفاكهة أو باقات الورود، فيما يبدو أنها كناية عن مياه الأمطار[4].

---

[1] Goff, B.L., The Role of Amulets in Mesopotamian Ritual Texts, Journal of the Warburg and Court auld Institutes, Vol. 19, No.1/2, London,1956, p 180.

[2] يحيى، أبحاث في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص18.

[3] الأسود، القوى الروحية، ص45.

[4] يحيى، أبحاث في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص23 – 24.

3. إناء ماقو:

ومن التسميات الأخرى لإناء السكب ذلك الإناء الذي يملأ حصراً من الحوض المقدس، ويستخدم في الطقوس الخاصة بالملك البديل، وغسل الآلهة، واستحمام الملك في المعبد [1].

4. إناء موكالاتو "قدح التكهن":

وهو الإناء المستخدم في العرافة عن طريق صب الزيت على الماء فيه، ففي أحد النصوص نقرأ "**في موكالاتي الخاص بالعرافين كانت التكهنات مريحة بالنسبة لي**"، وقد تم العثور على عجلة طقسية تتألف من إنائين يستخدمان بطقس التكهن في معبد الإله سين في مدينة خفاجي، وقد صنعا من الفخار المشوي[2].

5. الدلو والمرشة:

فضلاً عن ذلك ورد ذكر "الدلو" و"المرشة" كأحد أوعية الماء المستخدمة في العصر البابلي والآشوري الحديث، حيث تستخدم المرشة في طقوس التطهير والتعزيم "الرقى" داخل المعبد "**تضع اثنتين من المرشات في قلب (الماء) ويحمل الملك المرشة بيديه اليمنى واليسرى**"، كما أشير للدلو أو السطل المصنوع من القصب أو الخشب والمستخدم بطقوس التطهير بعد ملئه بالماء من حوض الماء المقدس "**الكاهن يجلب المياه من معبد الإله في الدلو**" وأيضاً "**يحملون المرشة في أياديهم اليمنى والدلو في أياديهم اليسرى**"[3]، يمكن استخدام مياه الآبار في التعاويذ والرقى، بشرط أن تكون نقية، حيث أظهرت التنقيبات في تل أسمر في ديالى أشكالاً متعددة للدلو صنعت من النحاس والبرونز.

6. إناء شوخراتو:

من الأواني التي جاء ذكرها بالعهد البابلي الإبريق الذي كان يملأ بالماء النقي الذي يرش على المريض المصاب بالحمى، ويسمى "شوخراتو"[4] ففي أحد النصوص جاء "**تجاه الحمى والحمى الباردة المضرة للجسد ماء**

---

[1] أحمد، الأواني الطقسية والنذرية، ص134.

[2] المرجع نفسه، ص133.

[3] المرجع نفسه، ص131 – 133.

[4] الفصل الرابع يتحدث عن الشفاء من الأمراض باستخدام المياه.

من بئر لم تمسه يد في إناء شوخراتو واسكب الماء على ذلك الشخص"[1]، يوضع ماء البئر بإناء "شوخراتو"، ولقدسية المياه الموجودة في أريدو كان الناس يفدون إليها من كل أنحاء بلاد الرافدين، فشكلت مركز الرقى والتعاويذ، ووصف ماؤها بأنه أطهر ماء، إذ يذهب القاصدون لمكان صب النهرين في الخليج، واستمرت أريدو بهذه الشهرة حتى بعد سقوط بابل عام 539 ق. م، اسم الإناء فظهر في الكثير من التعاويذ الشعرية:

"**تجاه الحمى والخمى الباردة المضرة بالجسد**

ماء من بئر لم تسمه يد

واملأه في إناء شوخر راتو واسكب الماء على ذلك الشخص" [2].

تعددت استخدامات الماء وعلى أثرها تعددت الأواني المخصصة لكل شيء على حِدة، مما أضفى على الماء قدسية خاصة، وفرّق بين أصنافه من خلال الأوعية، فليس من المنطق أن الماء يستخدم لكل الحالات!، لكن إذا وضع بأواني مختلفة، فقد حصل فيه التنوع المطلوب، لتعدد الاستعمالات في مجالات واسعة، وذلك جزء من الهالة النفسية للطقوس الدينية الكثيرة المقامة باستخدام الماء.

يتبيّن مما سبق؛ أن الماء المقدس ينقسم إلى قسمين، ماء النهر والبئر المبارك في الأصل من الآلهة وهو المستخدم من قبل عامة الناس، ومن خلاله تدعو الديانة الرافدية إلى الإكثار من استخدام المياه بغرض النظافة العامة، حتى وصل الأمر بسكان بابل إلى الاستحمام يومياً بهذا الماء، وبذلك حقق المعبد الغاية الاساسية من توجيهاته حول قدسيّة الماء، أما القسم الثاني فهو الماء المبارك الذي دخل للمعبد فأصبح أكثر قدسية ومباركة، وخصص للآلهة والملك ورجال المعبد والفئة الحاكمة فقط، وفيه أقيمت الطقوس المختلفة، التي تبادل من خلالها المعبد والملك إشارات السيطرة والحكم على البلاد، وربما ليس هنالك منتصر من الصراع بين الجانبين، لكن يبدو أن سلطة المعبد كانت أكثر رسوخاً وقوّة طالما أنها هي من تعيّن الملك، وهي الموكلة على الأمور الدينية التي تغلغلت في جميع مناحي الحياة، حتى داخل القصر، وخلال مسير الجيش.

---

[1] أحمد، الأواني الطقسية والنذرية، ص131 – 132.

[2] الأسود، القوى الروحية، ص54.

حـافظ الرافـديون علـى المـاء مـن خـلال فكـرة تقديسـه وإشـراكه بمختلـف الطقـوس الدينيـة، وجعلـوه نابضـاً بالحياة، مخلصاً من الآلام وجميع الحالات الباعثة على السوء، سواء في العالم السفلي، حسب تصورهم، أو عند حلول المصـائب، أو حتـى مـن خـلال الحُلم، واستخدموا إشـاراته التـي لا معنـى لهـا فـي فؤولهم ونظـرتهم البسـيطة للمستقبل، فضلاً عن ذلك فقد منحوه شرف القسم به، وبأنه ضامن للعهدة.

الفصل الرابع

الماء نعمة ونقمة حسب المعتقدات الدينية

أولاً: الماء يشفي من الأمراض

ثانياً: الماء عقوبة إلهية:

1. الطوفان الرافدي
2. ملحمة جلجامش ورجل الطوفان
3. ماء الموت

ثالثاً: دور الماء في إدانة المتهم أو إثبات براءته:

1. الامتحان النهري المقدس "المحنة"
2. عقوبة القذف أو الرمي بالماء
3. أشكال أخرى من العقاب بناء على استخدام الماء المقدس
4. العقاب من أجل الماء

كان للماء ثلاثة أدوار دينية مهمة، الدور الأوّل أنه كان وسيلة للشفاء من الأمراض، وهذا ما يعزز قداستها، أمّا الدور الثاني فقد عدَّ الكهنة الماء وسيلة إلهية للعقاب الجماعي، بينما شمل دورها الثالث، دور يشبهُ دور الحَكم في النزاعات، وجميع هذه الأدوار سيعالجها هذا الفصل بالتفصيل.

أولاً: الماء يشفي من الأمراض:

اعتمد الأطباء في بلاد الرافدين على الماء سبيلاً للعلاج، وسمي الأطباء بأبناء أيا أو العارفون بالماء وباللغة السومرية آزو (azo) وفي البابلية آسو(aso) أو أساتو التي تعني المعالجة بالماء الطبية[1]، وبشكل يبدو أقرب لتنظيم الطب الحديث، قُسم الأطباء لثلاثة أقسام، الفاحصون "الأشيبو (ašipu)، والمعالجون "الآسي (asu)" والجراحون، حيث يقرر الأشيبو نوعية المرض، إن كان جسماني أم نفسي / إلهي، فإذا كان المرض جسدياً يستدعى الآسي ليقدم العقاقير اللازمة للشفاء ومواعيد تناولها، وفي حال كان نفسي يستدعى المعزم والقائمون على طرد الأرواح الشريرة، حيث يقومون بغسل المريض، وإعطائه جرعات من الماء العذب، أو الخمر، بعد أن يقرأون عليه التعاويذ الخاصة، فيما يشبه اليوم العلاج عن طريق الإيحاء النفسي للذين ليس لديهم مشكلة في جسدهم، وفي حال كان المرض يستدعي العمل الجراحي، يتدخل المعزم عبر تطهير المكان بالتعازيم، وغسل مكان الجراحة قبل البدء بها، وأيضاً غسل المريض[2]، حيث اعتقد البابليون أن المرض هو عقاب إلهي وجبت معالجته روحياً أيضاً[3].

إن الكاهن المعزم لم يكسب مهنته بالوراثة أو بالفطرة، بل اكتسبها عبر تعبده، حتى أصبح ممثلاً لآلهة السحر، ذلك يردد لنفسه العبارات التي تدل على قدسيته "**الأشيبو الذي خلق في اريدو، مدينة أيا المقدسة، أنا هو**"[4].

---

[1] مرعي، اللسان الأكادي، ص124.

[2] فتوحي، الكلديون، ص231.

[3] Geller, M., Ancient Babylonian Medicine Theory and Practice, Wiley Blackwell, Malaysia, 2010, p161 – 162.

[4] كونتيو؛ جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، بغداد، 1986، ص 484.

يبدو الارتباط الديني جلياً وواضحاً بين الكهنة وطرق العلاج، وبين الماء، إذ حرص الكهنة على ارتداء ملابس تمثل الماء، ومنها اللباس المشابه لشكل السمكة، وهي أحد رموز الإله أنكي[1]، كما ارتبط لباس اللون الأحمر لدى الآشوريين بالمرض وطرد الأرواح الشريرة أو التأهب للموت، بينما ارتبط اللون الأبيض بالنقاء والطبابة ولبسه الملك والكهنة، وكان يصنع من الكتان [2].

إن هؤلاء السحرة ما هم إلا مفوضون، فوضهم الآلهة حيث كان الأشيبو يسمي نفسه رجل أيا "أنكي"، وعبد أيا، ورسول أيا ومردوك[3]، فأنكي رب الطب الأعلى، والطب هو معرفة الماء، أو النظر في الماء، واسم الطبيب آسو أي العارف بالماء[4]، وفي الاعتقاد نرى أن أنكي يستطيع رؤية تجمعات الجن والأرواح الشريرة في أجسام المرضى وبذلك يساعد ابنه مردوخ في طقوس طردها[5]، حيث نجد في أحد النصوص إشارات من أنكي لأبنه مردوك لكي يعالج شخصاً أصابه السحر "**أذهب ابني مردوك، أعطه شرابك الطاهر، شراب الحياة، دعه يأكل نبات الحياة، دعه يدهن نفسه ويغتسل**" [6]، كما ارتبط اسم إله الماء أنكي وابنه الإله "اسالوخي" بالطقوس الخاصة بطرد الجن والأرواح الشريرة من أجسام المرضى، حيث أن الأول قد أوجد الأعشاب المناسبة، وحضر معارف السحر السري، ومن ألقابه إله التعاويذ، ومن خلال المياه يقوم بواجب التطهير، فأنكي لديه القدرة على تطهير الإنسان من كل دنس يصيبه[7].

ارتبطت طقوس التطهير والعلاج بشكل مباشر بالماء، ويعتبر رش الماء على المريض هدفه التقرّب من الإله أيا، وذلك طلباً لمعونته في طرد الأرواح الشريرة، ويجلب الماء عادة من دجلة أو الفرات ويرش مصحوباً بقراءة تعاويذ خاصة، وأحياناً كثيرة يقتصر شفاء المريض على المياه الطاهرة والتعويذة فقط؛ ففي إحدى الطقوس التي كانت تمارس في بابل القديمة نقرأ:

"(ظهر امامي) كاهن مطهر

---

(1) Hunt. N, living in ancient Mesopotamia, An imprint of Infobase Publishing, New York, 2009, p59.

(2) عكاشه، تاريخ الفن – الفن العراقي القديم، ص37.

(3) يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص258.

(4) الماجدي؛ خزعل، بخور الآلهة، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1998، ص298.

(5) رشيد؛ فوزي، الديانة، حضارة العراق، ج1، ص156.

(6) عبد الحق؛ حسان، الماء في الفكر الرافدي القديم، ص212.

(7) يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص141.

وهو يمسك (في) يده الأثل المطهر...

أرسلني إلى هنا كي أطهرك

(سكب) علي الماء الذي كان يحمله

وأطلق تعويذة الحياة ودلك بجسمي" [1].

نلاحظ من النص السابق، وحسب المعتقد فإن الذي أرسل الكاهن هو أحد الآلهة المحليين لمدينة نيبور، وقد جلب الماء المقدسة الخاصة بالعلاج معه، ولم يقتصر الأمر على سكب المياه فحسب، بل قام الكاهن بعملية التدليك، وفي ذلك إشارة إلى أن العلاج كان للجسد بشكل عام، مما يشير إلى أن الماء المقدس استخدم كعلاج روحي لعلل الجسد غير الظاهرة.

فضلاً عن ذلك نجد أن التعاويذ المستخدمة تصف الإنسان بابن الإله، وتخاطب الجان وكأنها تخاطب إنساناً آخر، يأكل ويشرب، وتحاول التعويذة كشف فداحة بقاء الجان في الإنسان مسبباً له المرض:

"ولطالما (يا جان) لا تخرج من جسد الإنسان ابن الإله

ولطالما لا تفارق الجسم ولطالما لا تخرج

حرام عليك أن تأكل وحرام عليك أن تشرب

عسى أن لا تصل يدك مفتاح أبي إنليل الذي خلقك

حرام عليك أن تذوق الماء سواء ماء البحر أو الماء العذب وحتى الماء العفن

عليك ألا تذوق ماء دجلة ولا ماء الفرات ولا ماء الينابيع ولا ماء الترع

وإن أردت أن تطير إلى السماء فعسى أن يكون لك جناح

وإن أردت أن تختفي في الأرض فعسى.. ألا تجد فيها مكان

فانقلع إلى حيث..." [2].

---

[1] يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص277.

[2] فرحان؛ غيث– عبد؛ حيدر، دور الآلهة والكهنة في طرد الشر والشيطان في العراق القديم، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، مج2016، ع54، 2016، ص12.

نجد أن النص السابق غني جداً بالاعتقادات الخاصة بأمور العلاج الروحي وكيفية النظر فيه، فالكاهن يضع المريض بمنزلة ابن للإله، ثم يبدأ سلسلة تهديدات للجن كي يخرج من جسده، فالجن تأكل وتشرب، وخالقها هو إنليل! وفي سطرين متتاليين يهدد الكاهن الجن المزعوم بأنه سيحرم من جميع أنواع المياه، النقية والعفنة، وفي ذلك إشارة مهمة لمكانة الماء كحاجة ضرورية للجن حسب الاعتقاد السائد آنذاك، وأخيراً فإن الكاهن يفتح أبواب السماء للجن كي يغادر، ويبعده بشكل قطعي عن الأرض، ربما ذلك يعود إلى إيمان سكان بلاد الرافدين بوجود العالم السفلي، وبأن السماء فيها آلهة هي قوية بما فيه الكفاية لتصون نفسها من الجن.

ومن الجدير ذكره أنه في أحيان كثيرة يحاول الأشيبو، من خلال تعويذته، رشوة الروح الشريرة من خلال عروض تزويدها بالماء والزاد عبر رحلتها في الصحراء، إن اختارت هي ذلك[1].

اشتهرت مدينة إيسن بممارسة الطب، وقد كان للآلهة فيها دورٌ مهمٌ في هذا المضمار، حيث يشترك الإله أيا مع الإلهة ننسينا بأنهما آلهة للطب ذات طبيعة مائية، إن آلِهة الطب اشتهروا أيضاً في سومر وأكد ثم إيسن وبابل، وتجمعهن أشياء مشتركة، إذ أنهن بنات إله السماء "آن" ومرتبطين بالأمور الزراعية – المائية، لأن الماء والأعشاب كانا أصل العلاج والتطيب[2].

كان السكان في حياتهم اليومية يخافون الشيطان، حيث آمنوا أن الخطيئة هي شيطان يدخل أجسادهم، وأبرز الخطايا كانت إهمال الطقوس الدينية، والسرقة والقتل، على حد سواء، كما أشيع بأن المرض أيضاً هو أحد مظاهر وجود الشيطان داخل الإنسان، وأقوى شيطان كان مرض الحمى، وبسبب ذلك تدخل الأطباء لعلاج المرضى من خلال طرد الشيطان، وذلك بعد سلسلة إجراءات معقدة تبدأ بتعيين المريض للشيطان الذي سبب مرضه، فمثلاً الشيطان أشكو شيطان الرأس، إذ كان أكثر ما يخيف الناس هو الصداع، ربما يعود الخوف من وجع الرأس أو الحمى، وليس للصداع العادي[3]، وإذا لم يستطع المريض تحديد الشيطان، عليه أن يتلو اعترافاً بكل الآثام التي ارتكبها، وقام الكهان بعمل الأطباء في هذا المجال، وسمي الكاهن المتخصص في مساعدة المرضى بـ آشب ومعناها المعوذ، إذ يستخدم التميمة والرقى بغية طرد الشيطان من الجسم، وتبدأ المراسم بالدعاء

---

(1) عبد الحميد؛ وليد خالد، مقدمة في طب نفس العراق القديم، المجلة العربية للطب النفسي، مج 14، ع2، 2003، ص133.

(2) الماجدي؛ خزعل، المعتقدات الأمورية، سلسلة التراث الروحي للإنسان، دار الشروق، عمان، 2002، ص65-64.

(3) يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص92.

للآلهة، وثم يرش على المريض ماء مقدس، بعد ذلك، وحسب التصور، تلقى للشيطان قطع اللحم ليمسك بها ويترك قبضته على جسد المريض، وفي طريقة علاج لدغة العقرب على سبيل المثال؛ تتلى الرقى فوق الجزء المصاب، ثم يمضغ المريض سبع حبات من القمح مع أعشاب جبلية، ثم يذهب إلى النهر غاطساً فيه سبع مرات، وفي المرة السابعة عليه أن يبصق ما في فمه في مياه النهر[1].

وعلى نفس الفكرة استخدم الماء للتكفير عن أخطاء المريض، عن طريق التضحية بخنزير ووضع أجزاءه على جسد المريض وتطهيره بالماء المبارك، ثم يتم إحضار الموقد والمشعل ويوضع بالقرب من باب مغلق، حيث في هذا الطقس يقدم الخنزير بديلا منه، فاللحم بدلاً من لحمه والدم بدلا من دمه، حيث تتلى التعويذة "**دع الشياطين تتقبله. ان القلب الذي وضعته إلى جانب فراشه أعطهِ بدلاً من قلبه وليتقبلوه**"[2].

وفي وصف الشيطان الذي يسبب المرض باعتقاد سكان بلاد الرافدين، بأنه لا يأكل طعام البشر، ولا يشرب الماء، ويسبب المتاعب للناس، ولا سيما الأمراض المستعصية [3].

استخدمت الرقى والتعاويذ لطرد الشياطين والأرواح المؤذية للإنسان، والتي قد تسبب الأمراض النفسية والجسدية له، وتتلى هذه التعاويذ في طقوس خاصة يتخللها سكب الماء ورشه، وحرق البخور، ثم تنقش التعويذة بهيئة عوذ أو حرز من الحجر وتعلق في رقاب الأفراد، كما خصصت الكثير من التعاويذ للأطفال حماية لهم، وذلك كله احترازاً من دخول المرض والشر جسد الإنسان، إذ باعتقادهم أنه قادر على هدم معبد واستخدام قوى فائقة، وبهذه التعاويذ يصبح الشر منزوع القوى، وقبل تلاوة التعويذة على الشخص المريض، عليه الذهاب لموضع لم يذهب إليه أحد، ينظف سطحه جيداً، ثم يغسل المكان بماء نقي، وبعد ذلك يقوم الكاهن بإجراءات كثيرة تستخدم فيها الأعشاب والعطور والتعاويذ[4].

وحول أي مياه هي المقدسة، والتي تستخدم في العلاج فإن إحدى النصوص تشير لنهر الفرات " **الماء الطاهر، ماء الفرات الذي يجري في أرض طاهرة، الماء الطاهر الذي يطهره أيا... فليكن مطهر (المريض)**

---

[1] موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ص76 – 78.

[2] بورت، بلاد ما بين النهرين، ص164.

[3] فرحان؛ غيث، الشياطين وأثرهم في بلاد الرافدين، مجلة حولية المنتدى، مج1، 2014، ص168.

[4] يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص230 – 231.

وليكن صافياً براقاً"[1]، وكذلك نهر دجلة فالكاهن يأخذ من ماء دجلة أو الفرات ويرشه على جسم المريض ويقرأ عليه تعويذته [2].

فقد كان لاستخدام الماء المقدس دور بارز في طرد الشيطان، وذلك عبر فكرة تطهير النفس والجسد منه، ففي وصفة طبية للكدمات والتورم: "**إذا أصابت الرجل ضربة على خده فالوصفة العلمية لذلك... ينظف فمه سبعاً وسبع مرات بالماء المستخرج من بئر مردوخ وسوف يشفى"**[3].

يبدو أن الإله مردوخ هو من يبارك مياه الآبار، لذلك ورد بالنص أن الماء المقدس مستخرج من بئر مردوخ.

ومن الأمراض التي تنشأ من دخول الجان، الذي أطلق عليه اسم "أبيصو" هو مرض اليرقان، وكان الجان يطرد بعملية التطهير بالماء عبر رش المريض سبع مرات أيضاً على وجهه وجسده، ثم تقرا التعويذة:

"مردوك

يا أبن أيا

بالماء الصافي

سبع مرات ثم سبع مرات

رش (المريض)

طهر (المريض)

نق (المريض)

وابعد عنه رابيصو الخبيث"[4]

ومن طرق علاج الصداع بالماء نقرأ: "**خذ طاساً، واملآه من مصب النهرين، وأقرأ على هذا الماء تعويذتك المطهرة، وبتعويذتك المطهرة المقدسة طهر، الشخص ابن إلهه ورش عليه بهذا الماء، (وامسح به**

---

(1) الأمين– فرنسيس، شعار سومر، ص 48–49.

(2) الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ص117.

(3) الأسود، القوى الروحية، ص 56.

(4) الأمين، شعار سومر، ص 228–229.

جبينه...) واعصب رأسه، وليأكل في ذلك اليوم حتى يشبع، وعند المساء ارفع عصابه من رأسه، واطرحه في مكان فسيح، فعسى أن يخرج تيؤ من رأسه ويولي"[1].

ولا يتوقف الأمر عند ذلك فالماء يشفي أمراض القدم أيضاً "**إذا مرض رجل بقدميه ولمعالجة قدميه ضع ماءً في إناء مقدس وضعه تحت النجوم في أثناء الليل وضع العقاقير في الماء وارسم دائرة سحرية حول الإناء، وعند الصباح أدهن رجليه قبالة اتجاه الشمس بالمزيج فإنه سيتحسن**"[2] ولضمان جدوى هذه الوصفات على الكاهن أن يطهر المكان الذي يتم فيه العلاج عبر رش الماء المقدس فيه، حيث كانت جميع العلاجات للمرضى لا تقام إلا في بيته وغرفته وعلى فراشه، ونادراً ما كانت تقام في المعبد، وبحالات قليلة خارج المنزل بالعراء، وغالباً كان العلاج بالماء يطبق عند غروب الشمس[3].

في كثير من الأحيان يكون الماء وحده كفيلاً بالعلاج، حيث نجد في إحدى التعاويذ البابلية التي تتلى عند النزول في ماء الفرات بقصد الشفاء، وتبدأ بتمجيد النهر عبر سطور طويلة، وسط عبارات الترجي من أجل الشفاء، والتذكير بفضل الإله أيا في جلب الماء والخيرات إلى النهر ويختتم النص:

"يا من بمائك يأتي الشفاء تقبلني

انتزع ما بجسدي وارمه إلى ضفافك

ارمه إلى ضفافك "أو" دعه يغور في أعماقك"[4].

يبدو أن للمياه المقدسة المستخدمة في التطهير درجات من القداسة، فأفضل المياه هي للفرات تليها مياه دجلة ثم مياه الآبار وغيرها من المياه النقية الصافية، كما أشارت النصوص بوضوح للأبسو وهي المنطقة التي يصب فيها النهرين في الخليج، وربما أن كيفية الحصول على الماء المقدس تعود للحيز الجغرافي المحيط بالسكان آنذاك، ففي أقصى الجنوب بلاد الرافدين، الماء المقدس يجلب من مصب النهرين، وفي المناطق البعيدة عن الأنهار يجلب من بئر مردوخ.

---

[1] الأمين، شعار سومر، ص 231-232.

[2] أحمد، الأواني الطقسية والنذرية، ص135. الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص201 – 202.

[3] A group of authors, Magico, p362.

[4] يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص354 – 355.

ومن طرق العلاج أيضاً؛ يتلفظ الساحر بتعاويذ محددة للمرض المتوقع تتضمن اسم العفريت المسبب له، ثم يرش الماء على المريض ويحوطه بالطين أو بأشياء نباتية تربط على جانبي فراشه[1].

طبق الكهنة في حالات شفائهم للمرض فكرة **التعويض بالبديل**، فالأشيبو مسؤول عن التعويض، كأن يأخذ حملاً ويضعه جانب المريض في فراشه، ثم يمرر سكيناً خشبيةً على رقبة المريض، بينما يحز الحمل بسكين حادة، وبعدها يُلبس الحمل ملابس المريض ويقوم بالبكاء عليه، ومن ثم يقدم الأضاحي للآلهة [2]، وفي نص طقوسي يأمر به أيا شخص يسمى مردو، بأن يأخذ ضحية عوضاً عن الملك، ويضع رأسها أمام الملك مع التراتيل "**هلا يكن الملك طاهراً نقياً فالذي لا يعرف اللعنة التي سيشفى بها، هلا يترك جسمه ويخرج منه**"[3].

فضلاً عن ذلك يضع الآشوريون من العجين ما يماثل شكل المريض ويرشونه بالماء، وكأنهم يتعاملون مع المريض، ويحملونه عبء الذنب الذي سبب له المرض، ثم يضعون على رأس وقدم الرجل المريض خيوطاً من الصوف الأسود والأبيض يلقونها بعد ذلك في الأرض الخالية كطقس تكفيري، وفي طريقة علاج أخرى للقلب وتسمى إخراج أشيبو للشبح المسمى أطيمو(eṭemmu)[4] "**إذا مسك أطيمو بإنسان وصرخ قلبه فيجب أن تهيء نفسك في يوم محظوظ طيب واغتسل جسمك بالماء من الحوض واذهب للبرية واكنس الأرض...**"[5] إن غالبية الطقوس الطاردة للشياطين يراوح استخدام الماء فيها بين رشه أكثر من مرة إلى الاستحمام فيه مرات عدة.

يتبين من فكرة التعويض بالبديل بأن التعويض يراوح بين كائن حي، يضحى به بديلاً عن المريض، عندما يكون للمريض المكانة المرموقة كالملك مثلاً، بينما يستبدل بالعجين لأشخاص آخرين، أي حسب أهمية المريض يكون البديل.

---

[1] الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ص106.

[2] المرجع نفسه، ص51 – 52.

[3] الأحمد؛ سامي، معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور، مجلة المؤرخ العربي، ع2، 1977 ص61.

[4] أطيمو(eṭemmu):حسب معتقدات العراقيون القدماء فإن شبح الأطيمو هو الروح الشريرة الخارجة من المتوفى والتي قد تؤذي أقاربه ومن حولهُ حتى الموت، في حال لم يقوموا بالدفن وفق الطقوس الدينية لكي تنعم روح الميت بالسلام والطمأنينة. السعدي؛ حسين، الروح كيدم/ أطيمو، مجلة كلية الآثار، جامعة الكوفة، عدد57، شباط2017، ص141.

[5] الأحمد، معتقدات العراقيين القدماء، ص62 + 70.

إن الأهمية الكبيرة للمياه في شفاء الإنسان مرتبطة بأصول وقواعد النظافة، والحفاظ على الصحة بشكل عام، فقد كان الاعتقاد السائد بأن الأرواح الطيبة لا تقرب إلا الجسم الطاهر المغسول[1]، فقد كان المريض يرش بالماء الطاهرة كناية عن عملية الغسل بقصد النظافة، حتى ولو كان مرضه عبارة عن إصابة ما، كالجروح أو الحروق، كان الكاهن يرشه بالماء[2]، وبتطور الطب في بلاد الرافدين، وقدرة الأطباء على الاستغناء عن الماء المقدس في عمليات العلاج، أصبحت عملية الغسل والرش بالمياه مألوفة، ومن ضمن الأعراف الطبية "كعامل نفسي" يضمن تطهير المذنب من أخطائه، والمريض من مرضه[3].

وفي حال كان المرض غير ظاهر يقوم الكاهن بصفع المريض ويصرخ عليه من أجل إخافة العفريت الذي سكنه، وكان ينصح المريض بأن يقوم المريض بطقس تطهيري من أجل الشفاء حيث يقوم بالاغتسال بالماء مدة ثلاثة أيام[4].

ومن الأعمال التي يقوم بها المشماشو هي قراءة الطالع عن طريق سكب الزيت على الماء، ويستخدم ذلك للفقراء الذين لا يستطيعون تقديم الأضاحي، فإذا غاص الزيت بالماء ثم طاف ثانية، وظهر أنه منكمش، فذلك نذير شؤم، بينما إذا شكل الزيت حلقة متجهة للشرق فذلك يعني أن المريض سوف يشفى وهكذا[5].

أما في الأساطير، فلم تخلو هي الأخرى من الإشارة إلى عملية التطهير بالمياه ينصح رجل الطوفان الملاح بأن يأخذ جلجامش إلى الماء ليغسل في الماء أوساخه حتى يصبح نظيفاً كالثلج، وطاهراً من كل عيب، ثم أن النبات الذي سيجعل جلجامش خالداً موجود في المياه:

"سأفتح لك يا جلجامش سراً خفياً

أجل سأبوح لك بسر من أسرار الآلهة

يوجد نبت مثل الشوك ينبت في المياه

---

(1) فرحان –عبد، دور الآلهة والكهنة في طرد الشر والشيطان في العراق القديم، ص10.

(2) Wilcke, C., Literatur, Politik und Recht in Mesopotamien, Harrassowitz Verlag - Wiesbaden, 2003, p325.

(3) سيرنج، الرموز في الفن – الاديان – الحياة، ص254.

(4) يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص267.

(5) المرجع نفسه، ص254. أيضاً:

McIntosh, Ancient Mesopotamia, P219.

إنه كالورد شوكه يخز يديك كما يفعل الورد

فإذا ما حصلت يداك على هذا النبات وجدت الحياة الجديدة" [1].

فضلاً عن ذلك فقد أطلق اسم ماء الحياة "مي بلاطي" على الماء المقدس المستخدم في طقوس التعاويذ والعزائم وقراءة الأدعية وعمليات الرقى، وذلك بسبب أهميته الكبيرة في عملية الشفاء، فهو حسب اعتقادهم يحيي الموتى[2]، ويطهر المرضى من الجنائب، وينجيهم من الأمراض، ويطرد الأرواح الخبيثة، ويجدد حياتهم، وبناء على ذلك فقد كان أيا هو رب الشفاء، ورئيس آلهة التعاويذ والعزائم، الذين ينوبون عنه في عملية التعاويذ، ولا سيما الطبابة عن طريق التعاويذ [3].

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن اعتماد سكان بلاد الرافدين على الماء في الطب ما هو إلّا انعكاس واضح لدوره في عملية الشفاء، ففي مملكة ماري التي عدت عاصمتها من المدن المتطورة في الطب، حتى انهم أرسلوا أطباء لبلاد أخرى، وعرفوا الحجر الصحي، واستخدموا العقاقير الدوائية، اعتمدوا التجربة سبيلاً لأي استخدام دوائي[4]، ونستنتج أن التجارب الطبية التي قاموا بها، كان الماء أساساً لها، من حيث استخدامه بالمزيج، أو عبر الحفاظ على النظافة كما أسلفنا، وغالباً ما كان الطب العملي الذي يشخص المرض ويعالجه جسدياً، يغلف بطقوس سحرية لمعالجة المريض نفسياً[5].

ثانياً: الماء عقوبة إلهية:

1. الطوفان الرافدي:

تعد قصة الطوفان من القصص الدينية المتناقلة بين الشعوب، وتعبر عن الغضب الإلهي على البشر، وإحدى وسائل العقاب الجماعي من قبل الآلهة، وقد كان الطوفان في بلاد الرافدين ذو أهمية بالغة في الثقافة الرافدية القديمة حيث ورد ذكر قصة الطوفان في المصادر السومرية والأكادية والبابلية، وتتلخص القصة في أن البشر قد زاد عددهم وكفروا بالآلهة وارتكبوا المعاصي، مما أزعج الإله إنليل الذي قرر عليهم الطوفان، فدمرهم،

---

[1] جميل، الطوفان في المصادر، ص78 – 81.

[2] توفيق؛ قيس، العلوم والمعارف في حضارة وادي الرافدين ووادي النيل في العصور القديمة، آشوربانيبال للثقافة، ط1، 2018، ص31.

[3] الأسود، القوى الروحية، ص 51–52.

[4] كحلة؛ نزار، الصحة ومفهوم الحجر الصحي في مملكة ماري القرن 18 ق. م، مجلة المعرفة، ع606، آذار 2014، ص139– 142.

[5] فرحان –عبد، دور الآلهة والكهنة في طرد الشر والشيطان في العراق القديم، ص8.

كما نجد في ملحمة أترخاسيس[1]، أن الله قد أرسل الطوفان للحد من الكثافة السكانية الكبيرة، حيث أن ميل الإنسان للشر وعدم إطاعته للآلهة سبب غضبها، فارتأت معاقبته عبر الطوفان[2].

يظهر من خلال دور كل إله من آلهة الثالوث المقدس (أن – إنليل – إنكي) بأن الترتيب للعقاب ارتبط بهم بشكل مباشر، حيث أن الآلهة كانت قد اقترعت فيما بينها لتوزيع الأدوار فاعتلى الإله أنو السماء ونزل أيا إله الحكمة إلى أبسو المحيط المائي الذي تصوره سكان وادي الرافدين، تحت الأرض، وأصبحت السيطرة على المياه العميقة بيده "أنكي"، وهنا ظهر دوره المحوري في قصة الطوفان، وجعله رجل الطوفان ينجو، فقد عرف الإله أيا أنه متعاطف مع البشر، ورفض بشدة فكرة إحلال الجفاف الشديد للقضاء على البشر، الذي فرضه إنليل قبل الطوفان، إذ سمح للمياه السفلى بالتدفق عندما اشتد الجفاف، ولكن إنليل علم بما يفعله أيا وقرر أن يجعل المياه التي سمح بتدفقها أيا مياهاً غزيرةً جداً لتحدث الطوفان[3].

لم يستسلم الإله أيا لقرار إنليل بإحداث الطوفان، لكنه لم يكن بإمكانه معارضة الآلهة أو إفشاء أسرارها، لكنه حذر أتراخاسيس من الخطر المحدق بالبشرية، بشكل غير مباشر وذلك بأن جعله يرى حلماً، ولكن اتراخاسيس لم يعرف تفسيره فذهب لأيا ليفسره له، مما جعل أيا يخاطب كوخ اتراخاسيس:

"قد قلت ماذا علي أن أفعل؟

فعليك الانتباه إلى الخبر الذي سأقوله لك

يا جدار استمع إلي

يا جدار القصب انتبه إلى كلماتي

هدم بيتك وابن سفينة

انبذ المال وانقذ النفس"[4].

---

[1] أترخاسيس: بطل الطوفان السومري، وتعني الكلمة "الذي وضع يده على العمر المديد"، كون الآلهة بعد الطوفان منحته حياة خالدة، أما أوتنابشتيم فهو بطل القصة البابلية ويعني "الذي رأى الحياة" والاسم مشتق من إنقاذه للحياة على الأرض، وفي ملحمة أتراخيس فإن الاسم يعني "الواسع الحكمة". قاشا، تاريخ الفكر في العراق القديم، ص180.

[2] دالي؛ ستيفاني، أساطير من بلاد ما بين النهرين، ترجمة: نجوى نصر، بيسان للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1997، ص25.

[3] علي، الطوفان في المراجع المسمارية، ص45 – 46.

[4] المرجع نفسه، ص71 – 72.

ولعل من المهم إظهاره، حسب أساطير بلاد الرافدين، إن الإله أيا قد برر فعلته للبشر، بأن أحد مزالج[1] البحر قد كُسر، وأن حراس البحر قد قتلوا، وتدفقت أعداد هائلة من الأسماك، ورغم ذلك فقد وضع أيا بموقف صعب، فبدل أن ينقذ السكان من الجفاف الشديد، قد أغرقها بطوفان عظيم[2]، حيث كان معروف لدى الناس بأنهُ يقف في صفهم، ويعطف عليهم، ويرحمهم، ولا يمكن أن يقوم بعملٍ فيه ضرر عليهم.

بعد ذلك جعل أيا "اتراخاسيس" يبني سفينة من سبعة طوابق، ارتفاعها 60 متراً وكذلك طولها، إذ كان الغرض منها العوم، وليس الإبحار، واستيعاب أكبر عدد ممكن من الناس مع الكثير من المؤن، كما حملت بذرة كل الكائنات الحية [3]، ويبدو من خلال النص أن من دخل سفينة النجاة كان مختاراً بعناية ففي ملحمة جلجامش كان رجل الطوفان اسمه "اوتا نبشتم" إذ أمره الإله أيا بقوله:

"ترقب الوقت المحدد الذي سأخبرك بك، ثم ادخل السفينة وأغلق بابها، احمل فيها شعيرك وامتعتك واموالك، وزوجتك وصاحبك وقريبك والعمال الماهرين، واني سأرسل إليك حيوان السهل وكل حيوان وحشي، يأكل العشب في السهل، وانها سوف تنتظر عند بابك"[4].

تقول ملحمة جلجامش أن رجل الطوفان "اوتا نبشتم" أنه وبعد نهاية الطوفان خيم السكون على المكان، وتحول البشر إلى طين، وفي تلك الأثناء استقرت السفينة على جبل نصير[5]، لتمضي ستة أيام والجبل ممسك بالسفينة مانعاً إياها من التحرك، وفي اليوم السابع من استقرارها، وليتأكد رجل الطوفان من أنه يستطيع فتح باب السفينة والخروج بأمان، أرسل الطيور تباعاً علها تجد مكاناً ينحسر فيه الماء لتحط عليه، وعندما ذهب الغراب ولم يعد، حيث وجد موضعاً يحط عليه بعد انخفاض منسوب المياه وبدء انحسارها، فتح رجل الطوفان باب

---

[1] المزلاج: هو قطعة معدنية أو خشبية يُسند فيها الباب منعاً لفتحهِ، ويفتح المزلاج باليد، عكس المغلاق الذي يحتاج مفتاح لفتحه، والمقصود بمزلاج البحر هو المانع لانفتاح السد الذي فتح فحصل الطوفان. الباحث.

[2] علي، الطوفان في المراجع المسمارية، ص64 – 65.

[3] الهاشمي؛ رضا، الملاحة النهرية في بلاد وادي الرافدين، مجلة سومر، مج37، ج1–2، بغداد، 1987، ص45–47.

[4] علي، الطوفان في المراجع المسمارية، ص81 – 82.

[5] جبل نصير أي "الخلاص"، حيث ورد اسم الجبل في حوليات الملك آشور بانيبال، وموقع الجبل جنوب نهر الزاب، وهو من روافد دجلة. قاشا، تاريخ الفكر في العراق القديم، ص58.

السفينة بعد أربعة عشر يوماً من دخوله إليها، فسكب الماء المقدس على الجبل، وبدأ بإعداد الطعام قرباناً للآلهة[1].

واستناداً لقصة الطوفان وانعكاساً لها، نلاحظ قدسية أعالي الجبال في كثير من البلدان والمناطق، إذ اتخذها الأنبياء والصالحون ورجال الكهنة المتعبدين ملاذاً آمناً لهم[2]، ربما يعود ذلك إلى أنها رمز من رموز قصة الطوفان، حيث أنها المكان الآمن الذي لم تصله مياه الطوفان، كما أنها تعد بمثابة حصن مرتفع يصعب اقتحامه او الوصول إليه بسهولة ولا سيما من قبل الأعداء.

بعد ذلك اجتمع الآلهة، وتأخر إنليل في الوصول، حيث وقع اللوم عليه في هذه الكارثة البشعة التي أحلها الآلهة بالإنسان، وبعد دفاع أنكي عن نفسه وإقناع إنليل بأنه مخطئ في قراره إحداث الطوفان، صعد إنليل على ظهر السفينة، ومسح جبين "اوتا نبشتم"، وألهّه وأرسله للعيش وزوجته عند فم النهر، في دلمون مكافأة له [3]، حيث بعد الطوفان لم يبقَ من البشر سواهما [4].

يظهر من خلال ملحمة جلجامش رأفة أيا بالبشر، حيث أنّب إنليل على فعلته:

"أنت يا أحكم الآلهة، أيها البطل، كيف تحدث الطوفان دون روية، على الإثم وزر إثمه، وعلى المعتدي وزر اعتدائه، كن رحيماً... ليت أسد هب وقلل من بني الإنسان، بدلاً من أن تأتي بالطوفان... ليت مجاعة هبت وقلل من بني الإنسان، بدلا من إحداث الطوفان... ليت طاعوناً هب وقلل من بني الإنسان، بدلاً من إحداث الطوفان"[5].

يظهر من النص السابق أن الأمر بالنسبة للآلهة هو تخفيض عدد السكان، وليس إفناء الجنس البشري الذي يخدمهم، فالفكرة الأساسية، حسب أساطير بلاد الرافدين، من خلق الإله للإنسان، هي تحمله أعباء الأعمال الشاقة والقيام بخدمة الآلهة من خلال الحراثة والزراعة وغيرها من الاعمال التي كان يقوم بها الآلهة الصغار.

---

[1] علي، الطوفان في المراجع المسمارية، ص93 – 96.

[2] العلي؛ بلال، قصة الرمز الديني: دراسة حول الرموز الدينية ودلالاتها في الشرق الأدنى القديم والمسيحية والإسلام وما قبله، 2011، ص102.

[3] علي، الطوفان في المراجع المسمارية، 99 – 101.

[4] فيروللو؛ شارل، أساطير بابل وكنعان، ترجمة: ماجد خير بك، مطبعة الكاتب العربي، 1990، ص27.

[5] مهران؛ محمد، تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص75.

لم يقتصر استخدام الماء على عقاب الآلهة الجماعي من قبل على قصة الطوفان إذ نجد في إحدى كتابات الملك آشور – أخ – ادن "اسرحدون" (680 – 669) ق.م، بخصوص سكان بلاد سومر وأكد "**في عهد الملك السابق حدثت أيام شر في بلاد سومر وأكد، الناس الذين كانوا يسكنون شوانا[1] انقسموا إلى فرق وارتكبوا تمرداً وهجروا آلهتهم وتخلوا عن عبادة آلهتهم وذهبوا إلى بلدان أجنبية. حتى كنوز إيساكلا معبد الآلهة انتهكت حرمتها وبسطوا أيديهم وبذروا الفضة والذهب والأحجار الكريمة في بلاد عيلام كمدفوعات. سيطر الغضب سيد الآلهة مردوك ودبر خطط شريرة لقهر البلاد وتدمير سكانها. قناة أرخت النهر الوافر، النهر القوي ارتفع سيل فيضانه مثل الطوفان جلب مياهه وصبها في المدينة وجعل مظهرها مثل أطلال من الركام، الآلهة التي كانت تسكن بداخلها هربت مثل الطيور وذهبت إلى السماء. الناس الذين يسكنون بداخلها هربوا إلى أجزاء أخرى ووجدوا الملاذ في بلاد غربية**"[2].

نجد في النص السابق أن الطوفان هو حالة متكررة لكل من يعصي الآلهة ويهجرها، رغم وجودها بينهم، وربما يقصد بها التماثيل التي تجسد الهالة الروحية للآلهة التي هربت إلى السماء بعد طوفان النهر على المدينة حسب النص، أما الذي يبدو من خلال النص فإن السكان شعروا بأن منسوب النهر في ازدياد مستمر وبأن المدينة ستغرق بالمياه عاجلاً أم آجلاً، وربما يعود ذلك إلى تغيير النهر مجراه عاماً بعد عام، مما جعل السكان ينهبون المدينة والمعابد الثمينة قبل رحيلهم عنها إلى بلاد عيلام كنوع من أنواع الهجرة، وهذا التفسير ربما نجده منطقيّاً أكثر.

وذكرت قصة الطوفان التوراتي أن سبب الطوفان هو معصية الله والشك بنبيه نوح، وحدث الطوفان نتيجة التقاء المياه الهاطلة من السماء وهي بصيغة المذكر، بالمياه الأنثى المتدفقة من الأرض[3].

أما الطوفان عامة فقد اعتقد الناس أنه غضب الآلهة، وإن انحسار مياه الطوفان هو نصر لآلهة فتية [4]، أي: إن الإنسان دائماً على حق عند خلافه مع الآلهة رغم العقاب المميت له!

---

[1] شوانا: أحد أحياء مدينة بابل ويقع جنوبها. إيدين – نابو وقطاع معابد نينورتا وعشتار

[2] سعيد؛ صفوان، المعابد في المملكة الآشورية الحديثة بين الحرمة والتدنيس، مجلة آداب الرافدين، ع59، 2011، ص3.

[3] مهران؛ محمد، دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، ع5، 1975، ص414.

[4] مجموعة مؤلفين، حضارة العراق، ج1، ص209.

كان ارتفاع منسوب المياه وغزارتها غير مناسب للدورة الزراعية [1]، وكما كان السكان يعانون من الفيضانات، عانوا أيضاً من شح المياه وعدم وفرتها، لذلك استخدمت مياه الفيضان في تعبئة السدود والأحواض[2]، ورغم ذلك قد لا يحالف الفلاحون الحظ في السيطرة على تغيير النهر لمجراه بعد طوفانه بشكل انسيابي[3].

2. ملحمة جلجامش ورجل الطوفان:

تنعكس قصة الطوفان والحياة الخالدة على الأجيال اللاحقة، ولا سيما الملوك الساعين إلى المجد الأزلي والخلود، وبعد أن يقرر جلجامش الذهاب إلى السماء طالباً للخلود، ترسله الآلهة إلى رجل الطوفان أوتا نبشتم ليمنحوه حياة خالدة أيضاً، ولكن انغماس جلجامش لسبعة أيام متواصلة بالنوم، فإنه يخسر الخلود، ثم يطلب أوتا نبشتم من الملاح الذي جلب جلجامش، بعد أن لعنه، أن يأخذه ليستحم بالماء، وأن ينقع جسده بالماء ليتطهر، وهنا يهب رجل الطوفان جلجامش نبتة الشباب قبل أن يعود من حيث أتى، ولكنه يفقدها خلال رحلته [4].

تشير النصوص دائماً، حتى في الأساطير، إلى أن الاستحمام بالماء المقدس، الماء الطاهر النقي، يكفر عن الإنسان ذنوبه التي اقترفها، ويطهره، ويجعله مؤهلاً للشفاء والمباركة والخلود.

وعلى إثر ذلك اتخذ السومريون من حادثة الفيضان عاملاً تاريخياً مهماً، قسمت على أثره وثيقة الملوك السومرية إلى ملوك ما قبل الطوفان وملوك ما بعده [5]، أي: إن الطوفان كتب به التاريخ.

3. ماء الموت:

ليس كل ماء يحيي، بل إن هنالك ماءً يميت حسب الأساطير، ففي أحد النصوص الاكادية "**لقد أطعمتني من عقاقيرها غير الجيدة، لقد أعطتني لأشرب جرعتها التي تحرم الحياة، وقد غسلتني في مياهها القذرة القاتلة، يفركني بزيتها الشرير المدمر**"[6].

---

[1] سمار؛ سعد – نهير؛ علي، مبررات العقاب الإلهي في العراق القديم، مجلة كلية التربية/ واسط، ع12، 2012 ص150.

[2] كلينكل؛ هورست، حمورابي البابلي وعصره، ترجمة: محمد وحيد خياطة، دار المنارة، دمشق، 1990، ص156.

[3] Podany, A., Ancient Mesopotamia – Life in the Cradle of Civilization, The Teaching Company, the United States of America, 2018, p26.

[4] حنون؛ نائل، ملحمة جلجامش، دار الخريف، ط1، دمشق، 2006 ص60 – 62.

[5] الناضوري، رشيد سالم: دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق الأدنى القديم – مصر وبلاد الرافدين والإقليم السوري والهضبة الإيرانية، المكتب المصري الحديث، الاسكندرية 1958م، ص28.

[6] Geller, M., Ancient Babylonian Medicine Theory and Practice, p181.

كما يروي أحد النصوص أن جلجامش قد قاوم مياه الموت عبر صنعه لقارب من أخشاب متينة ليصل لرجل الطوفان، إذ خاطبته المياه محذرة لكنه أصر على العوم فيها [1]، إن كل راغب بالخلود عليه اجتياز مياه الموت [2].

ويبدو أن المياه المميتة يقصد بها الماء الملوث والماء المالح، وكلاهما غير صالح للشرب أو الاغتسال، فضلاً عن مياه المستنقعات الموحلة والمليئة بالعوالق.

ثالثاً: دور الماء في إدانة المتهم أو إثبات براءته:

1. الامتحان النهري المقدس "المحنة":

لم يكن يوجد في بلاد الرافدين نظام قضائي يتولى التحقيق، أو يكشف الأدلة عبر إجراءات التحقيق، واعتمد في أخذ الحق وضبط سلوكيات المجتمع على قوانين صارمة، وفي جزء منها مبهمة وغير واضحة، هدفها النهائي استتباب الأمن ووضع حد للنزاعات، فمن طرق تثبيت التهمة على أحد المتهمين أو نفيها، هي محنة النهر [3].

إن حقيقة الاختبار النهري أنه يشكل حالة انهيار معنوي للمتهم، فضلاً عن أنه يقوم برمي نفسه بالنهر، سواء كان يعلم السباحة أم لا، وغالباً ما كان المذنب يعترف قبل أن يرمي نفسه، وفي هذا الاختبار يطلب الكاهن، المسؤول عنه، عبر تعويذة خاصة من الآلهة إثبات براءته أو تثبيت إدانته [4]، حيث ارتبط مفهوم الاختبار النهري بشكل مباشر بالإله أنكي، فهو ملك الأقدار، لذلك فمصير من يرمى بالماء يحدده أنكي[5].

لجأت المحاكم "الصورية" القديمة للامتحان النهري المقدس لكشف إثم الشخص في غياب الأدلة على جرمه، مما يجعل الشخص المتهم يخضع لهذا الاختبار[6]، حيث يُؤمر بإلقاء نفسه في النهر المقدس، فإذا غرق ومات يكون مذنباً، وإن نجا ولم يصب بأذى فإن النهر المقدس قد برأه من التهمة، وفي حال رفض المتهم أن يلقي

---

(1) Conklin, K., Ancient civilizations – China. India. Africa. Mesopotamia, Teaching, the U.S.A., 2006, p81 – 82.
(2) King L., Legends of Babylon and Egypt in relation to Hebrew Tradition, Oxford University Press, London, 1918, p39.
(3) الموزاني، الاختبار النهري، ص497.
(4) المرجع نفسه، ص499.
(5) جليل؛ لقاء، اللعنات في النصوص الملكية البابلية، مجلة جامعة تكريت، مج 18، ع3، 2011، ص 269.
(6) Orlin, L., Life and Thought in the ancient near east, p21.

بنفسه في النهر فتوجه له أصابع الاتهام بأنه الجاني، ويعود ذلك إلى الاعتقاد بأن الآلهة التي وضعت هذه المياه بالنهر هي التي تعلم حقيقة الأمر.

يظهر من خلال نصوص الرسائل كيفية تنفيذ الامتحان النهري المقدس، ومنها هذا النص "**إلى سيدي... خادمك مِبثُم يقول: حول فريق الغطس (شوب –رام، وهاياسُم) اللذين أرسلهما سيدي أرسلت وكلاء موثوقاً بهم مع فريق الغطس وقاموا أولاً بجعل المرأة تغطس ومن ثم خرجت، وبعد ذلك جعلوا الرجل المُسِن يغطس وقد خرج، وامرأة ثانية غطست وخرجت، فيما المرأة الثالثة غطست ولم تخرج (غرقت)**"، وكان الأمر يتم على درجة عالية من المسؤولية وبحضور مسؤولين كبار في الدولة يرسلهم الملك لهذا الغرض، بالإضافة لحاكم الولاية أو مسؤول منها، وقوات عسكرية ترافقهم، ربما أشخاص من الأمن "**إلى سيدي خادمك مِبثُم يقول: إنه جاءت قوات يمخد وأخذت فتاة وصبي وامرأة لتنفيذ حكم الغطس في النهر..**"[1].

وفيما يخص مكان الاختبار، فقد أشير إلى عدة أماكن أجري فيها الاختبار النهري، ففي مملكة بابل اختيرت منطقة في ماري قرب هيت، حيث مصادر القار التي أعطت للمكان هيبة ورهبة مطلوبة لطقس كهذا[2].، أيضاً على روافد ديالى والخابور، وفي الاعتقاد إن هذه الروافد تتصل بنهر العالم السفلي "خُبر"، وفي عصر الملك نبوخذ نصر الثاني، أجري الاختبار النهري عند مدينة سيبار على الفرات، ولتنفيذ عملية إلقاء النفس بالماء كان يختار حافات النهر الحادة أو الشلالات أو المناطق الوعرة فيه، وبعد ذلك يسبح لمسافة قصيرة تحت الماء، وفي حال استطاع الخروج سالماً تعلن براءته، أما المُتَهِم او الذي وجه التهمة فإنه يقضي ليلته في مكان مخصص يتطهر فيه بالماء ويرتل بعض التراتيل الخاصة التي يأمر بها الملك، وسط حراسة رجاله، وعند الفجر ينفذ الاختبار، وترفع النتائج بتقرير مفصل للملك، وكان المتهم الذي سيلقي بنفسه بالنهر يلبسونه لباس الصوف بلون أحمر[3].

---

[1] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص160 – 164.

[2] الموزاني، الاختبار النهري، ص501.

[3] المرجع نفسه، ص502 – 503.

واللافت في الأمر أنه يحق للشخص أن يتبرع أحدٌ ما عنه في الغطس بالماء، لكنه لا يعفي المتهم من تهمته إذا أثبت النهر المقدس أنه جانٍ، وكمثال فقد أقسمت والدة فتاة بدلاً عنها بأنها بريئة من السحر، وتبرعت بالغطس وغرقت هي وابنتها، حيث لم تسقط التهمة عن الفتاة إذا غرقت أمها، فالمتبرع لا يمحي إثم المتهم [1].

أما إذا كان المتهم من طبقة النبلاء، فقد كان يدفع مبالغ معينة لتأمين بديل، ويمكن للزوجة أن تقوم بالاختبار بدلاً عن زوجها، والأم بدلاً عن بنتها، كما سبق ذكره، كما يتم استبدال الأماكن أو المدن بأشخاص ينوبون عنهم عند تحديد الأراضي وفض النزاعات حولها، حيث ورد بأحد النصوص "**هكذا اتحدث إلى سيدي هذا (ما يقوله) ميبتوم خادمك، بخصوص الأشخاص الذين يجب عليهم أن يقفزو بدلاً من شوبرم وخايا سومر الذين أرسلهم سيدي، لقد أرسلت معهم مجموعة من الرجال يتميزون بالثقة والأمانة. وقد بدأوا بجعل سيدة تقفز (في الماء) وقد خرجت بعدها فقد جعلوا رجلاً عجوزاً يقفز (بالسباحة) 90 (وحدة قياس) تماماً في وسط الإله (النهر)، وقد اجتاز (الاختبار)، وخرج، وبعده دفعت امرأة ثانية لتقفز وقد خرجت أيضاً، وبعدها امرأة ثالثة تزوجها النهر (أي غرقت)، ويكون الوضع بأن الرجل العجوز فقط هو من اختبر لمسافة 90 وأن النهر تزوج المرأة الثالثة، أما أهل خايا سومر فقد رفضوا السماح للسيدات الثلاث الباقيات بالقفز في النهر، حيث اعترفوا بأن (المدينة والأرض ليست من أملاكنا)**" [2] ويتابع النص أن أحد كبار السن طلب عدم رمي المرأة الثالثة نفسها في النهر وبأنهم سيقدمون وثيقة تنازل عن الدعوى الخاصة بالمدينة والأرض، وبأنها ملك أهل شوبرم إلى الأبد، وبذلك حلت القضية، بعد أن فشل النهر في إعطاء إجابة واضحة حيث عاش ثلاثة وغرقت امرأة من فريق واحد[3].

يظهر من خلال النص السابق أن الامتحان النهري المقدس استخدم في حالات الصالح العام، بغية حل الخلافات الجماعية، ونلاحظ أن اختيار الأشخاص لتلك المحنة كان ظالماً للنساء، رغم وجود رجل من بين الممتحن بهم، لكنه كان عجوزاً، وأيضاً أظهر النص نجاعة استخدام هذا الترهيب بجعل أهل المدينة يقدمون التنازل مكتوباً، إذ لا بد من معرفة الناس، ولا سيما كبار السن، بمظلومية هذا الاختبار، وعدم إيمانهم به، نتيجة

---

[1] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص164.

[2] الموزاني، الاختبار النهري، ص502 – 503.

[3] الأسود، القوى الروحية، ص 20.

لتراكم التجارب الفاشلة، ومنها ذك الاختبار، وبالتأكيد يعلم ذلك الحكام، ولكنهم ينهون الكثير من الخلافات المبهمة بأسرع وقت وبأقل التكاليف، معلقين حكمهم على شماعة الآلهة القابعة أسفل النهر.

أيضاً استخدم الغطس لإثبات أن الشخص الذي يوجه الاتهام للآخر صادق أو كاذب، إذ تذكر النصوص أن ملك كركميش (جرابلس السورية حالياً) أرسل رسالة إلى ملك ماري زمري (1775 – 1760 ق.م) ليم يخبره بإرسال شخصين للغطس في النهر، واحتجاز الشخص الذي اتهمهم، وأنه إذا أثبت النهر براءتهما سيعدم من اتهمهم زوراً، وإن غرقا فيأخذ أملاكهما[1]، "**الآن سآخذ هذين الرجلين إلى إله النهر، وإن متهميهما محجوزان هنا في السجن، ليأخذهما أحد خدمك الموثوق بهم إلى إله النهر، وإذا خرجا سالمين فأني سأحرق متهميهما بالنار، وإذا مات الرجلان فأني سوف أعطي بيتهما ومتعلقاتهما إلى متهميهما**" [2].

وحول كيفية الغطس، فلم يذكر إن كان مربوط اليدين أو لا، لكن حسب النصوص الشخص هو من يرمي بنفسه، أي أنه طليق دون تقييد، ومن اللافت أن هنالك طقوساً معينة تقام قبل ذلك بساعات ولا ينفذ الامتحان إلا مع بزوغ الفجر وبحضور الناس، وكان الشخص القائم على المحاكمة ممثل لإله النهر، وإن هذا الإله قابع بنهره يمسك المجرمين ولا يقترب من البريء، ومع كل هذه الإجراءات فقد اخرج النهر الجاني على أنه بريء، والبريء على أنه مجرم[3].

شكلت عقوبة رمي الأشخاص في المياه حيزاً مهماً من شريعة حمورابي، ولعلها خصصت للزناة والمغتصبين من الجنسين، وكان الرمي في مياه النهر في طريقتين، أولهما أن المرمي مقيّد، والأخرى طلق اليدين والقدمين، ويبدو أن ذلك يعود إلى الطقوس الدينية فيما يعرف بـ "الامتحان النهري المقدس" إذ يتطهر الجسد من الخطيئة عندما يغتسل في الماء، وإذا كبرت الخطيئة فيقيّد لتزيد فترة مكوثه في الماء وقد تفضي لتطهير الجسد وموت الروح، مما يزيل العار عن العائلة ويطهر شرفها، وفي كلتا الحالتين فإن الشخص الزاني أو المغتصب مصيره القتل إلا إذا تشفع له صاحب العلاقة ولا سيما الزوج[4].

---

[1] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص164.

[2] الأسود، القوى الروحية، ص 20.

[3] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص165 – 167.

[4] المرجع نفسه، ص157 – 159.

فصل النهر في الكثير من القضايا الحساسة، وأبرزها الزنى، مع أنه جار في ذلك على المرأة، كون أي شخص ممكن أن يتهمها بالزنى، وبموجبه تخضع لاختبار النهر، ومنها قضايا الميراث، حيث ورد في القوانين الآشورية مادة 25 "**إذا كانت امرأة تعيش في بيت أبيها وزوجها ميت، وأخوة زوجها لم يقتسموا (التركة) ولم يكن لها ولد، فلأخوة جوزها...، طالما لم يقتسموا التركة، أن يأخذوا الحلي المفقودة التي كان زوجها قد أعطاها (إياها) وعليهم أن يضعوا كل ما تبقى أمام الآلهة (و) يثبتوا (و) يأخذوا إله النهر أو القسم**"[1].

وفي قوانين حمورابي يخضع لهذا الامتحان من ارتكب جرم الزنا من كلا الجنسين، ومن امتهن بيع الخمر من النساء... المادة 129 حتى 155 ومادة 17[2]، ونستطيع إيجاز القضايا التي استخدم فيها الامتحان النهري المقدس خلال فترة الدراسة بالآتي:

- ✓ "إذا استلمت بائعة الخمر نقوداً بالوزن الثقيل ثمناً للبيرة بدلاً من استلامها حبوباً أو ... جعلت قيمة البيرة... أقل من قيمة الحبوب... فعليهم أن يثبتوا هذا... ويقذفونها في الماء (النهر)"[3].
- ✓ إذا اتهم شخص شخصاً آخر بالسحر، يلقي المدعى عليه بنفسه بالماء، فإن نجى فهو بريء ويعدم الداعي عليه، وإذا مات فيرثه من ادعى عليه [4].
- ✓ عالج الاختبار النهري كل ما لا يمكن إثباته وأبرزه السحر والشعوذة، وأيضاً يطبق الاختبار على المتهم، فإن أخذه النهر يأخذ الذي اتهمه بيته، وإن نجا يقتل من اتهمه ويأخذ المتهم بيته، فيما يبدو أنها مكافأة للإشارة للسحرة ومحاسبتهم.
- ✓ التجسس: في إحدى الرسائل الموجهة للملك زمري ليم (1779 – 1761 ق. م) ملك ماري من يتار آمي (1769 – 1766 ق. م) ملك كركميش، بأن شخصين متهمين بالتجسس، طلب منهما الخضوع للاختبار النهري، بالإضافة إلى حجز المدعى عليهما في سجن كركميش، وفي هذه الحالة إن أخذهما النهر فإن كل

---

[1] الموزاني، الاختبار النهري، ص506 – 507.

[2] الأسود، القوى الروحية، ص 21.

[3] رشيد؛ فوزي، الشرائع العراقية القديمة، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1973، ص 107.

[4] سليم؛ أحمد، دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم العراق إيران، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، ص55.

ما يملكوا من بيت وأملاك وعائلة تذهب لمن اتهمهم، وفي حال نجاتهم يعدم من اتهمهم حرقاً "... **فإذا سلم هذان الرجلان، فسوف أحرق الذين اتهمهما بالنار، وإذا ماتا فسأعطي عقارتهما إلى متهمهم...**" [1]

- ✓ التهمة بالقتل: حول التهمة غير المثبتة بالقتل، فإن المتهم يخضع لمحنة النهر [2]
- ✓ التهمة بالسرقة: في حال السرقة التي لم يعرف من قام بها، ففي نص يتحدث عن سرقة أشجار من بستان الملك وإنكار الخادم معرفته بالسارق، فتقرر أن يذهب به للنهر [3]

أخيراً فإن الاختبار النهري كفكرة يبدو أنه يعتمد على إخافة المتهم لكي يقر بالحقيقة، وأن الشخص الذي يعرف براءته لن يتوانى عن رمي نفسه في الماء [4]، ومن الجدير ذكره بهذا السياق أن النصوص تذكر تحايل المتهمين على الإله والنجاة من أفعالهم، وأن القضية تُحال إلى الملك أو لأداء القسم، وفي حال عدم الخوف من الآلهة يكون مصير المتهم الإعدام غالباً [5].

2. عقوبة القذف أو الرمي بالماء:

عد سكان بلاد الرافدين الرمي بالماء "عقوبة تطهيرية" تستخدم عندما تحدث أمور تعد من النجاسة، وبحاجة للتطهير سواء أترافق بالموت في الماء أم التطهير والنجاة، وكنقطة ضعف للمرأة فقد خصص لها عقوبة الرمي بالماء عند خروجها عن طاعة زوجها بشكل أو بآخر؛ فعلى سبيل المثال ورد في شريعة حمورابي "**إذا كانت امرأة غير محترسة وتخرج كثيرا (من بيتها) وتبدد بيتها وتحط من شأن زوجها، فإن هذه المرأة ستلقى في الماء**"[6]، بينما ذكر في المادة 129 من الشريعة "**إذا ضبطت زوجة رجل مضطجعة مع رجل ثان فعليهم أن يربطوهما معاً ويرموهما في الماء، فإذا رغب الزوج في الإبقاء على حياة زوجته، فالملك يبقي على حياة خادمه كذلك**"[7].

---

[1] الموزاني: الاختبار النهري، ص 509. وأيضا كلينكل، حمورابي البابلي وعصره، ص192.

[2] الموزاني: الاختبار النهري، ص508 – 510.

[3] المرجع نفسه، ص511.

[4] الشمري؛ طاب– عبد الرزاق؛ عدي، القضاء في العراق القديم، مجلة كلية التربية/واسط، ع11، 2012، ص9.

[5] الموزاني، الاختبار النهري، ص511.

[6] بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة، ص207.

[7] رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ص112. وأيضاً
Matthews, V., Marriage and Family in the Ancient Near east, 2003, P13 -14+ 28.

فضلاً عن ذلك فقد استخدمت العقوبة دون أي ذنب، فقط عندما يرتبط الأمر بسوء حصل مصادفة خلال أمر ما، وعلى سبيل المثال؛ كانوا في بلاد الرافدين يلقون بالجنين المنذر بالحظ السيء في الماء، ولكن ولما كان يشكله هذا الطقس من خطر على حياة الجنين، فقد كان يجوز استخدام حيوان بديلاً عنه [1]، أيضاً فإن وجود شهود أثناء الجريمة لا يعد أمراً نافذاً إلّا إذا تم تطهيرهم بالماء المقدس، وأدوا القسم المطلوب وبذلك يعفى المتهم من الاختبار النهري، ولا سيما عندما يتعلق الأمر بالسحر [2].

3. أشكال أخرى من العقاب بناء على استخدام الماء المقدس:

لم يقتصر الأمر على ما ذكِرَ سابقاً من وسائل الامتحان والعقاب باستخدام الماء، بل هنالك أشكالاً أخرى من العقاب باستخدام الماء ومنها:

- ✓ في حال الزنى ينهى الزواج، فعندما كان الرجل يشتبه بأن زوجته زانية يجلبها أمام الكاهن الذي يقوم بدوره بمزج التراب مع ماء مقدس، بعدها يكتب تعويذة ويغسلها بالماء وخليط التراب، ثم يقدمه إلى المرأة لتشربه، بعد أن تقسم أنها لم ترتكب الزنى، فإذا كانت بريئة فلن تتأذى، وإلا ستعاني من اللعنة التي شربتها، وبذلك وحسب القوانين الآشورية فإنها تقتل [3]
- ✓ ومما ورد في العهد القديم استخدام ماء اللعنة للمرأة المتهمة بالزنا، فإذا شربته ولم تصب بأذى فهي بريئة، وإن انتفخ بطنها وتورم وركها فإنها زانية [4].
- ✓ نافورة الأمير: يشير نص بابلي أن أميراً يملك نافورة ماء سحرية، تكشف الفتيات إذا كن عفيفات أم لا، حيث تتقدم الفتاة لتغسل يدها منها، فإذا كانت غير عفيفة يصبح لون الماء أحمر [5]، والسبب في هذا الاختبار كشف العذرية للفتيات اللواتي يريد الامير الزواج بإحداهن، حيث كان كل عام يتزوج بفتاة [6].

4. العقاب من أجل الماء:

جميع الخطايا تستلزم العقاب، وبالنظر إلى مكانة المياه فقد فرض على من يحجبه عن الآخر عقاباً، فمثلاً يستوجب العقاب من رفض قرض قناة السقاية ليوم واحد لمن يطلبها منه، وأيضاً من يرفض إعارة إناء من الماء

---

[1] بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة، ص186 – 187.

[2] العبادي؛ رامي، الشهادة والشهود في القانون العراقي القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة، إشراف: عامر إبراهيم، جامعة الموصل، 2011، ص26.

[3] إبراهيم، الطقوس الدنيوية في بلاد الرافدين، ص199 –200.

[4] الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، ص167.

[5] الأسود؛ حكمت، أدب الغزل ومشاهد الإثارة في الحضارة العراقية القديمة، دار المدى، ط1، دمشق، 2008، ص56.

[6] Cooper, J., Virginity in Ancient Mesopotamia, p94.

إذا طلب منه، سواء الأمر موجه إلى الآلهة أم إلى الناس، أيضاً يشمل العقاب الحالات التي تعتبر سهواً، وفيما يخص الماء نجد منها؛ إن كان أحدهم ماشياً في الشارع وتخطى فوق الماء المقدس المسكوب، أو داس ماء قذراً، أو نظر بعين الشك للماء المخصص لغسل الأيدي[1]، أو النظر لفتاة لم تغسل يدها، أو لمس رجل لم يغسل يديه كل ذلك من الخطايا التي يعاقب الآلهة عليها[2].

يتبيّن مما سبق؛ أن سكان بلاد الرافدين قد ميزوا بين الطهارة والتطهير، فاستخدمت المياه في العلاج كمطهر من الشر، وكانت الطهارة هي الأساس لعملية التطهير، وشفاء المريض من مرضه، سواء الجسدي أم الروحي، فالنظافة حاجة لا بد منها قبل القيام بأي عمل جراحي أو علاجي، كما أن دخول الماء في معظم الأدوية العلاجية جعل منه حاجة لا بد منها للعلاج، ولا سيما أن النظرة للمياه هي نظرة تقديس وتبجيل.

نسبة الأطباء أنفسهم إلى لإله أيا، والارتكاز على المعالجة بالماء سبيلاً للاستطباب، يعود للمعتقدات الدينية المقدسة له، كونه مني الآلهة، ومع ذلك لا ينكر بلاد الرافدين أن الماء لا يعالج كل الأمراض، ولا سيما ما يحتاج منها لعمل جراحي، أو استخدام الأعشاب، لكنهم جعلوا من الماء رمزاً تطهيرياً مساعداً، وربما تداخل عليهم الأمر فحاولوا مراراً علاج كل شيء بالماء، والتجارب المتكررة أثبتت أنه ليس علاج كل شيء.

يبدو أن الأغنياء كانوا يقدمون القرابين من أجل العلاج، على أنها بديل عنهم ليكتفي بها الشيطان، ولا شك أن ذلك يصعب على الفقراء وعامة الناس، ونستطيع القول إن عملية تقديم البدائل عامة، هي تأكيد لهذا التقليد إفادة للمعبد، إن لم تقدم قرباناً للإله وأنت صحيحٌ، ستقدمه وأنت مريضٌ.

لم تكن المياه بحد ذاتها أداة شفاء أو عقاب، فمياه النهر المقدسة التي تشفي المريض، هي نفسها التي تسبب الفيضان وتقتل البشر والزرع وتسبب الدمار، كذلك هي نفسها التي تقتل المتهم ولو كان بريئاً، وفيها يُعاقب الآخرون، إن هذا المزيج الفلسفي لدى بلاد الرافدين يشكل نبذة عن المفهوم الديني آنذاك، حيث أن الدين لديه المرونة بما يكفي ليشفي، ويقتل بالوسيلة نفسها.

---

[1] يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ص32.

[2] رشيد، حضارة وادي الرافدين، ص215.

نلاحظ أن جميع وسائل العقاب بالماء كان للمرأة نصيب منها، فقد كانت حقل التجارب لتحقيق رغبات الرجل، فالمجتمع الأبوي هو الذي كان يحكم آنذاك، وسلطة المرأة ضعيفة على الرجل.

الخاتمة:

كان للدور الرئيس الذي شغله الماء في معظم نشاطات سكان بلاد الرافدين جانب مهم في عملية تقديسه، فنهرا دجلة والفرات أحييا البلاد، التي قلما اعتمد سكانها على الآبار والينابيع بسبب اعتمادهم على هذين النهرين. وتبين أن الماء ارتبط بالفكر الفلسفي للعقيدة الدينية للسكان، ومثلت آلهته انعكاساً لسلوك النهر في مجراه الطبيعي، سواء الفيضان أم تغيير المجرى أم الشح، وأما فيما يتعلق بدوره في عملية الخلق، فقد خلص البحث إلى أن أهم سبب من أسباب تقديس الماء هو دوره في عملية خلق الكون ومن ثم الإنسان، فبالتكوين الطبيعي للإنسان نجد أن الماء هو الأساس في خلاياه، ومن المحتمل أن الرافدي اكتشف ذلك، بالإضافة إلى حاجة الإنسان إلى المياه أكثر من أي شيء آخر، في وسط تستطيع من خلاله جلب الماء بدرجات نقاوة مُختلفة ومن مصادر متعددة (النهر – الساقية – البئر)، فضلاً عن خَلق الماء للسهول الخصبة، واستخدامهُ للمواصلات والصيد، ذلك دعا واضعو الأسس الفكرية للدين في بلاد الرافدين بأن يجعلوا من الماء أساساً للحياة على الأرض، وعليه فإن الكون قد خُلق من الماء كما خلق النهران بلاد الرافدين.

كان للكهنة الدور الكبير في تثبيت فكرة قدسية المياه، ووضع شروط قدسيتها، من خلال مباركة الآلهة لها، أو من خلال التعويذة الدينية، أي أن الكهنة كانوا وسطاء ما بين الماء المقدس واستخدام الناس له، فعندما تبارك الآلهة الماء فسواء كان مصدر المياه نهر أم بئر فهي مقدسة، ولا شك أن جزءاً من سلطة رجال المعبد استمدوها من فكرة قداسة الماء مؤكدين عليها من خلال الأساطير وإدخالها في فكرة التطهير بالماء، ولا بد أن هذا الأمر ليس وليد أفكار ومعتقدات فحسب، بل وليد تجربة تتمخض عن عدم معرفة علمية بالجغرافيا وحركة المياه، وتفسير الظواهر الطبيعية من شح وفيضان، ونسبها جميعاً لقوى الآلهة، وفي ذلك وجهان للحقيقة، الأول هو عدم المعرفة الفعلية التي أدت إلى نشوء الآلهة ومعها سلسلة طويلة من المعتقدات الدينية الخاطئة، أما الوجه الآخر فهو أن رجال الدين علموا الحقيقة بوقت من الأوقات، ولكن دوام سلطتهم كان يقتضي عدم إظهارها، وهذا ما نلاحظهُ جلياً في الامتحان النهري المُقدّس، وعدم تصديق بعض الناس له.

ولم يكن الماء نعمة متواصلة، بل كان له جانب سلبي لم ينقص من أثر قداسته، على خلاف المتوقع، إذ كان أداة فاعلة لتحقيق الخوف من غضب الآلهة، وبالتالي حدوث الفيضان أو انقطاع الماء وشحه، وفي الحالتين

ضرر بالغ للسكان، لتتحول نعمة الماء إلى نقمة عندما يخالف الناس تعاليم آلهتهم حسب المُعتقد السائد آنذاك، وأصبحت فكرة الانتقام بالماء عاملاً إضافياً لتقديسه، وهذا ما أراده رجال الدين في ذلك العصر، إذ لم تكن الحريات الفردية أو الجماعية اتجاه المُعتقد موجودة بالفعل، فكان كل خروج عن المُعتقد يتطلب استغلال أي حادثة طبيعية كالفيضانات على أنها عقوبة إلهية تستوجب تقديم القرابين للمعبد، والتكفير عن الذنوب، وفي هذه الحالة يبقى المعبد هو المسيطر على الاقتصاد والناس.

وسواء كان الماء نعمة أم نقمة نستطيع الإجابة عن السؤال الأبرز في البحث: هل فعلاً أثبت الماء قوته إيجاباً وسلباً؟ إذ نستنتج من خلال طيات البحث أن الأمر نسبي، حتى إن احترام الناس للآلهة نسبي، وكلٌّ حسب قناعته، ومما جعل فكرة الماء المقدّس تشغل حيزاً مهماً في الكتابات والرسوم الأثرية إذ إن الطبقة الحاكمة والدينية هي التي تبنت الفكرة وبنت عليها المعتقد، ولم يصلنا من فئة النبلاء إلّا اليسير من النصوص، أما عامة الشعب فنادراً ما علمنا رأيهم ومعتقدهم إلّا بطريقة غير مباشرة من خلال النصوص الخاصة بالملوك والكهنة، لذلك لا يمكننا الجزم بمدى الإيمان بقوة الماء وتأثيره، ولكن دخوله في المجال الطبي والتركيبات الطبية أيضاً أعطاه نوعاً من القدسية لدى الناس، حيث لا يمكننا أن نأخذ نتيجة أي بحث علمي أكاديمي بناء على ما وصلنا من نقوش الفئة الحاكمة، ومن الممكن القول إن قدسية الماء هو التقليد الاقوى كلما عُدنا بالزمن إلى الوراء، ومع فترات ضعف رجال الدين وقوّة العلم ولا سيما الجغرافيا، بدأت السلطة الدينية بالاضمحلال، ومعها قناعات الناس بما قد أُسس عبر آلاف السنوات، ولكن كل ذلك ببطء لا يمكن تغطيته بالحيّز الزمني للبحث.

ونلاحظ من خلال البحث الفرق الواضح بين الطهارة والتطهير، وقد خلط الباحثون في تاريخ بلاد الرافدين بين المصطلحين، وجعلوا التطهير والطهارة في خندق واحد من خلال هذا البحث نستنتج أن التطهير هو تطهير النفس من شرور الأرواح، أي هو علاج نفسي للمريض بغية مساعدته على الشفاء من مرضه النفسي أو الجسدي، أما الطهارة فهي الاغتسال لتحقيق النظافة، سواء أكان ذلك بطقوس وتعاويذ أم بدونها، وهي من أساسيات الحياة اليومية التي أكدتها الأساطير والمعتقدات الدينية، ومن الممكن أن أحد أهم أركان الدين آنذاك هي

النظافة والاغتسال، وإن تصوير عملية الاغتسال بالماء المُقدسة يجعل من الأمر أكثر احتراماً وقدسيّة لعملية النظافة الشخصية وتشجيع مباشر عليها.

نستطيع أن نؤكّد من خلال الدراسة أن تصوير المياه من خلال الفن كان لهُ أكبر الأثر في إيصالنا إلى بعض تفاصيل الحياة الاجتماعية، ودور المياه فيها، وكان الفن في بلاد الرافدين مرآة عكست المعتقدات الدينية التي كان يؤمن بها سكان بلاد الرافدين، فمن خلال المشاهد الفنية على الاختام والرسوم الجدارية، نجد أشهرها قد مثل الإله أنكي والإناء الفوار إضافة إلى مشاهد سكب الماء المقدس، ومع ذلك لم تكن هذه الأمور كافية لتشكيل صورة وافية عن السكان وتقديسهم للمياه، بل اقتصرت على دور الملوك والكهنة والآلهة في ذلك، فالملك كان لا بد له من احترام قدسية المياه طالما تدخل في عملية تنصيبه على العرش، فالكهنة هم المسؤولون بشكل مباشر عن أعلى المناصب في الدولة، ومن خلال مباركتهم لها تأخذ صفة الشرعية، وتأخذ جميع الطقوس الدينية طابعاً سياسيّاً صارماً.

نتائج البحث:

1. نجد أن انعكاس قدسيّة الآلهة على الماء كان بسبب أهميتهُ في حياة السكان، مما نتج عنه معتقدات دينية تُحافظ على الماء، وترفع من مكانتهُ، ولطالما كان القدماء يجعلون لكل شيء إلهاً، فإنهم خصوا المياه بأحد آلهة الثالوث المُقدّس، ووصفوه بأنهُ أكثر إله مُقرّب من البشر، آخذين صفات المياه حسب وجودها الطبيعي لتصبح صفات الإله أيا، ولا سيما من النواحي التي تحكم الطبيعة بالغضب (الفيضان) والرأفة (الانسياب)، وغيرها مما نجدهُ عند مراقبة مجرى مائي كنهري الفرات ودجلة أو غيرهما من الأنهار.
2. نلاحظ أن ارتباط الماء بقصة خلق الكون والإنسان جعل من قدسيتهِ عاملاً لا شك فيه، ولا سيما في ظل الديانة الرافدية القديمة، حيث إن كل ديانة لها أسس تقوم عليها، وهذه الأسس مأخوذة من المحيط الجغرافي أولاً، ولطالما كانت مياه الأنهار هي ما أحيت هذه البلاد فلا شك أنها مُقدسة، فهي التي جلبت معها الطمي ومن ثمَّ الخصوبة، ووفرت للسكان الغذاء سواء من خلال الزراعة أم الصيد، كما كان لاستخدام النهر كوسيلة نقل دور في التجارة وتنشيطها.

3. نجد أن تنظيم عملية استهلاك المياه والإشارة إلى مصادره المقدسة، والأماكن التي يجب أن يُجلب منها، يوضح أهمية المعتقدات الدينية في تنظيم السلوك البشري في المجال الصحي، فلا شك أن بعض مناطق الأنهار ماؤها عَكِر أو غير صالح للشرب بسبب نسبة الترسبات فيه، وبعضها الآخر ملوث، فلا بد من الإشارة إلى المصادر النظيفة، على أنها مصادر مياه مقدسة، ويبدو أن الأمر لا يحتمل التعميم بالمطلق، فربما في مناطق كثيرة من البلاد احتكر الكهنة ورجال السلطة مناطق المياه النقيّة بحجة الاختبار النهري المقدس أو الطقوس الخاصة بالمعبد والقصر، وهذا ما نرجحهُ، ومن وجهة نظر أخرى أن النهر خلال مجراه قد خلق أماكن متفاوتة الغزارة وفقاً للانسياب أو الانحدار، جاعلاً من مائه صافياً أو عَكراً حسب المنطقة.
4. يتبيّن من خلال هذا البحث أن العلاج بالماء المُقدّس هو العلاج النفسي في يومنا هذا، وإن عملية إقناع المريض بأن رشهُ بالماء، أو غطسهُ فيه، على سبيل المثال، سوف تشفيه يجعل من الماء ورهبة الكهنة دور حقيقي في العلاج النفسي؛ لذلك قسمت العلاجات إلى جراحية وداخلية ونفسية، وكانت تُعطى الأدوية المختلفة، وتمزج غالبيتها بالماء كعامل أساسي ليتم تركيب الدواء، وفي طبيعة الحال نستطيع أن نستنتج أن الأطباء ما هم إلّا كهنة بدرجة معينة، أو أنهم يعملون في ظل المعبد وفقاً للرؤية الدينية والاستناد على أنهم أبناء الإله أيا.
5. استغل الكهنة ورجال المعبد حاجة السكان للشفاء ليقوموا ببناء اقتصاد المعبد عبر القرابين التي تُقدّم له مقابل طرد الكهنة للشيطان ومعاقبتهُ، وغالباً ما استخدم الماء المقدس في هذه العملية، ويبدو أن هذا العلاج الصوري ينطبق على الحالات التي يعجز الأطباء عن حلها، حيث إن هذا الأمر ما زال موجوداً حتى يومنا هذا، فعندما يعجز الطب عن علاج حالة ما يلتجئ الناس إلى الأماكن الدينية رغبةً في عطف الله عليهم وشفائهم حسب معتقدهم.
6. إن جعل الماء المقدس الذي يقوم بالشفاء يقوم بالعقاب كان ذا أثر كبير تم خلالهُ إقناع السكان بجدوى وجود إله الماء، فالآلهة مهما كانت رحيمة فإنها تُعاقب على الخطأ، وكان تفسيراً منطقيّاً للفيضانات المفاجئة والتبدلات المناخية التي كانت تطرأ على كمية الأمطار سواءٌ في بلاد الرافدين، أم في منابع النهرين، ويبدو

أن الرافديين القدماء لم يكونوا على اطلاع واسع على الطبيعة المناخية لبلاد الآناضول أو أن خبرتهم قليلة في مجال علم المناخ، ونرجح بأن الأمر كان مرتبطاً بالمعبد والسلطة التي كانت تحوّل الحقيقة المناخية إلى أسطورة تخدم أهدافها.

7. نجد أن استخدام المياه في الرموز واللوحات الفنية لم يكن مرتبطاً بإله مُحدد، أو مجموعة من الآلهة، حيث إن تمثيل المياه في الفن كان لهُ طابعاً خاصاً كون أبناء أيا كُثراً، وسلالتهُ عبارة عن آلهة مختلفة المهام، ولكن جميع مهامها لهُ علاقة بالماء.
8. بيّن البحث أهمية ودور المرأة العراقية القديمة في حياة البلاد على جميع الصُعد، ولا سيما الجانب الديني واستخدامها للمياه المُقدسة، وتصوير وجودها كإلهَ لها دور محوري في حياة السكان، ولا سيما بعد الوفاة.

مقترحات البحث:

1. العمل على توجيه الدارسين المختصين بدراسة تاريخ حضارة بلاد الرافدين على التعمق بدراسة مختلف جوانب هذه الحضارة بشكل مفصل ومستقل لتكوين دراسات مرجعية وأصيلة.
2. توفير المراجع الأجنبية المختصة بحضارة بلاد الرافدين في مكتباتنا الوطنية، لتكون بين أيدي المختصين والمهتمين بدراسة حضارة بلاد الرافدين.
3. العمل على التعريف بما يصدر حديثاً من الكتب والأبحاث العلمية المختصة بتاريخ وحضارة بلاد الرافدين، وبكل ما يكتشف من جديد عن حضارة بلاد الرافدين من خلال إقامة الندوات والمؤتمرات داخل القطر وخارجه من قبل المختصين.
4. تأمين وإتاحة الفرصة للدارسين للعمل الميداني وتأمين بعثات خاصة إلى المواقع الأثرية بمختلف الدول.
5. العمل على التعريف بأهم المواقع المختصة لتوفير الكتب اللازمة لتوسيع مجالات الدراسة بما يخص حضارة بلاد الرافدين عبر الشبكة.

6. السعي الحثيث والعمل الدؤوب للتعريف باللغات القديمة التي ظهرت في تاريخ وحضارة بلاد الرافدين القديمة، وتوفير المعاجم المختصة، وكذلك العمل على التوسع بتلك اللغات من خلال زيادة عدد المختصين فيها؛ لأن عدد الدارسين والمدرسين فيها قليل.

الملاحق

الشكل رقم (1): تجويف وسط تمثال ربة الينبوع لإيصال ماء متدفق حي إلى إناء تمسكه، ونلاحظ الانحناء في الإناء لجعل الماء يسكب على الأرض (عن البياتي، تاريخ الفن العراقي القديم، 2009، ص179).

الشكل رقم (2): الإناء الفوار رمز الإله أنكي (عن سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين، ج2، 1986، ص30).

الشكل رقم (3): لوح يعود إلى عصر فجر السلالات الثالث، يصور مشهد سكب الماء من قبل أحد الكهنة العراة (عن الراوي، ألواح جدارية تذكارية في العراق القديم...، 2012، ص167).

الشكل رقم4: أحد الأختام يصور الملك وهو يقوم بسكب الماء المقدس على سندان يخرج منه نبات مزهر، وأمامه إلهة تمسك بيدها اليمنى حلقة وصولجاناً (عن الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، 2014، ص303).

الشكل رقم5: ابنة الملك الأكادي شروكين "انخيدوانا" باعتبارها كاهنة عليا، إذ تقوم بسكب الماء أمام إناء نذري (عن مورتكات، الفن في العراق القديم، ج1، ص162).

الشكل رقم6: نموذج أثري لامرأة واقفة وعلى رأسها تاج الألوهية المقرّن، وتحمل بكلتا يديها إناءً ضمته إلى صدرها، يتدفق منه الماء يميناً ويساراً، لينساب نحو الأسفل (عن مورتكات، الفن في العراق القديم، ج1، ص223).

الشكل رقم (7): مسلة أورنامو (عن البياتي، تاريخ الفن العراقي القديم، 2009، ص160).

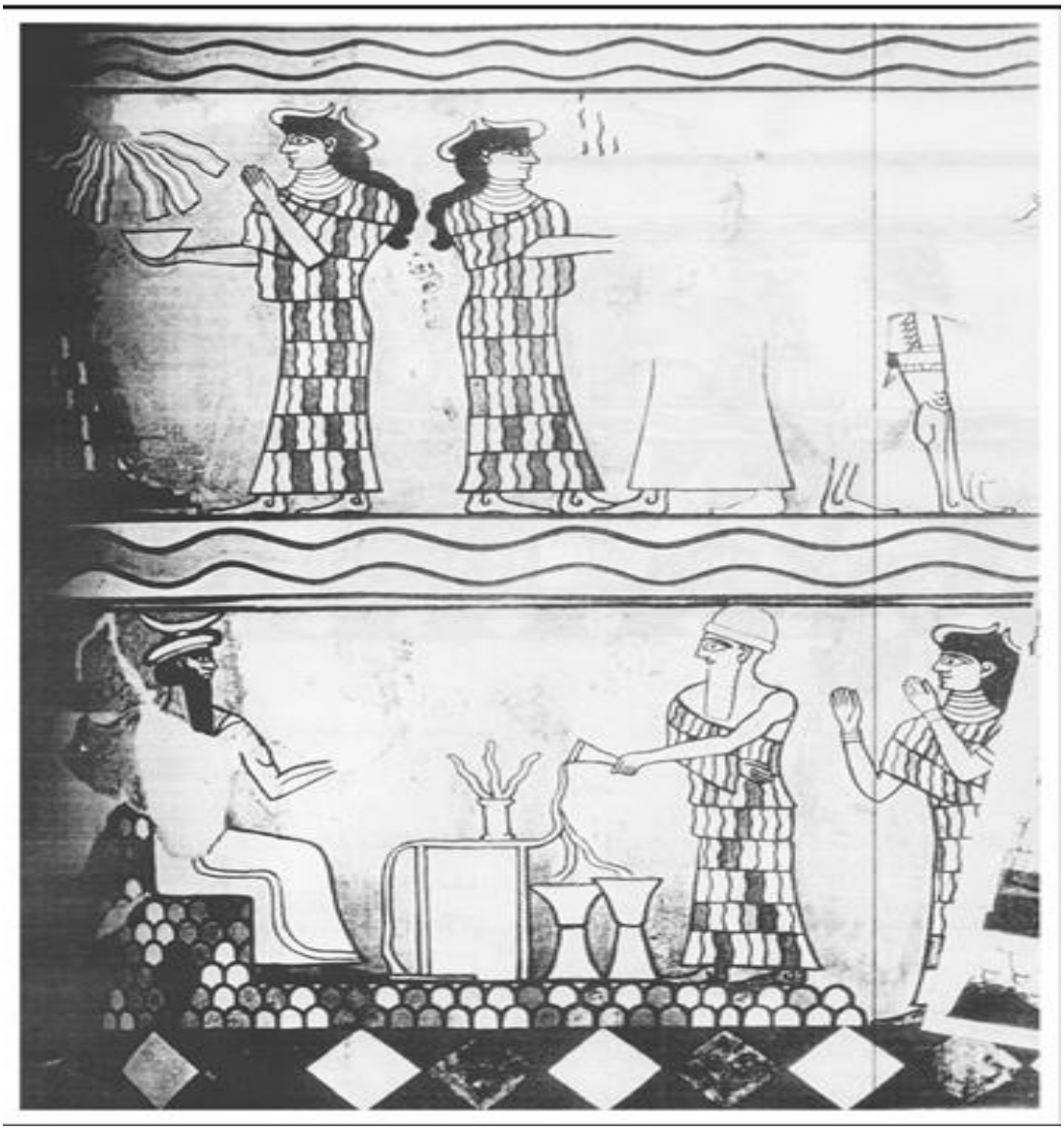

الشكل رقم8: أحد الملوك، وهو يسكب الماء من كأس بيده اليسرى على وعائين وضعا أمامه، يشكلان رمز الجبل (عن بارو؛ آندري، سومر فنونها وحضارتها، ترجمة: عيسى سلمان– سليم التكريتي، دار الحرية، بغداد، 1979، ص 338).

الشكل رقم9: نحت بارز يعبر عن تدفق المياه، وفيه يظهر الإناء الفوار يحمله الإله أنكي (عن بصمه جي، الالواح الحجر، مجلة سومر، مج7، ج1، ص 78).

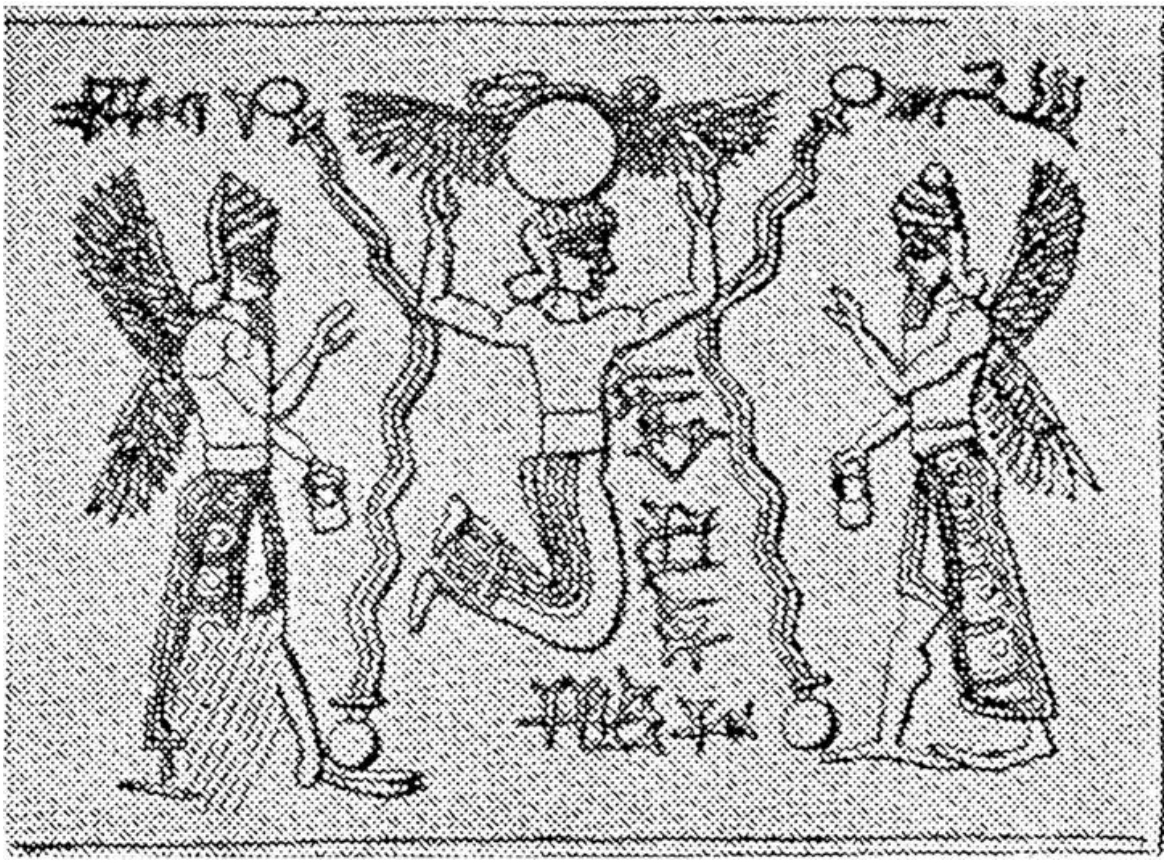

الشكل رقم10: ختم يصور القرص المجنح الآشوري، رمز الإله آشور المعبر عن مياه الأمطار (عن الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، 2014 ص288).

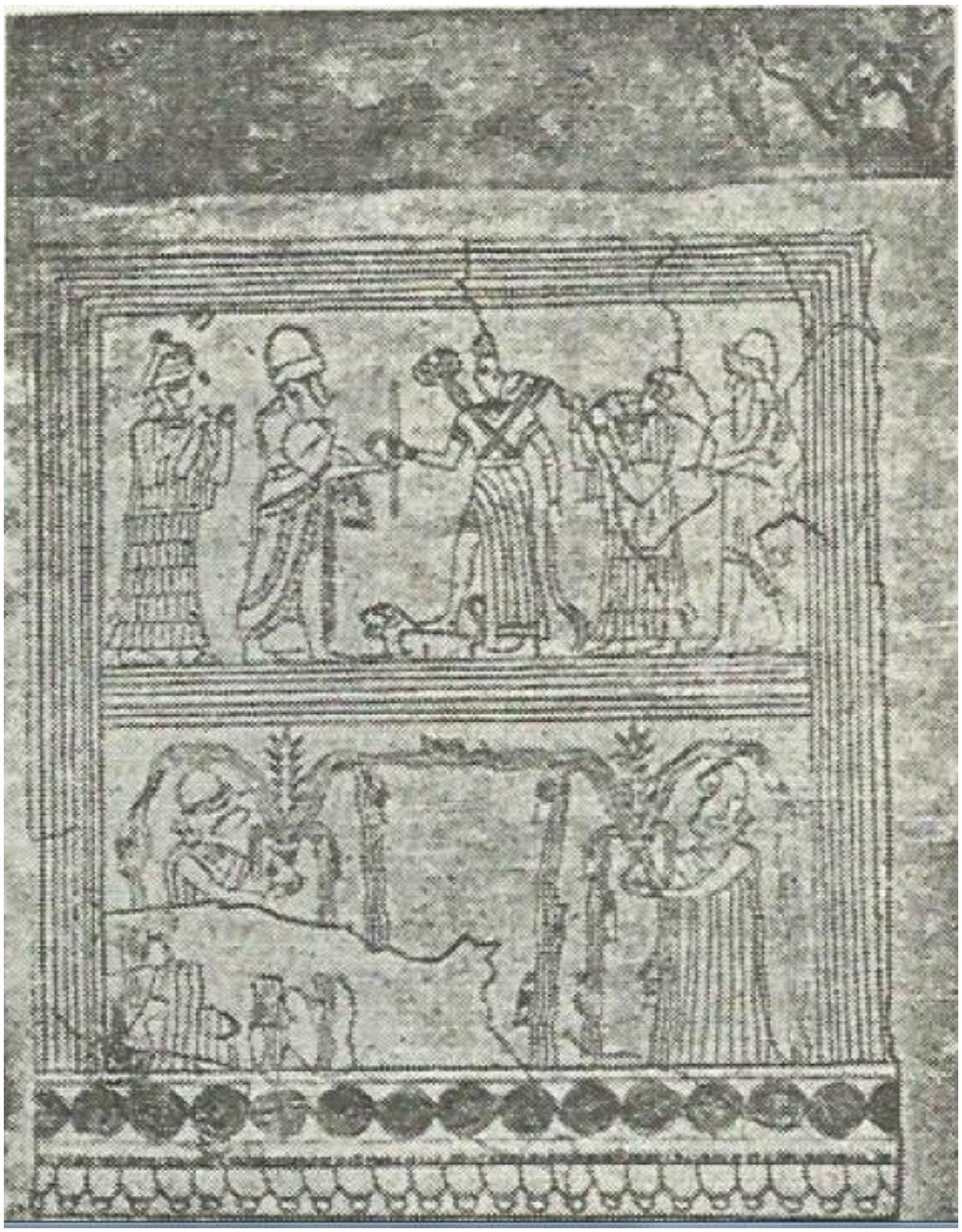

الشكل رقم (11): في الجزء السفلي من لوحة التنصيب المكتشفة في ماري، آلهتان تقفان على الجانبين بتقابل، وكل منهما تحمل بيديها وعاءاً مملوءاً بالماء المتدفق بشكل أربع تيارات مائية تكوّن لوحة فنية جميلة (عن سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين، ج2، 1986، ص31).

الشكل رقم (12): مشهد طقسي، يصور الإله آشور كالجبل لابساً ثيابه التي تأخذ شكل حراشف السمكة، ويقف على جانبيه آلهتان بحجم صغير تحملان إناء صغيراً تفور منه المياه نحو الجانبين وإلى الأسفل (عن مورتكات، الفن في العراق القديم، ج2، ص330).

الشكل رقم13: قطع عاجية تشكل مشهداً فيه أربع زهريات تتدفق منها المياه (عن مورتكات، الفن في العراق القديم، ج2، ص339).

الشكل14: حوض تعبدي مستطيل الشك، فيه تمثيل لأحد الآلهة وهو يمسك بكلتا يديه إناء تفور منه المياه في أربعة جداول (عن الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، 2014، ص300).

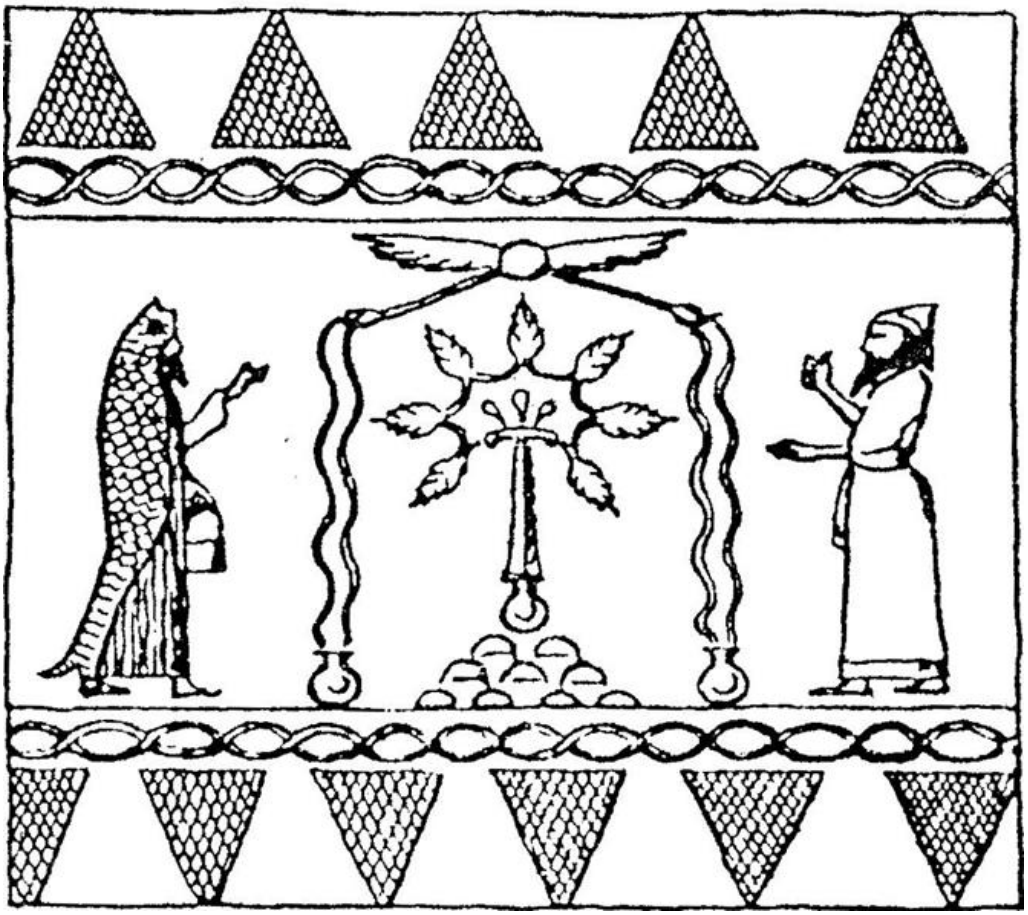

الشكل رقم15: ختم يظهر فيه صورة رمزية لمياه الأمطار منبعثة من جناحي قرص معلق في السماء (عن الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، 2014، ص300).

الشكل رقم16: الملك آشور بان بابلي يقوم بطقس سكب الماء على أحد الأسود التي اصطادها (عن الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، 2014، ص304).

الشكل رقم17: ختم يمثل ثلاث نسوة يحملن قرابين لإحدى الآلهات، بينما تجلس الإلهة وترفع يدها وكأنها تحيي الضيوف، وإحدى النسوة القريبة منها تسكب الماء المقدس على دكة المذبح التي بينها وبين الآلهة الجالسة أمامها (عن الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، 2014، ص302).

الشكل رقم (18): مشهد "طقس تطهيري" يقوم به كاهنان عاريان، بحضور الآلهة الجالسة على العرش بتقابل، تتوسطهم كتابات مسمارية (عن الراوي، ألواح جدارية تذكارية في العراق القديم، 2012، ص168).

الشكل رقم19: تمثال للملك كوديا وقد أمسك بكلتا يديه بإناء يتدفق منه الماء بصورة رمزية، لتنزل أمامه إلى الأسفل (عن الخطيب، المياه في حضارة وادي الرافدين، 2014، ص295).

الشكل رقم (20): مسلة العقبان، نجد أسفل المشهد طقساً جنائزياً يمثل سكب الملك الماء المقدس على قبور جنوده الذين سقطوا في أرض المعركة ودُفنوا جماعياً (عن البياتي، تاريخ الفن العراقي القديم، 2009، ص132).

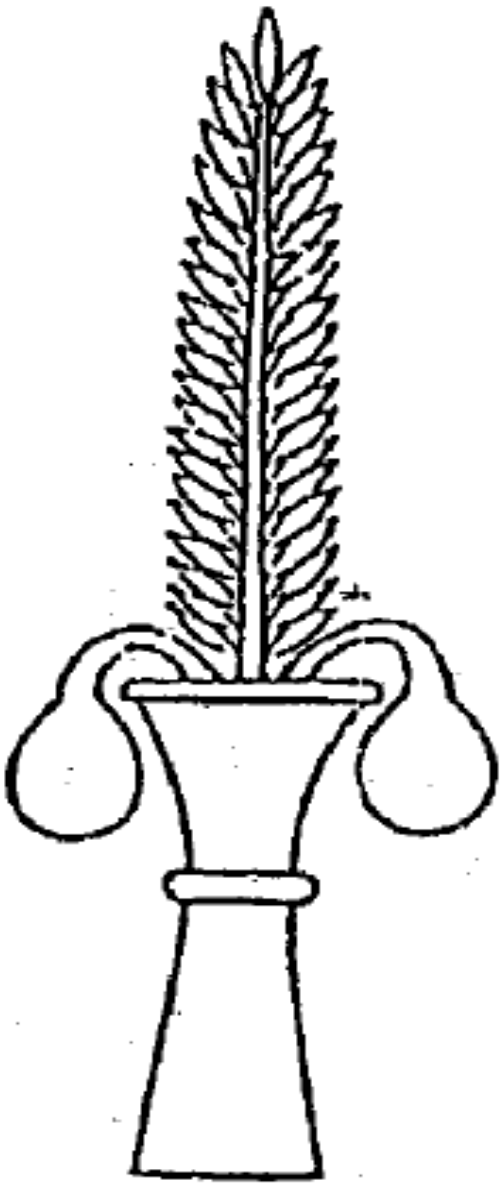

الشكل رقم (21): إناء طقسي فيه زرع (عن الماجدي، متون سومر، 1998، ص317).

الشكل رقم (22): نموذج من حوض الماء المقدّس (عن أحمد، الأواني الطقسية والنذرية، 2013، ص13).

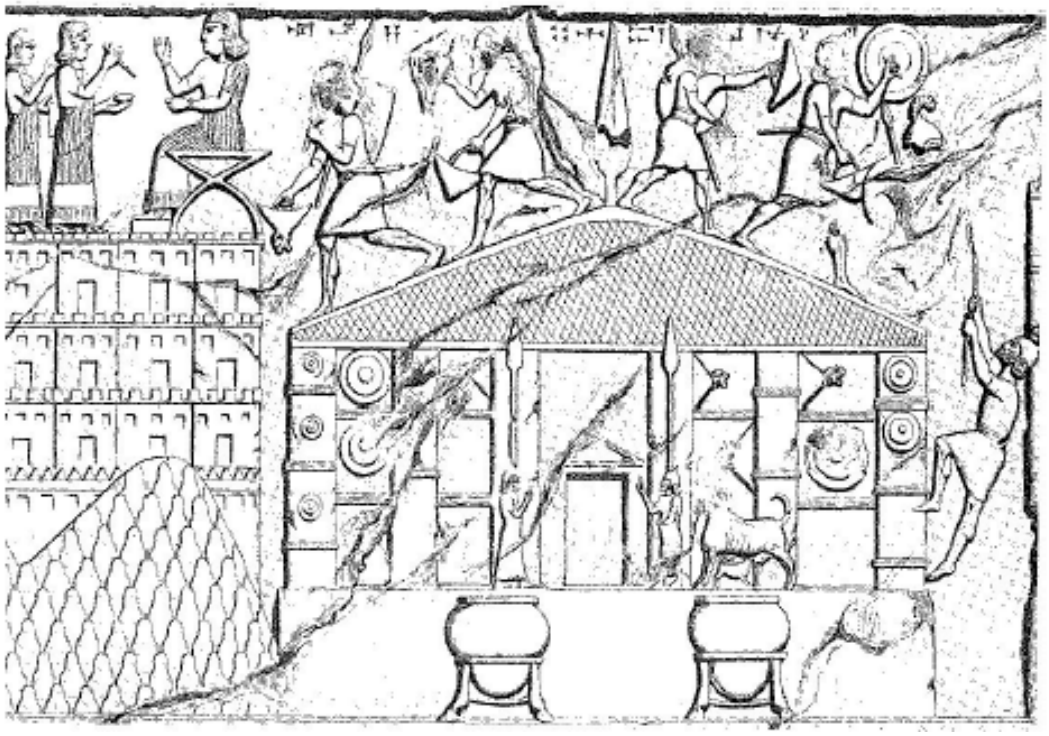

الشكل 23: نموذج آخر من حوض الماء المقدّس يبين أهميته في مناحي مختلفة من الحياة (عن أحمد، الأواني الطقسية والنذرية، 2013، ص13).

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

1. الأحمد؛ سامي سعيد، السومريون وتراثهم الحضاري، مطبعة الجامعة، بغداد 1975م.
2. الأحمد؛ سامي، المعتقدات الدينية في العراق القديم، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، 2013م.
3. الأسطورة .. توثيق حضاري، قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، دار كيوان، ط1، دمشق، 2009.
4. إسماعيل؛ حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته – بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1997م.
5. الأسود؛ حكمت، أدب الغزل ومشاهد الإثارة في الحضارة العراقية القديمة، دار المدى، ط1، دمشق، 2008.
6. الأسود؛ حكمت، القوى الروحية الكامنة في الماء والخبز والخمر ودورها في عملية التمدن الإنساني والتطور الحضاري في بلاد الرافدين، دار الزمان، دمشق، 2017.
7. أمهز؛ محمود، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت، 1972م.
8. الأمين؛ محمود– فرنسيس؛ بشير، شعار سومر رمز الحياة الخالدة والحكمة والعرفان، دار الوراق، بيروت، 2007.
9. الانصاري؛ يوسف، جغرافية البيئات الطبيعية، القاهرة، 1973 م.
10. باقر؛ طه، مقدمة في أدب العراق القديم، جامعة بغداد، 1976.
11. باقر؛ طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة "تاريخ العراق القديم"، ط2، دار المعلمين العالية، بغداد، 1955م.
12. باقر؛ طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق، ط2 ، بغداد، 2009م.
13. بشور؛ وديع، سومر وأكاد، دمشق، 1981.
14. بصمة جي؛ فرج، كنوز المتحف العراقي، وزارة الإعلام، بغداد 1972م.
15. البياتي؛ عبد الحميد، تاريخ الفن العراقي القديم، مطبعة دار العربية، بابل، 2009.
16. توفيق؛ قيس، العلوم والمعارف في حضارة وادي الرافدين ووادي النيل في العصور القديمة، آشوربانيبال للثقافة، ط1، 2018.

17.جميل؛ فؤاد، الطوفان في المصادر – السومرية – البابلية – الآشورية – العبرانية، المركز الأكاديمي للأبحاث، ط1، بيروت، 2014.

18.الجوراني؛ وداد، الرحلة إلى الفردوس والجحيم في اساطير العراق القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1998.

19.الحسني؛ عبد الرزاق، العراق قديما وحديثا، مطبعة العرفان، صيدا، بيروت، 1958.

20.حماد؛ حسين فهد، موسوعة الآثار التاريخية – حضارات، شعوب، مدن، عصور، حرف، لغات، دار أسامة، الأردن، 2003م.

21.حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، بغداد، 1986.

22.حنون؛ نائل، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، دار الخريف، ج1، ط1، دمشق، 2006.

23.حنون؛ نائل، ملحمة جلجامش، دار الخريف، ط1، دمشق، 2006.

24.الخطيب؛ عبد الرحمن، المياه في حضارة وادي الرافدين، دار الحكمة، بغداد، 2014.

25.الخلف؛ جاسم محمد، محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، معهد الدراسات العربية العالمية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1961.

26.دلو؛ برهان الدين، حضارة مصر والعراق، دار الفارابي، بيروت، 1989م.

27.الذنون؛ عبد الحكيم، التشريعات البابلي، دار علاء الدين، دمشق 1992م.

28.الذنون؛ عبد الحكيم، الذاكرة الأولى دراسة في التاريخ السياسي والحضاري القديم لبلاد الرافدين، ط2، دار المعرفة، دمشق 1993م.

29.رزقانة؛ إبراهيم أحمد وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم، دار مصر للطباعة، مصر، د. ت.

30.رشيد؛ عبد الوهاب حميد، حضارة وادي الرافدين– ميزوبوتاميا–، ط 1، دار المدى، دمشق 2004م.

31.رشيد؛ فوزي، الشرائع العراقية القديمة، سلسلة الكتب الحديثة، دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية، بغداد، 1973.

32.سعد الله؛ محمد علي، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم – العراق، سورية، آسيا الصغرى– دراسة تاريخية وحضارية، دار المعرفة الجامعية، 2003.

33.السعدي؛ حسن محمد محي الدين، في تاريخ الشرق الأدنى القديم– العراق، إيران، أسيا الصغرى، ج2، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1995م.

34.سلمان؛ توفيق، دراسات في حضارات غرب أسيا القديمة من أقدم العصور الى عام 1190 ق.م الشرق القديم بلاد ما بين النهرين – بلاد الشام، دار دمشق، دمشق، 1985م.

35.سليم؛ أحمد أمين، العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة، الجامعية، مصر، 2000 م.

36.سليم؛ احمد، دراسات في تاريخ وحضارات الشرق الدنى القديم، ج 5، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م.

37.سليم؛ أحمد، دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم – العراق إيران، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.

38.السواح؛ فراس، مغامرة العقل الأولى، دمشق، 1988.

39.سوسة؛ أحمد، العرب واليهود في التاريخ – حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية–، ط7، العربي للطباعة والنشر، دمشق، 1973.

40.سوسة؛ احمد، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية، ج2، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1986.

41.شحلان؛ أحمد، آداب الشرق القديم وتلاقح الحضارات، مطبعة فضالة، ط1، الرباط، 2005.

42.شريف؛ إبراهيم، الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي، ج1، مطبعة شفيق، بغداد، د.ت.

43.الشواف؛ قاسم، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، ج1–2–3، دار الساقي، ط1، بيروت، 1997.

44.صالح؛ عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، مكتبة الانجلو المصرية، ج2، 2012،

45.صالح؛ عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم، الكتاب الثاني، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1973م

46.عبد الله؛ فيصل – مرعي؛ عيد، تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين)، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2011.

47.عبد الله؛ فيصل– مرعي؛ عيد، المدخل إلى تاريخ الحضارة، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2008م.

48.عكاشه؛ ثروت، تاريخ الفن – الفن العراقي القديم سومر وبابل وآشور4، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مطبعة فينيقيا، بيروت، د–ت.

49.العلي؛ بلال، قصة الرمز الديني: دراسة حول الرموز الدينية ودلالاتها في الشرق الأدنى القديم والمسيحية والإسلام وما قبله، 2011.

50.علي؛ فاضل عبد الواحد وآخرون، جوانب من حضارة العراق – العراق في التاريخ–، دار الجيل، بغداد، 1988م.

51.علي؛ فاضل، الطوفان في المراجع المسمارية، مطبعة الإخلاص، بغداد، 1975.

52.علي؛ محمد، تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق. م، 1977.

53.فتوحي؛ عامر، الكلديون/ الكلدان منذ بدء الزمان – بحث في الهوية القومية الكلدية/ الكلدانية، ط2، 2007.

54.فرح؛ نعيم، موجز تاريخ الشرق الأدنى– السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي–، دار الفكر، بيروت، 1972م.

55.فرزات؛ محمد حرب – مرعي؛ عيد، دول وحضارات الشرق العربي القديم، ط2، دار طلاس، دمشق، 1994.

56.قاشا؛ سهيل، تاريخ الفكر في العراق القديم، مكتبة السائح ودار التنوير، طرابلس – لبنان، 2008.

57.قاشا؛ سهيل، لبنان في ذاكرة العراق القديم، دار أبعاد، بيروت، 2008.

58.الماجدي؛ خزعل، المعتقدات الأمورية، سلسلة التراث الروحي للإنسان، دار الشروق، ط1، عمان، 2002.

59.الماجدي؛ خزعل، بخور الآلهة، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1998.

60.الماجدي؛ خزعل، متون سومر، الكتاب الأول، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1998.

61.مجموعة مؤلفين، حضارة العراق، دار الحرية، ج 1، بغداد، 1985م.

62.مرعي؛ عيد، اللسان الأكادي – موجز في تاريخ اللغة الأكادية وقواعدها، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2012.

63.مرعي؛ عيد، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539 ق.م، ط1، دار الأبجدية، دمشق، 1991م.

64.مرعي؛ عيد، معجم الآلهة والكائنات الأسطورة في الشرق الأدنى القديم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2018.

65.مظهر؛ سليمان، أساطير الشرق، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2000.

66.معدي؛ الحسيني، أساطير العالم الأساطير السومرية، دار كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.

67. ابن منظور، لسان العرب ، بيروت، مج 3، د.ت ، ص 551.

68.مهران؛ محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم – تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1990م.

69.مهران؛ محمد، تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.

70.الناضوري؛ رشيد سالم، دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق الأدنى القديم – مصر وبلاد الرافدين والإقليم السوري والهضبة الإيرانية–، المكتب المصري الحديث، الاسكندرية 1958م.

71.هبو؛ أحمد ارحيم، تاريخ الشرق القديم– بلاد ما بين النهرين–، ط1، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1996م.

72.يحيى؛ أسامة، أبحاث في تاريخ الشرق الأدنى القديم، آشوربانيبال، ط1، بغداد، 2014.

73.يحيى؛ أسامة، الالهة في رؤية الإنسان العراقي القديم – دراسة في الأساطير، آشور بانيبال للكتاب، بغداد، ط1، 2015.

74.يحيى؛ اسامة، السحر والطب في الحضارات القديمة، اشوربانيبال للكتاب، بغداد، 2015.

ثانياً: المصادر والمراجع الأجنبية المترجمة:

1.أوبنهايم؛ ليو، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق، منشورات دار الرشيد، بغداد، 1981.

2.بارندر؛ حفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، السلسة 173، مايو 1993.

3.بارو؛ آندري، سومر فنونها وحضارتها، ترجمة عيسى سلمان– سليم التكريتي، دار الحرية، بغداد، 1979.

4.برستد؛ جيمس هنري، انتصار الحضارة – تاريخ الشرق القديم–، ترجمة: أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر 1969م.

5.بوتيرو؛ جان، بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة، ترجمة: الأب ألبير ابونا، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1990.

6.بورت؛ ل. ديلا، بلاد ما بين النهرين – الحضارتان البابلية والأشورية، ترجمة: محَرّم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1997.

7.دالي؛ ستيفاني، أساطير من بلاد ما بين النهرين، ترجمة: نجوى نصر، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1997.

8.دياكوف؛ ف – كوفاليت؛ س، الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ج1، دار علاء الدين، ط1، دمشق، 2000.

9.رو؛ جورج، العراق القديم، ترجمة وتعليق: حسين علوان حسين، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1986م.

10. روتن؛ مارغريت، تاريخ بابل، ترجمة: زينة عازار وميشال ابي فاضل، منشورات عويدات، ط2، بيروت وباريس، 1984.
11. سيرنج؛ فيليب، الرموز في الفن – الاديان – الحياة، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط1، دمشق، 1992.
12. شميل؛ إيف، السياسة في الشرق القديم، ترجمة: مصطفى ماهر، المجلس الأعلى للثقافة والمركز الفرنسي للثقافة والتعاون، ط1، القاهرة، 2005.
13. فرانكفورت؛ هـ، فرانكفورت؛ هـ. ا، ولسن؛ جون.ا، جاكوبسن؛ ثوركيلد، : ما قبل الفلسفة الانسان في مغامرته الفكرية الاولى، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1980.
14. فيروللو؛ شارل، أساطير بابل وكنعان، ترجمة: ماجد خير بك، مطبعة الكاتب العربي، 1990.
15. كريمر؛ صموئيل نوح، السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة: فيصل الوائلي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973.
16. كريمر؛ صموئيل نوح، من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد، 1956.
17. كريمر؛ صموئيل نوح، هنا بدأ التاريخ – حول الأصالة في حضارة وادي الرافدين، ترجمة: ناجية المراني، الموسوعة الصغيرة77، دار الجاحظ، بغداد، 1980.
18. كلشكوف، الحياة الروحية في بابل – الإنسان المصير الزمن، ترجمة: عدنان حمودي، دار المدى، ط1، دمشق، 1995.
19. كلينكل؛ هورست، حمورابي البابلي وعصره، ترجمة: محمد وحيد خياطة، دار المنارة، دمشق، 1990.
20. كورتل؛ آرثر، قاموس أساطير العالم، ترجمة: سهى الطريحي، دار نينوى، دمشق، 2010.
21. كونتنيو؛ جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، بغداد، 1986.
22. لابات؛ رينيه– سنايزر؛ موريس– فييرا؛ موريس– كاكو؛ أندره، سلسلة الأساطير السورية، – ديانات الشرق، ترجمة: مفيد عرنوق، دار علاء الدين، ط2، دمشق، 2006.
23. لويد؛ سيتون، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، ترجمة: محمد طلب، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1993.
24. مارغرون؛ جان، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية، ترجمة: سالم العيسى، دار علاء الدين، ط1، دمشق، 1999.

25.مورتكات؛ أنطوان، الفن في العراق القديم، ترجمة وتعليق: عيسى سلمان وسليم التكريتي، ج1-2، وزارة الإعلام، العراق، سلسلة الكتب الفنية 21، مطبعة الآداب البغدادية، 1975.
26.موسكاتي؛ سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، 1986.
27.هستد؛ كوردن، الأسس الطبيعية لجغرافية العراق، ترجمة: جاسم محمد الخلف، بغداد، 1948.
28.هوك؛ صموئيل، الأساطير في بلاد ما بين النهرين، ترجمة: يوسف عبد القادر، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، دار الجمهورية، بغداد، 1968.
29.اليساد؛ ميرسيا، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة: عبد الهادي عباس، ج1، دار دمشق، ط1، 1986 – 1987.

ثالثاً: الرسائل والأطاريح:

1.إبراهيم؛ هالة، الطقوس الدنيوية في بلاد الرافدين – دراسة حضارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، إشراف باسمة عبد، جامعة بغداد، 2017.
2.أمين؛ سعد، القرابين والنذور في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: حسين حمود، جامعة الموصل، 2005.
3.بقة؛ بلخير، أثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية سومر وبابل 3200 – 539 ق. م، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: بلقاسم رحماني، جامعة الجزائر، 2008 – 2009.
4.الجنابي؛ شيماء، الإله إنكي في حضارة بلاد الرافدين (في ضوء النصوص المسمارية)، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: نواله المتولي، جامعة بغداد، 2007.
5.الجواري؛ هيثم، نصوص الفأل البابلية في ضوء المصادر المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: خالد إسماعيل، جامعة الموصل، 2005.
6.الخطيب، فردوس: النبات في بلاد الرافدين في العصور القديمة (3000 ق.م – 539 ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: عيد مرعي، جامعة دمشق، 2015.
7.الراوي؛ هالة، ألواح جدارية تذكارية في العراق القديم من الألف الثالث ق. م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، إشراف: أحلام الطالبي، جامعة الموصل، 2012.
8.الشاكر؛ فاتن، رموز أهم الالهة في العراق القديم – دراسة تاريخية دلالية، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: حسين حمود، جامعة الموصل، 2002.
9.صالح؛ ياسمين، المشاهد النباتية في الفن العراقي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: حسين حمود، جامعة الموصل، 2006.

10.ظاهر، حمود حسن: التجارة في العصر البابلي القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، 1985م

11.العبادي؛ رامي، الشهادة والشهود في القانون العراقي القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة، إشراف: عامر إبراهيم، جامعة الموصل، 2011.

12.العساف؛ إسراء، فن النحت في العصر السومري الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: أحلام الطالبي، جامعة الموصل، 2005.

13.محمد؛ هيفاء، ألقاب حكام وملوك العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: عامر سليمان، جامعة الموصل، 2007.

14.الهلالي؛ إبراهيم، علاقة بلاد الرافدين بالساحل الفينيقي من العصر الآشوري الحديث حتى نهاية العصر الكلداني (911 – 539 ق. م)، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف، أحمد صابون، جامعة إم القرى، 2013.

15.الوردي؛ محمود، المدافن في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: حسين حمود، جامعة الموصل، 2006.

رابعاً: المجلات العلمية:

1.أحمد؛ أمل، الأواني الطقسية والنذرية في معابد العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية المنشورة، مجلة التربية والعلم، مج20، ع4، 2013.

2.الأحمد؛ سامي، معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور، مجلة المؤرخ العربي، ع2، 1977.

3.إسماعيل؛ خالد– حسين؛ هيثم، فؤول الزراعة والأشجار والنباتات وفؤول القنوات والآبار في العصر البابلي (القديم والوسيط والحديث)، مجلة سر من رأى، مج6، ع21، السنة السادسة، تموز 2010.

4.الأصيل؛ ناجي، رحلة في مواطن الآثار – رحلة إلى جنوب العراق، مجلة سومر، مج1، ج1، بغداد، 1946م.

5.الأمين؛ محمود، شعار سومر، مجلة سومر، مج 8، ج2، بغداد، 1952.

6.باقر، طه – فرنسيس، بشير، الخليقة وأصل الوجود، مجلة سومر، مج5، ج2، 1949.

7.بصمه جي؛ فرح، الأختام الاسطوانية في المتحف العراقي، مجلة سومر، مج2، ج2، بغداد، 1946.

8.جليل؛ لقاء، اللعنات في النصوص الملكية البابلية، مجلة جامعة تكريت، مج 18، ع3، 2011.

9.الجميلي؛ عامر، أسماء المدن والمواقع الجغرافية المتشابهة لفظاً والمختلفة موقعاً في النصوص المسمارية، مجلة آداب الرافدين، ع54، 2009.

10.الحبوبي؛ شيماء، الآلهة وصفاتها في بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية، مجلة التراث العلمي العربي، ع1، 2017.

11.حسين؛ إيمان، الطقوس الجنائزية في بلاد وادي الرافدين خلال الألف الثالث قبل الميلاد، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج8، ع4، 2009.

12.حسين؛ مازن، الأسطورة في بلاد الرافدين – دراسة في الفكر الملحمي في الثقافة السومرية والأكادية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج6، ع4، 2016.

13.حسين؛ منتهى، المقابر في العراق القديم، مجلة الأستاذ، ع214، مج1، 2015.

14.الحمداني، عبد الأمير– طه، عبد السلام، عليك أن تتطهر بالمياه النقية لدجلة والفرات، مجلة بيت الأرواح، ع79، 14 حزيران 2018.

15.الخفاجي؛ مكي، تمثلات ديمومة الحياة في الفن العراقي القديم (فخاريات سامراء، الألف الخامس ق. م)، مجلة نابو للدراسات والبحوث، ع14، حزيران 2016.

16.الدباغ؛ تقي، آلهة فوق الأرض – دراسة مقارنة بين المعتقدات الدينية القديمة في الشرق الأدنى واليونان، مجلة سومر، مج23، ج1، بغداد، 1967.

17.الدليمي؛ خميس، قراءة في عقائد الصابئة المندائية، مجلة كلية التربية الأساسية، ع45، 2005.

18.الزين؛ أميمة، الماء وحضارة المجتمعات الإنسانية، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع1، تشرين الأول، 2013.

19.سعيد؛ صفوان، المعابد في المملكة الآشورية الحديثة بين الحرمة والتدنيس، مجلة آداب الرافدين، ع59، 2011.

20.سمار؛ سعد – نهير؛ علي، مبررات العقاب الإلهي في العراق القديم، مجلة كلية التربية/ واسط، ع12، 2012.

21.الشمري؛ طاب– عبد الرزاق؛ عدي، القضاء في العراق القديم، مجلة كلية التربية، ع11، واسط، 2012.

22.شيت؛ أزهار هاشم، طقوس التزييت عند الآشوريين، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج10، ع 1–2، 2011.

23.الطائي؛ محمد حامد، تحديد أقسام سطح العراق، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، ع5، 1969.

24.عبد الحق؛ حسان، الماء في الفكر الرافدي القديم، مجلة جامعة دمشق، مج34، ع2، 2018.

25.عبد الحميد؛ وليد، مقدمة في طب نفس العراق القديم، مج14، ع2، نوفمبر2003.

26.عبد القادر؛ خليل، القربان مفهومه دلائله في العصر السومري، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، جمعية المؤرخين والآثاريين في العراق، ع6، مطبعة الأمة، بغداد، 1989.

27.العلوش، إيمان هاني، تجهيز المياه وتصريفها في بلاد آشور في ضوء المصادر المسمارية، مجلة آثار الرافدين، مج1، ع1، 2012.

28.علي؛ فاضل، ثم جاء الطوفان، مجلة سومر، مج 31، ج1–2، بغداد، 1975.

29.فاضل؛ فاتن، مضامين نصوص الصلوات في العصر الآشوري الحديث 911 – 613 ق.م، مجلة سر من رأى، مج8، ع31، السنة الثامنة، تشرين الأول 2012.

30.فرحان؛ غيث– عبد؛ حيدر، دور الآلهة والكهنة في طرد الشر والشيطان في العراق القديم، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، مج2016، ع54، 2016.

31.فرحان؛ غيث– عبد؛ حيدر، دور الآلهة والكهنة في طرد الشر والشيطان في العراق القديم، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، مج2016، ع54، 2016.

32.فرحان؛ غيث، الشياطين وأثرهم في بلاد الرافدين، مجلة حولية المنتدى، مج1، 2014.

33.كحلة؛ نزار، الصحة ومفهوم الحجر الصحي في مملكة ماري القرن 18 ق. م، مجلة المعرفة، ع606، آذار 2014.

34.كريم؛ منى، قراءة عامة في الأساطير العراقية، مجلة ميزوبوتاميا، ع8 –9، نيسان2006.

35.كيالي؛ ميادة، مكانة الإلهة في أساطير وادي الرافدين، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 20 مارس 2017.

36.مهران؛ محمد، دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، ع5، 1975.

37.الموزاني؛ زيدان، الاختبار النهري (التحكيم الإلهي) في بلاد الرافدين، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، ع42، 1997.

38.الموزاني؛ زيدان، من العقوبات المشددة في القوانين العراقية القديمة، مجلة لارك للفلسفة والعلوم الاجتماعية، ع21، 2016.

39.النوري؛ خالد عبد الملك، الأسطورة في بلاد الرافدين، مجلة عالم الفكر، مج 40، ع4، 2012.

40.الهاشمي؛ رضا جواد، الملاحة النهرية في بلاد وادي الرافدين، مجلة سومر، مج37، ج1–2، بغداد، 1987.

41.الهاشمي؛ رضا جواد، دور نهر الفرات في الامتدادات الحضارية لبلاد وادي الرافدين، مجلة بين النهرين، ع44، 1983.

42.وهد؛ جاسم شهد، الزراعة خلال العصر البابلي القديم (2004–1595 ق.م)، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مج11، ع 3، 2008.

43.يوسف؛ جاسم، العلاقة بين البشر والآلهة في بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية، مجلة الآثار، جامعة الكوفة، ع49، 2018.

خامسا: المصادر والمراجع الأجنبية:

1.A group of authors, Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, the british museum press, 4st ed, 2004.

2.A group of authors, Magico - Medical means of treating ghost induced illnesses in ancient Mesopotamia, Brill Styx, Leiden, Boston, 2006.

3.Bertman, S, Handbook to life ancient Mesopotamia, library Of Congress, New York, 2003.

4.Bertman, S, Handbook to Life in Ancient Mesopotamia, the United States of America, 2003.

5.Clifford, R, in Mesopotamia and Israel, Wisdom Literature, Society of Biblical Literature - Atlanta, 2007.

6.Conklin, K., Ancient civilizations – China. India. Africa. Mesopotamia, Teaching, the U.S.A., 2006.

7.Geller, M., Ancient Babylonian Medicine Theory and Practice, Wiley Blackwell, Malaysia, 2010.

8.Goff, B.L., The Role of Amulets in Mesopotamian Ritual Texts, Journal of the Warburg and Court auld Institutes, Vol. 19, No.1/2, London,1956.

9.Hunt. N, living in ancient Mesopotamia, An imprint of Infobase Publishing, New York, 2009.

10.Jacobsen, T, Water of Ur, British Institute for the Study of Iraq, Vol.22, 1960.

11.Jordan, M, dictionary of Gods and Goddesses, second edition, 2004.

12.Karen and Nejat, R., and N., Daily life in ancient Mesopotamia, Greenwood press, London, 1998.

13.King L., Legends of Babylon and Egypt in relation to Hebrew Tradition, Oxford University Press, London, 1918.

14.Kramer, S.N, The Sumerians, London, 1970.

15.Kuiper, K, Mesopotamia: the world's earliest civilization, Britannica Educational Publishing, 1st ed, 2011.

16.Langnon, S, The mythology of all races, Boston, U. S. A., 1931.

17. Leick, G, A Dictionary of ancient near eastern mythology, Routledge, 1st ed, London, 1991.
18. Lukenbill, D.D., The Annals of Sennacherib, OIP, Vol. II, Chicago ,1924.
19. Mackenzie, D., Myths of Babylonia and Assyria, 2005.
20. Margueron J.C., Mari - Métropole de l'Euphrate. Editions Picard et ERC, Paris, 2004.
21. Matthews, V., Marriage and Family in the Ancient Near east, 2003.
22. McIntosh, J., Ancient Mesopotamia: new perspectives, ABC and CLIO, California and Oxford, 2005.
23. Norman, B, Living in ancient Mesopotamia, Thalamus Publishing, 1st ed, New York, 2009.
24. Orlin, L., Life and Thought in the ancient near east, The University of Michigan Press, the United States of America, 2007.
25. Parrot, A, Mission archeologique de Mari volume II - le palais, Librairie orientaliste paul geutaner, paris, 1958.
26. Parrot, A, Sumerian art, United Nations Educational, Scientific and cultural, 1st ed, 1970.
27. Podany, A., Ancient Mesopotamia – Life in the Cradle of Civilization, The Teaching Company, the United States of America, 2018.
28. Satterfield, B, Ancient Mesopotamian Temple Building in Historical Texts and Building Inscriptions, Brigham Young University – Idaho.
29. Somervill, B, Great Empires of the Past: Empires of Ancient Mesopotamia, Chelsea House publishers, 2010.
30. Ur, Households and the Emergence of Cities in Ancient Mesopotamia, Cambridge Archaeological Journal, vol24, 2014.
31. Wilcke, C, Literatur, Politik und Recht in Mesopotamien, Harrassowitz Verlag - Wiesbaden, 2003.
32. Winter, I., On the art in the ancient Near East, Koninklijke Brill NV, Leiden - The Netherlandsp, 2010.

Abstract

The water of the Tigris and Euphrates rivers in Mesopotamia was one of the main pillars for the establishment and prosperity of states, and it was a factor of strength for emerging political and economic forces, while for the population was an element of abundance and giving at times, and an element of weakness and destruction at other times, as floods at one time and water scarcity was a prominent role in influencing The agricultural activities of the population, in a country whose main pillar is water and the fertile silt resulting from it, and here came the role of the Mesopotamian religious thought, which made water a basic thing in the religious beliefs of the population, and since man needed religion to explain the most important things in his life, one of the manifestations of his holiness was his use in most religious rituals, including crowning the king and washing with water for the priests "holy water", and it reached the level of It is of high importance in Mesopotamian thought as it is the first cause of creation, because from water the universe and man were created, and with water a person is cured of his illness after he was sprinkled from the temple water or is bathed with it or swimming in the sacred river water And he reached a high degree of importance in Mesopotamian thought as the first cause of creation, from water the universe was created and man was created, and with water a person is cured of his illness after he sprinkles from the temple water or is bathed with it or swimming in the holy river water, also because of the water he gets reward or punishment through The holy river test that was imposed on the accused without finding a way to confirm or cancel the accusation, as it condemns or acquits the accused person, as well as the person enjoys water after death, and after he goes down to the underworld according to the religious beliefs of the population, as portrayed by Mesopotamian myths, water according to religious beliefs Mesopotamian water of death and water of life.

Key words: water, religion, anki, water ritual

Syrian Arab Republic

Damascus university

Faculty of literature and Humanities

Department of History - East History

The Status of Water in The Ancient Mesopotamia Religion (2900-539 BC)

A Thesis submitted for the Master Degree in the

Ancient East History

Prepared By

Ziad Abdulaah Alhsnawi

Supervised By

Dr: Hassan Abdulhak

1443 Hijjri/2022 AD